الافتتاحية

التجربة العُمَرية

ركائز القائد القوة والأمانة، ومنها تتفرع جذور القيادة، والقيادة الحقيقية ليست أوامر ونواهي، ولا وسيلة بناء مجد شخصي، وإنما هي مسؤولية منوطة بمصلحة الرعية، وفي سورة القصص ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦).

القيادة هي تلك الصفات التي اتصف بها جميع الأنبياء والمرسلين: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: ١٠٧)، وهي التي مدح الله المؤمنين ووصفهم بها فقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨)، وهذه لا تنال إلا بالضمير اليقظ الذي تصان به حقوق الخالق والمخلوق. هذا وقد عظَّم الله شأن الأمانة فقال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(الأحزاب: ٧٢).

ومن أجلِّ مظاهر الأمانة التحلي بصدق الحديث والمعاملة ، فلا يغش ولا يخدع ، ومن مظاهرها الوضوح والدقة، والتعاون والمشورة، وهذه الصفات من قوة وأمانة تتجلى واضحة في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ يقول «أيها الناس إني وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، وأقواكم عليكم ما توليت ذلك منكم، ولن يغيّر الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله» .

تلك هي الأسس والقيم التي قامت عليها خلافة الفاروق عمر رضي الله عنه، القوة والتقوى والعدالة، والرحمة والشفقة ، والأمانة والمسؤولية.

فهو يجمع بين أقصى درجات الحزم وبين الإنسانية الراقية، قوة في غير عنف، ولين في غير ضعف، ولذا قاد الأمة رغم شدته إلى السعة وقبول الآخر والعدالة، فلمَ لا نستفيد من تلك التجارب والمعارف؟

والقائد الناجح يحتاج إلى فهم للدين والدنيا، وفراسة يسترشد بها.

هذا، وللقائد صفات، منها الفطري، ومنها المكتسب، فمنها أن يكون قويًا، فهذا أبوذر قال فيه الرسول ﷺ «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر»، ومع هذا نهى أبا ذر عن الولاية والإمارة، لأنه رآه ضعيفًا.

ومنها أن يكون عادلًا «إن المقسطين عند الله على منابر من نور»، وأن يكون رفيقًا لقوله ﷺ «اللهم من ولي من أمر أمتي أمرًا فرفق بهم فارفق به»، وأن يكون أمينًا، وهي مرتبطة بالتقوى والصلاح.

فما أحوجنا إلى التجربة العمرية في القيادة، لنتعلم كيف رسَّخ عمر رضي الله عنه وأسَّس دعائم الحرية والعدل «حكمت فعدلت فأمنت فنمت ياعمر»!

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٦٢

جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

أبريل - مايو ٢٠١٢ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

مكتب مصر: دار الإعلام العربية- ٤ ش الجلاء- مبنى دوحة ماسبيرو- الطابق ٦- مكتب ٦٠٦- تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣

alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد

المشروع الإسلامي من الحركة إلى الدولة ١٤

موضوع الغلاف

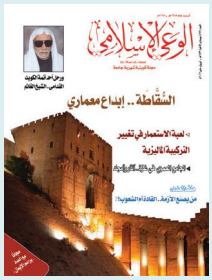

أبدع الفنانون المعماريون المسلمون عبر التاريخ في بناء المساجد وتشييد الجسور والقلاع والحصون وغيرها ولا تزال آثارهم المعمارية خير شاهد على ذلك.

شد رحال الخيال إلى محال الرجال ٤٤

مقترحات للنهضة ٦٤

التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع

هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١- ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

• اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)

• لبنان - شركة نحنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠

• سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات

• الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ - رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣

• مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)

• المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية

• مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع

• الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع

• المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف

• سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة - رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع

• قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.

• ماليزيا - شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)

• الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)

• تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)

• المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٥ ريالات • الإمارات : ٥ درهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • اليمن : ١٠٠ ريال • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة • سوريا: ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • الجزائر: ٤ دينار جزائري • تونس: دينار واحد تونسي • المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني • باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية/ التجربة العمرية	رئيس التحرير
٥	كلمة العدد/ محن كقطع الليل المظلم	التحرير
٦	مؤتمرات/ المؤتمر الذكي في الحكم على الأحاديث	د.إيمان محمد عزام
٨	فنون/ السقاطة إبداع معماري حربي	عبدالغني محمد عبدالله
١٠	حوار/ مع د.عمار الطالبي: استعادة أصالتنا الفكرية طريق المشروع النهضوي	محمد خليل
١٢	فكر/ الهوى والميزان	د.عماد الدين خليل
١٤	فكر/ المشروع الإسلامي من الحركة إلى الدولة	د. محمد سعيد باه
١٧	رثاء/ الأوقاف تودع الشيخ أحمد جلبابة	التحرير
١٨	قضايا/ إصلاح التعليم الديني	د.مسعود صبري
٢١	رثاء/ الشيخ محمد غانم الجاسم	كامل محمود محمد أبوزيد
٢٢	ملف العدد/ القيادة المثالية في المصالح العامة	ابراهيم نويري
٢٤	ملف العدد/عبقرية القيادة النبوية	فتح الله كولن
٢٨	ملف العدد/ من يصنع الأزمة.. القيادة أم الشعوب؟	هالة عبدالحافظ
٣٠	ملف العدد/ وصايا الخلفاء إلى قادة الجيوش	أحمد حسن الخميسي
٣٣	ملف العدد/ المنهج القرآني في صناعة القائد	محمد نور سويد
٣٤	العولمة والقراءة	عبدالله آيت الأعشير
٣٩	قضايا/ تجارب دولية ومحلية ناجحة في معالجة الفقر	رشيد ناجي الحسن
٤٤	مجالس/ شد رحال الخيال إلى محال الرجال	أسامة يوسف العميري
٤٨	علم نفس/أثر الهدي الإسلامي في الحفاظ على الصحة النفسية	عبدالرحمن العيسوي
٥١	أدب/ وغيرك يهدم (مقدمة)	عامر أحمد عامر
٥٢	أدب/ القيم التربوية في قصص عبدالتواب يوسف	محمد عباس عرابي
٥٤	أدب/ أحسن الخروج يا عمرو (قصة)	عاصم الادفوي
٥٦	أدب/ مستقبل الكتاب الورقي بعد مزاحمة الإلكتروني	منير أديب
٥٨	أدب/ ولا يزالون يقاتلونكم في ميدان التعليم والبحث العلمي	أنس عزت أغا
٥٩	أدب/ وهج السنابك (قصيدة)	محمد محمد الشحات
٦٠	إعلام/ الصحافة الإسلامية.. مكانك سر	منى أحمد الموجي
٦٢	أنباء الكتب/ مجموع فتاوى القرآن من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري	التحرير
٦٤	ثقافة/ سلسلة النهضة التعليمية ٤/	هالة عبدالحافظ - أشواق أحمد
٦٧	إدارة/ الأسس الشرعية لأخلاقيات الموظف	سلطان سهو المطيري
٦٨	ملف الأسرة/ وصية الرشيد في تربية الأبناء	د.علاء عبدالمنعم إبراهيم
٧٠	ملف الأسرة/ أبناؤنا بين الضبط والإدمان على الأجهزة الإلكترونية	د.آندي حجازي
٧٢	ملف الأسرة/ النظرية التربوية عند لقمان الحكيم	أحمد مصطفى القضاة
٧٥	إعلام/ هل تنافس المواقع الإسلامية الـ«فيسبوك»؟	عبدالصبور فاضل
٧٨	إعجاز/ رحلة في إدراك طرف من إعجاز القرآن	أيمن أحمد ذو الغنى
٨٠	منارات: الجامع العمري الكبير في غزة	بهيج بهجت سكيك
٨٤	أعلام: الشيخ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي	أحمد باشا تيمور
٨٦	رثاء/ العلامة المقرئ عبدالمجيد الطرابيشي	التحرير
٨٨	فتاوى الوعي	التحرير
٩٠	جديد العلوم	هيفاء حسن
٩٢	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	التحرير
٩٨	مسك الختام/ لعبة الاستعمار في تغيير التركيبة المالية	منير عبدالستار

كلمة العدد

محن كقطع الليل المظلم

ما أكثر المحن التي تعرض لها المسلمون قديمًا وحديثًا، وما أكثر المؤامرات التي يحيكها أعداء هذا الدين للإسلام وأهله، وإن صفحات التاريخ الإسلامي مليئة بمثل تلك الاعتداءات المتكررة، ومتخمة بمثل تلك الجرائم المنكرة، كما أنها حافلة ببطولات أبنائها النجباء، وتضحيات رجالاتها النبلاء، وإن كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون، ورغم أنوف الحاقدين.

وإن من المذابح الوحشية التي تعرض لها بعض إخواننا في الدين: تلك الإبادة الجماعية التي مورست على مرأى ومسمع من العالم المتحضر في مدينة «خوجالي»، من بلاد آذربيجان، ففي السادس والعشرين من فبراير سنة ١٩٩٢م نفذت قوات المعتدين مذبحة مأساوية، حينما اقتحموا المدينة المذكورة، وكان حصادها ثلاث عشرة وستمائة ضحية، منهم الأطفال والنساء والشيوخ، كما تم إبادة أكثر من سبعين عائلة، وتم تدمير مدينة آذربيجان القديمة في خوجالي، وتسويتها بالأرض.

وليس عنا ببعيد تلك المجازر التي ارتكبت في البوسنة وكوسوفا على يد الصرب المعتدين وتلك الجرائم البشعة التي حصلت ولاتزال تحصل ضد أهلنا في فلسطين وفي بلاد الشام عمومًا.

نسأل الله تعالى أن يعز المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وأن يرد كيد المعتدين إلى نحورهم ويجعل تدبيرهم تدميرهم ويجعلهم عبرة للمعتبرين.

التحرير

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٧,٥ دنانير، للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المؤتمر الذكي في الحكم على الأحاديث

د .إيمان بنت محمد عزام

نقد الذات ومراجعة الجهود وقفة لابد منها لكل ناجح، بعدها يتابع مسيرته وفق خطى ثابتة مضيئة، وهذا المعنى المهم خبّأه مؤتمر السنّة الأوّل بالقاهرة بين حروف عنوانه «السنّة النبوية بين الواقع والمأمول» الذي عقدته جمعية المكنز بالقاهرة مؤخرًا، وبوحي من هذا المعنى انطلقتْ إحدى الدراسات التي قُدمت في المؤتمر لبحث ظاهرة مزعجة منتشرة بين بعض المشتغلين بالحديث النبوي وهي أنّ أحكام المعاصرين على الحديث التي استخدموا فيها قواعد وضعها المحدّثون كثيرًا ما عادت على أحكام المحدّثين الأوائل بالبطلان.

أسفر البحث عن الوقوف على مجموعة أخطاء وقعنا فيها- للأسف الشديد- حيث قد نشرنا حديث رسول الله ﷺ في طبعات متكاثرة لم يعرف التاريخ مثلها مرقّمة ميسّرة، محوسبة- إن صحّ التعبير - ولكن نشرنا معها ما يلي:

اقتناعًا فكريًا ونفسيًا بالتقليل من شأن الحديث النبوي كلّه غير حديث الصحيحين، وهذا فيه فقد حقيقي لمعظم السنّة، ولو نشرناها.

لقد حكمنا على أحاديث بالضعف ترك المحدّثون قصدًا بيانها، لئلا يصرفوا الناس عن العمل بها.

لقد حكمنا على أحاديث بأنها ضعيفة بل موضوعة، وقد أخرجها كبار المحدّثين في مصنّفات قصدوا منها جمع أدلّة الأحكام للاحتجاج بها، فهل غفل هؤلاء الكبار عما تنبّهنا إليه؟ أم عرفوه، ورووه ليضلّونا به؟ نزّههم الله عن الأمرين جميعًا.

لقد خالفنا المحدّثين في حكمهم الذي وصلوا إليه مستخدمين قواعدهم التي أسسوها لنا، فنظرنا في كتب التراجم، ورأينا تضعيف الإمام لفلان من الرواة، فرحنا إلى حديث في كتاب حكم عليه بالصحّة أو الحسن، وفي رواته ذلك الضعيف، فخالفناه في حكمه، وشرعنا نبيّن أسبابنا من كتب الرجال فرحين بالإنجاز الذي وصلنا إليه بمخالفة هذا الإمام العلَم.

إذا نشرنا حديث رسول الله ﷺ وأوقفنا- ولو بدون قصد- العمل به فكأننا ما نشرناه.. بل هو أشدّ

وفي حين أننا نعتمد في الحكم على الحديث على ظاهر الإسناد في معظم الأحوال، فإنّ من أخطر ما وقعنا فيه أننا اعتمدنا في تضعيف الأحاديث بل حتى الحكم بالوضع عليها أحيانًا على النظر في متن الحديث مجرّدًا، فحكمنا بالوضع على أحاديث ظهر لنا أنها تخالف العقل أو الذّوق أو الحسّ، أو القطعي، بالرغم من أن المحدّثين الكبار رووا أحاديث الصفات التي رواها الثقات، والتي ظاهرها يخالف القطعي من القرآن الكريم، ثمّ قالوا: أمرّوها كما جاءت.

وباختصار شديد: لقد نشرنا حديث رسول الله ﷺ وأوقفنا- ولو بدون قصد- العمل به، فكأننا ما نشرناه، بل هو أشدّ.

وقد وصلت الدراسة إلى أنّ الخطأ يكمن في ستة أسباب:

أوّلها: أن المعاصرين عملوا بالقواعد الجزئية، وتركوا التقيّد بالإطار العام، فإنّ القواعد التي وضعها المحدّثون إنما تَعمل أو تُعمَل ضمن إطار عام مكوّن من عدّة ثوابت معرفية غابت عن ذهن كثير من المعاصرين.

الثاني: غياب القواعد الأصولية عن ذهن المشتغلين بنقد الأحاديث، إذ ناقد الأحاديث بوصفه مجتهدًا عليه أن يتبع منهجًا منضبطًا وآلية محكمة، تحصيل معرفتها محلّه كتب أصول الفقه، فلمّا غاب هذا الجزء الأصولي عن ذهن كثير من النّاس أثناء الاشتغال بالحكم على الحديث، وقعوا في خطأ مخالفة الأوائل.

الثالث: هو اعتماد المعاصرين على كتب المصطلح في تكوين ملكتهم في نقد الأحاديث، وكتب المصطلح موضوعة لبيان الاصطلاحات، وإعطاء بعض المعلومات لا لبيان طريقة الوصول إلى الحكم، ولا لإكساب القدرة على ذلك.

الرابع: الاعتماد الكلّي في الحكم على ظاهر حال الإسناد.

الخامس: الحكم على الحديث بالنظر إلى متنه مجرّدًا وكلاهما ليس منهج المحدّثين أبدا.

السادس: أننا خضنا في أمر التصحيح والتضعيف والحكم على الحديث عامة بما لم يخض فيه أحد مثلنا ممن سبق رغم أننا لسنا مثلهم

في علمهم بل إننا حتى لا ندانيهم.

والبحث يقدّم عدّة ضوابط يساعد التقيّد بها على الوقاية من الوقوع في أسباب الخطأ:

كان الضابط الأهمّ والرئيس: أن إعمال قواعد المحدّثين يكون داخل إطار من ثوابتهم المعرفية لا خارجًا عنه، حيث إن عدّة ثوابت- وهي سبعة- كانت واضحة في ذهن المشتغل بالحكم على الحديث قديمًا، ولم تكن بالوضوح عندنا بحيث نتصرّف تلقائيًّا وفقًا لها أثناء الاشتغال بالحكم على الحديث، وهذه الثوابت لو كانت واضحة كما يكفي في ذهن المشتغل بالحديث النّبوي، فالظنّ أنه يكون أكثر حذرًا وحيطة وأدبًا مع حديث رسول اللهﷺ ومع المحدّثين الأوائل.

أما الضابط الثاني: أن يكون المشتغل بتبيين درجة الحديث الشريف مؤهّلا لذلك.

الضابط الثالث: أن يكون دقيقًا في استعمال الألفاظ متقيّدًا بمدلولاتها حسبما استقرّ عليه اصطلاح المحدّثين.

الضابط الرابع: إذا كان الحديث مرويًّا في دواوين الإسلام المقصود بها حفظ السنّة فعلى المشتغل بتبيين درجة الحديث أن يتبّع المحدّثين فيما رووه على وجه البيان.

وعليه أن يلاحظ قصدهم من التصنيف فيما لم يجد عليه حكمًا منقولا، فإن ما رواه المحدّثون في المصنّفات التي بوّبوها على أبواب الفقه وسكتوا عنه في أقل الأحوال معمول به، وباختصار: على المعاصر ألا يخالف المحدّثين في أحكامهم التي ذكروها صراحة أو حكمًا، فتطبيق قواعد المحدّثين شرطه ألا يعود على أحكامهم بالبطلان.

الضابط الخامس: أن يكون عمله في الحديث الذي ذكر المحدّثون حكمه صراحة أو حكمًا، واختلف معهم أقرانهم في حكمه هو الترجيح بين الأقوال.

الضابط السادس: ألا يكون معتمدًا في حكمه على ظاهر حال الإسناد.

الضابط السابع: ألا يكون ردّه لحديث لأجل متنه مجرّدًا حتى تظهر قرينة في الإسناد تشهد للرّد.

الضابط الثامن: يتعيّن على المعاصر أن يصف بحكمه الذي يذكره الإسناد لا الحديث.

الضابط التاسع: أن يعرف مقتضى الحكم على الحديث فيكون واضحًا في ذهنه أن حكمه لا يتجاوز بيان درجة الحديث إلى معرفة الحكم المستنبط منه، أو الاحتجاج به على ما يدلّ عليه متنه، فإنّ هذا الأخير هو مهمّة الفقيه.

والبحث يستشهد على ما سبق بنصوص المحدّثين والفقهاء.

هذا اختصار ملخص البحث، الذي آمل أن يكون متاحًا للقراء قريبًا إن شاء الله في موقع «إحسان» على شبكة النت.

السُّقَّاطَة

إبداع معماري حربي

عبدالغني محمد عبدالله

كان التطور الإسلامي في العناصر المعمارية والإنشاءات في النواحي الحربية الدفاعية والهجومية فعالا وحاسمًا، في سبيل الدفاع أو عند الهجوم، ومن تلك الوسائل الباشورة. وقد كان لها الدور الدفاعي في الحرب وحراسة الأسوار والحصون وتفوقها على هجوم العدو عند اختراقه للأسوار والحصون، كما كان لها دورها المدني في مداخل البيوت والدور في منع الأعين من النظر والتلصص داخل الدار بسبب انحراف المدخل الأول والثاني؛ الأول للرائي من الخارج والداخل للمتواجدين داخل الدار، بحيث يكوِّن رحبة متسعة، وبها دكة يجلس عليها قارئ القرآن في البيت، يوميا أو أسبوعيا حسب المتفق عليه، ودون أن يختلط بأهل الدار أو يراهم أو يرونه.. كما أن هذه الرحبة استخدمت للقاء الضيوف العابرين دون دخولهم للدار بحيث يقابلهم صاحب الدار في تلك الرحبة وينهي مصالحه معهم.

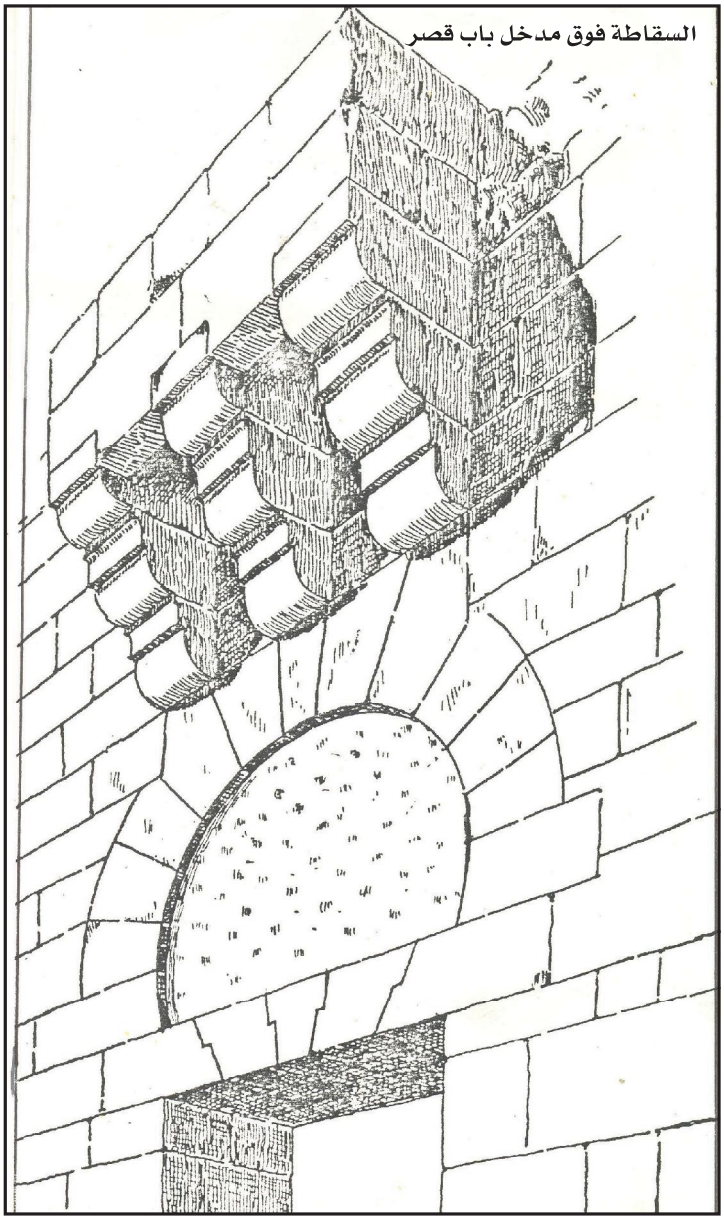

السقاطة فوق مدخل باب قصر

اليوم سنتعرف على عنصر دفاعي جديد. وُضِعَ على الأبواب والأسوار وكان عنصرا حربيا دفاعيا بالغ الأثر والتأثير..

هو «السُّقَّاطة» وهي التي تعرف باسم machicoulis وإن كنا قد أشرنا أن الدكتور أحمد فكري قد أطلق على الباشورة هذا الاسم «الإنجليزي» أما العربي فقد سماه المشربية. ولا نعرف في حقيقة الأمر أسباب ذلك عند الدكتور أحمد فكري وإن كنا لا نقلل من آرائه بسبب أنه عالم مدقق ومحقق من الطراز الأول. أما المشربيات فيقال لها في الإنجليزية وبصراحة واضحة mashrabeyas. وللعلم فإن معظم العناصر المعمارية تنقل بحروف لاتينية بنفس الاسم فيقال صحن (sahn) ويقال مسجد (masged) بمعنى (mosque) ونسخي (Naskhi) وشيخ (sheikh) أما الاسم الصحيح للباشورة فهو Bentzntrance أو نقول Bachawrah مباشرة ونجد ذلك في الكثير من المراجع والمصادر.

والسقاطة أطلق عليها هذا الاسم بسبب أنها تستخدم كعنصر معماري معد لإسقاط مواد الهلاك والموت على المهاجمين في مناطق أعدت لذلك على أبواب الحصون والأسوار والمدن والبيوت.

وهي عنصر دفاعي في غاية القوة،

كاتب صحفي مصري

وهي عبارة عن غرف مغلقة أرضيتها مفتوحة، فتحات من أسفل.

حيث يمكن للمدافعين القابعين بداخلها إسقاط مواد مهلكة كالزيت المغلي والأحجار والقار الحار والسهام على المهاجمين أسفلهم.. حيث صمم المدخل دائما بشكل يدفع المهاجم للانحراف إلى اليسار للخروج من رحبة المدخل إلى داخل الحصن ويكون المهاجم في هذا الوقت في أضعف حالاته وفي أضعف سرعة له. وإلا فإنه سوف يتناطح مع الحائط المقابل. وهو أمر قاتل لكل من يفكر في اقتحام الأبواب أو السوار، حيث تتكدس الجثث وتتراكم وتسد المدخل ويصبح أمر اجتيازه مستحيلا، ويزيد من الصعوبة بمكان على المهاجمين اجتياز ذلك المكان.

وأفضل الأماكن التي نجد فيها هذه السقاطات فوق الباشورات وعلى الأبواب وعلى الأسوار إلا أن الباشورات تزيد من فعالية هذا العنصر المعماري الحربي ولذا فهو عنصر دفاعي حربي من الدرجة الأولى، ومن الملاحظ تأكيدا أن الجيوش المهاجمة كانت تعمل لهذه السقاطات ألف حساب وكانت تفضل نقب الأسوار والدخول منها إلى داخل الحصن أو القلعة دون التعرض للباشورات وفوقها هذه السقاطات القاتلة. وليس هناك من شك في أن هذه السقاطات إنما هي تطوير إسلامي دفاعي بحت.. وإن كان قد قيل إنه ابتكار إسلامي خالص ونقل بعد ذلك إلى أوروبا بعد الحروب الصليبية.

وكأن المهاجم كان يواجه عدة صعاب إذا أراد مهاجمة الحصن أو المدينة، فعليه أولا اجتياز الخندق الذي غالبا ما كان يملأ بالمياه.. وعليه جسر

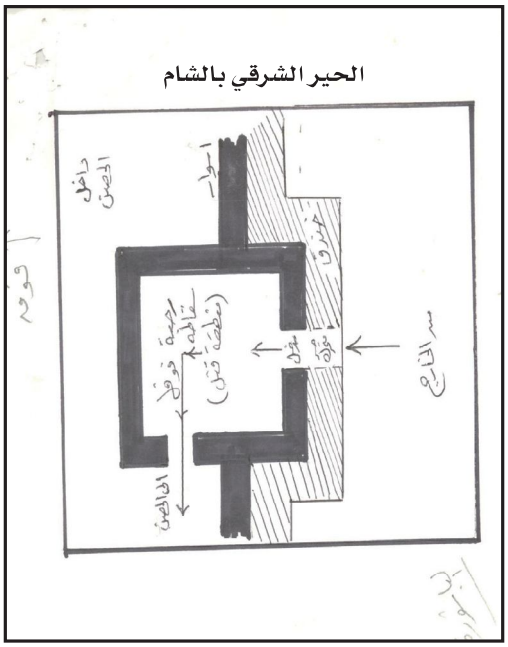

متحرك غالبا ما كان مرفوعا، حيث لا يستخدمه إلا أهل الحصن فقط، ثم عليه اجتياز الباب ذي الجنازير المحكم الإغلاق ثم عليه دخول الباشورة بعد ذلك؛ متعرضا للهلاك من السقاطة، الموجودة فوق الرحبة الخاصة بها.. كما أنه كان في أغلب الأحوال توجد سقاطة سابقة على الباب الخارجي أي قبل سقاطة الباشورة مما يجعل الأمر في منتهى الصعوبة، ويجعل الهجوم مستحيلا إلا بتكلفة عالية جدا في الرجال الذين هم غالبا كانوا الصفوة التي ينتقيها العدو لمهاجمة الحصون والأسوار.

والسقاطة بضم السين مع التشديد وفتح القاف مع التشديد أيضا وفتح الطاء وجمعها (السقاطات).

ويقال إنها ليست من ابتكار المسلمين كما أنهم ليس من شادها في أول الأمر كما سبق في السطور السابقة إلا أن بعض العلماء يعطون تأكيدات لكون المسلمين هم أول من ابتكرها، ولكن المؤكد أنهم طوروها بشكل يجعلها عنصرا دفاعيا راقيا ومهما. وهذا هو قول أعداء المسلمين أنفسهم إذ إنهم لا قوا منها الأمرين عند مهاجمتهم للمدن أو الحصون الإسلامية، حيث وضعت فوق المداخل كما ذكرنا سواء كانت مداخل رئيسية أو فرعية.

وقد كان يظل الزيت مغليا في هذه الغرف التي يوجد فيها بكميات كبيرة في قدور ضخمة وموضوعة فوق نيران دائمة الاشتعال عند الدفاع.. ويغلي الزيت فوقها وباستمرار، كما توجد مغارف ضخمة ذات أيدي طويلة لملء هذه المغارف بالزيت المغلي من القدور، وإلقائه على المهاجمين من هذه الشقوق في أرضية السقاطة كما أن هذه السقاطات كانت تشحن بالأحجار الثقيلة والكثير من السهام لاستخدامها ضد المهاجمين وإلقائها عليهم من خلال الفتحات، ولابد أن يكون السقف بين الدور الأرضي الذي يدخله المهاجم والدور العلوي الذي يقف فيه المدافع مثقوبا أو مشقوقا وهو الذي يطلق عليه اسم السقاطة.

ولاشك أن الجندي المدافع يكون في مأمن تام حيث يختفي داخل الغرفة المغلقة فوق الرحبة ولا يظهر (بالنسبة للسقاطات فوق رحبة المدخل) .. أما السقاطات التي فوق الأبواب فإنه يحتمي بجدران السقاطة نفسها وهو في هذه الحالة لا يظهر بجسده.

وقد ظهرت هذه السقاطات على أبواب ومداخل مدينة بغداد المدورة.. وقبل ذلك في العصر الأموي ظهرت على أبواب قصر الحير الشرقي في بادية الشام وظهرت على أبواب قصر الأخيضر وأسواره (عباسي).

وعلى أسوار مدينة القاهرة الفاطمية التي بناها جوهر الصقلي للخليفة المعز لدين الله. ومازالت هذه السقاطات الأخيرة شاهدة على عظمة وبراعة المعمار المسلم والمحارب المسلم مدافعا يقظا جسورا بالغ الجرأة والشجاعة.

نائب رئيس جمعية العلماء الجزائريين د. عمار الطالبي لـ«الوعي الإسلامي»:

استعادة أصالتنا الفكرية.. طريق المشروع النهضوي

حوار: محمد خليل

مع كثرة الحديث عن مشروعات الإصلاح والنهضة وتعدد الأطروحات التي تناقش حالة التخلف والانحطاط العربي والإسلامي، والسعي لتقديم صورة متكاملة عن مفهوم الإصلاح والفكرة الإصلاحية، التقت «الوعي الإسلامي» المفكر الإسلامي المعروف د.عمار الطالبي نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر والرئيس السابق لجامعة الأمير عبدالقادر بالجزائر على هامش زيارته للقاهرة مؤخرا، والذي أكد أن الإصلاح التربوي وإعادة النظر في المنظومة التربوية والتعليمية، وتغيير مناهجنا في التفكير يمثل ركيزة أساسية ومعلما من معالم «المشروع النهضوي الإسلامي» ومقدمة عملية للإصلاح الشامل في العالم الإسلامي.

وقال د.الطالبي: إن العلوم الإسلامية اليوم تعاني من الضعف، وان الفصل بين العلوم الإسلامية والأخرى الكونية أدى إلى الازدواجية الثقافية وإشعال الخلافات الفكرية، والسبيل للخروج من الأزمة التي تعيشها الأمة الإسلامية إنما يكون باستعادة أصالتنا الفكرية، والبدء في إصلاح منظومة التربية والتعليم لتكوين العقلية العلمية النقدية التي تستطيع تكوين رؤية صحيحة إزاء الأحداث الجارية، وإليكم نص الحوار

- تعددت مشاريع الإصلاح في العالم الإسلامي التي نادى بها علماء وفلاسفة ومصلحون في العالم الإسلامي مثل جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ورشيد رضا ومالك بن نبي وغيرهم كثيرون.. برأيك ما أسباب تراجع هذه المشاريع وإخفاقها في العالم الإسلامي؟

– لاشك أن الاستعمار وقف أمام أي محاولات للنهوض والإصلاح في العالم الإسلامي، فالاستعمار لا يفتأ يخطط من أجل القضاء على ما يظهر في البلاد الإسلامية من أفكار، من الممكن أن تحول المجتمع الإسلامي إلى طريق الحضارة، وتصرفه عن طريق التخلف، كما يهدف إلى الحيلولة بين الفكر والعمل السياسي، حتى يبقى الفكر مشلولا غير مثمر، ويبقى العمل السياسي أعمى غير مبصر، يسير بغير هدى، وذلك لأن الذي يهم الاستعمار بالدرجة الأولى هو فاعلية الفكر في المجال السياسي، وبطبيعة الحال فإن للأفكار الإسلامية فاعلية كبيرة في هذا المجال، بالإضافة إلى العوامل التي تنبع من العالم الإسلامي ذاته والتي أدت إلى إعاقة أية محاولات للنهوض، مثل التخلف الثقافي والاقتصادي والعلمي والافتقاد إلى المنهجية العلمية الصحيحة التي تتعلق بالمعرفة والعلم بسنن الله القرآنية والكونية، التي أهملناها لمدة طويلة، في حين أن قوة الأمم اليوم إنما هي قوة المعرفة والعلم، التي بها يقوى الاقتصاد، وتُبنى الجيوش، كما تقوي سياساتها، فضلًا عن فشل منظومة التربية والتعليم في كثير من بلدان العالم الإسلامي في تكوين عقلية علمية صحيحة قادرة على استيعاب المتغيرات وفهم الواقع بصورة جيدة.

- برأيك ما هو السبيل لخروج العالم الإسلامي من كبوته وتفعيل دور المشروع النهضوي الإسلامي في القضاء على كل أسباب ومظاهر التخلف الذي يعاني منه المسلمون؟

– إن السبيل للخروج من الأزمة التي يعيشها العالم الإسلامي إنما يكون باستعادة أصالتنا الفكرية، واستقلالنا في ميدان الأفكار، والبدء في إصلاح منظومة التربية والتعليم لتكوين العقلية العلمية النقدية التي تستطيع تكوين رؤية صحيحة إزاء الأحداث الجارية للمحافظة على استقلالنا السياسي والاقتصادي، فالمجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسية لا يمكنه أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه، ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه، ولا يمكن لمجتمع يبني نهضة أن يبنيها بالأفكار المستوردة، أو المسلطة عليه من الخارج.

والعالم الإسلامي اليوم في حاجة ماسة إلى أن ينهض من كبوته، ويتخلص من ضعفه، وفي حاجة إلى أن يدخل التاريخ من جديد، ودخول التاريخ له شروط يجب اتباعها، ولذلك كتب المفكر الإسلامي الكبير مالك بن نبي– رحمه الله– كتابًا أسماه «شروط النهضة»، عقد فيه فصلًا مهمًا عن أثر الدين في الحضارة وفي التاريخ في كل الحضارات، وليس في حضارة دون حضارة أخرى، ولذلك فنحن في حاجة إلى أن نتأمل شروط هذه النهضة، وأن نهيئ لأمتنا هذه الشروط، ومنها: البحث العلمي، وتفعيل دور الجامعات التي تصنع مجد الأمم.

– لاشك أن نجاح المشروع النهضوي والإصلاحي في العالم الإسلامي يتوقف على إصلاح منظومة التربية والتعليم، وإصلاح التربية يتوقف على جودة المنهج الذي يكون العقلية العلمية النقدية، وهذا يستلزم أن نؤكد على أهمية تدريس علوم الرياضيات والطبيعيات في المرحلة الأولى

الفصل بين العلوم الإسلامية والكونية أدى إلى الازدواجية الثقافية وإشعال الخلافات الفكرية

من مراحل التعليم، لأن الرياضيات لها تأثير كبير في استقامة الذهن والتفكير السليم، فإذا ما تعود الإنسان على هذا النوع من التفكير فإن المقدمات تؤدي إلى نتائج سليمة، كما أنه لابد من تلافي التلقين والحفظ في مراحل التعليم المختلفة، ولابد أن نشجع على الاجتهاد والإبداع والابتكار، وأن ندرب أطفالنا منذ الصغر على مشاهدة الأشياء وخصائصها، وبالتالي يجب إعادة النظر في المنظومة التربوية والتعليمية، والعمل على تغيير مناهجنا في التفكير كمقدمة عملية للإصلاح الشامل في العالم الإسلامي، لأن التربية الإسلامية مبنية على الجمع بين النظر والعمل، وربما تفوق غير المسلمين بسبب إصلاح مناهج التربية والتعليم وتعويد الطلاب على البحث الذاتي فيكون محور الدراسة هو التلميذ أو الطالب ولا يكون هذا المحور هو حفظ الكتاب، فالأمة الإسلامية والعربية بحاجة إلى أن تنهض من كبوتها، وتتخلص من ضعفها وتخلفها لتكون لها كلمة مسموعة في أحداث العالم وما يجري فيه، فالعالم الإسلامي اليوم يعيش على هامش التاريخ، بالرغم من كثرة عدد سكانه، وكثرة ثرواته وتنوعها، واتساع أرضه، وبالتالي فالحاجة تدعونا إلى أن نتأمل شروط هذه النهضة، وأن نهيئ لأمتنا هذه الشروط، وهي: إصلاح منظومة التربية والتعليم والبحث العلمي.

- بالنسبة للإصلاح في مجال التعليم هناك طرحان مختلفان، الأول: العلماني الذي يرى أن إصلاح التعليم يجب أن يركز على الفصل بين العلوم الإسلامية والأخرى الكونية حتى يمكن بناء عقلية علمية قادرة على التفكير بعيدًا عن أية قيود دينية.. والطرح الآخر الإسلامي الذي يذهب إلى عكس ذلك، برأيك كيف يمكن التوفيق بين هذين الطرحين؟

- لا يمكن التوفيق، لأن الطرح الذي يقول بطريقة الفصل بين العلوم سواء الإسلامية والكونية غير واقعي، فهذه الأمة أمة إسلامية، والمكون الرئيس والأساسي لوجدان وثقافة هذه الأمة هو الإسلام كدين وحضارة وثقافة، وبالتالي فإن شرط النجاح الأول لأي مشروع هو إسلاميته، كما أن مشكلة الفصل بين العلوم الإسلامية والأخرى الكونية يؤدي لتكوين عقليتين متنافرتين كل واحدة تتهم الأخرى، فالأولى تتهم الثانية بأنها علمانية، والثانية تتهم الأولى بأنها جامدة، لكن لابد من أن يدرس طالب الكليات الشرعية مدخلا للعلوم الكونية كما أن طالب الجامعات العلمية لابد أن يدرس مدخلا للعلوم الشرعية فيما يسمى بالجزع المشترك، فالعالم الإسلامي يعيش في الوقت الراهن مشكلة حقيقية فيما يتعلق بالمعرفة والعلم بسنن الله القرآنية والكونية، التي أهملناها لمدة طويلة، في حين أن قوة الأمم اليوم إنما هي قوة المعرفة والعلم التي بها يقوى الاقتصاد، وتُبنى الجيوش، كما تقوى بها سياسات الدول.

- ما تعليقك على ما حدث من أعمال شغب أثناء مباريات كرة القدم التي أقيمت بين الفرق الكروية المصرية والجزائرية العام الماضي، وما ترتب على ذلك من آثار سلبية كادت أن تضر بالعلاقات بين البلدين الشقيقين؟

- لاشك أن ممارسة الرياضة شيء مشروع في الإسلام، أيضا الإسلام دعا إلى تعلم الرياضة والفروسية وركوب الخيل لكن نهى عن استغلال الرياضة في إحداث المشكلات والخلافات بين الناس، لأنه في الوقت نفسه أكد على أن قوة المسلمين ووحدتهم تكمن في القضاء على أسباب الخلاف والشقاق بينهم، وما حدث بين مصر والجزائر من خلاف تُعلب عليه أمر يؤسف له، وهذا يؤكد لنا فشل منظومة التربية والتعليم في بلدان العالم الإسلامي في تكوين عقلية علمية صحيحة، وبالتالي فإن العواطف الهوجاء تصبح هي المسيطرة مما يؤدي في الغالب إلى فقدان التعقل وفقدان الشعور بالتاريخ المشترك والدين واللغة والهوية.

بالإضافة لما سبق نجد أن الإعلام في هذه البلدان غالبا لا يؤدي رسالته كما ينبغي أن تكون، حيث نجد للأسف كثيرًا من الإعلاميين الذين لا يملكون رؤية صحيحة ولا يخشون من عواقب ما يفعلون من قيامهم من شحن للنفوس وخاصة فئة المراهقين وعامة الناس الذين يتأثرون بسرعة جدا وليس لديهم عقلية نقدية ويؤثرون الكراهية ويتأثرون بها.

الهوى والميزان

د.عماد الدين خليل

للوهلة الأولى، ومن خلال الألغاز والمعميات التي تعتمدها الفلسفات الغربية الوضعية، وتحيط نفسها بها، من خال حملات الإكبار والتقرير التي انصبت على شخصيات الفلاسفة من كل مكان، من خلال مركب نقصنا الحضاري الذي خيل إلينا كما لو كان الفيلسوف الغربي إنسانًا غير عادي، إنسانا ذا قامة مرتفعة، وفكر خلاق يجتاز المغاليق، ورؤية للكون والحياة لا تقبل خطأ على الإطلاق.

للوهلة الأولى تتبدى الفلسفات الغربية للمرء بحجم أكبر بكثير من حجمها الحقيقي وبريق يكاد يسلب العين القدرة على الإبصار.

وكلنا نذكر ما كان يفعله مدرسونا في الإعداديات وهم يحكون لنا عن هذا الفيلسوف الغربي أو ذاك من خلال مادة «التاريخ الأوروبي»، بوجل وانكماش وبتقدير مبالغ فيه يصل حدّ التضاؤل والصغار، ونذكر كذلك طبقة من الأساتذة الجامعيين أعمق ثقافة من المدرسين وأكثر تخصصًا، كانت هي الأخرى تحدثنا عن الفلسفة الغربية كما لو كانت حقًا مطلقًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وما زلت أذكر مدرس التاريخ في الإعدادية، وهو يخطو بحذر وتريث خلال شرحه لفقرات في الكتاب خصصت للفيلسوف الألماني «هيغل» والفلسفة المثالية، وكنا نحن نقول في أنفسنا: إذا كان مدرس المادة غير قدير على اقتحام بحر «هيغل» العميق فأنى لنا أن نجتازه بعقلياتنا الساذجة وثقافتنا المتواضعة؟

ومازلت أذكر كذلك أستاذ الفلسفة في كلية التربية وهو يحدثنا عن الفلسفة المثالية لهيغل، كيف أنه أراد أن يعطينا جانبًا من فلسفته كما لو كانت مسلمات مطلقة، ولكنها مسلمات غامضة، معماة، ما كانت تزيد الرجل وفلسفته في نفوسنا إلا إجلالا وإكبارا!

لو كانت الفلسفة الوضعية حقًا مطلقًا لما نفى بعضها بعضًا ..ومواقفها متميعة إزاء الحقائق

وما كان الأمر بهذا الذي تصورناه أو صوِّر لنا، وما هكذا يجب أن يكون.. فإن المثقف المسلم على وجه التحديد، ناهيك عن المتخصصين منهم، يتحتم أن يملك ابتداء.. نعم «ابتداء».. ما يمكن تسميته بالنظرة الفوقية المستقلة الواثقة التي ينظر بها ويقيس ويزن كل ما يقوله العقل البشري شرقيًا كان أم غربيا، ولا يسلم به بسهولة حتى لو طرحه أعظم الفلاسفة والمفكرين.

كما أنه يتحتم ألا يشعر إزاءه بأي قدر من النقص أو الإعجاب المفرط الذي قد يجنح به بعيدًا عن الموقف العلمي الذي يتطلبه منه هذا الدين.

إن المسلم ينظر بنور الله، ويعاين الأشياء بتعاليم الله ورسوله ﷺ، ويزن بموازين الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكيف تسوغ له نفسه أن ينزل عن موقعه العالي هذا، عن استشرافه من الآفاق المفتوحة، إلى الحفر الضيقة والمسالك المتداخلة والشعاب المسدودة لفكر هذا الرجل أو ذاك مما قد يتضمن الكثير من الخطأ والانحراف والفساد؟

وثمة بداهة قد نغفل عنها لوضوحها في كثير من الأحيان، فإن الفلسفة الوضعية لو كانت حقا مطلقًا كما صور لنا وخيل إلينا، لما نقض بعضها بعضًا، ونفى بعضها بعضًا.. ولما شهدت ساحات الفكر والثقافة عشرات، بل مئات وألوف، من الفلاسفة كان يحلو لكل واحد منهم أن يطرح ادعاءً تقليديًا أصبح بمثابة القاعدة التي يحذو حذوها الجميع: إن ما تقوله فلسفته هو الحق المطلق، وأن ما وراءها من فلسفات لا يعدو أن يكون خدعة وضلالاً، أو هو- على أحسن الأحوال- محاولات تتضمن الكثير من الشروخ والأخطاء.

في كتاب الأديب الفرنسي «اندريه موروا» عن حياة الروائي الروسي الشهير «إيفان تورجنيف» نقرأ هذا المقطع: «في غضون السنوات التي أمضاها تورجنيف في ألمانيا كان هيغل الفيلسوف الذي يلتف حوله المثقفون الروس لأنه كان يقول بأن كل ما هو حقيقي نابع من العقل في الوقت الذي كان فيه هؤلاء يقبلون المجتمع كما وضعه التاريخ، ذلك أن الناس يطلبون دائما من كل مذهب أن يكون دليلاً عقليًا على مشاعرهم وأعمالهم! فالشباب الروسي الذي كان يخضع في سنة ١٨٤٠م

مفكر عراقي

للقيصر كان يعرف أنه مستبد، ولكنه كان يعبده على الرغم منه، وهذا الشباب كان يتوهم بأنه واجد في «فلسفة الحق» لهيغل حججًا وأسانيد لتعليل خضوعه، كانوا يقولون له، إن الدولة كائن حي وهي هي كما أوجدها التاريخ، ولا يستطيع فرد أو مجموعة أن يغيرها تبعًا لأهوائه».

وهكذا لا يوجد مجال للمناقشة في ضرورة الطاعة المطلقة للقيصر فذلك أمر واضح جلي في حد ذاته!

ويمضي موروا إلى القول بأن: «تلك كانت نظرية هيغل كما رأتها جماعة اليمين، على أن هرزن- الذي يمثل جماعة اليسار- كان يتبين أنه يمكن أن يستمد من هيغل بالذات الدليل على شرعية كل مقاومة للأوتوقراطية إذ إنه لو صح أن كل ما هو حقيقي نابع من العقل، فالثوري- إذ يوجد - يعتبر جزءا من التاريخ «إذا كان العقل يعزز النظام الاجتماعي القائم، فإن كل مقاومة له مادامت موجودة تعد معززة كذلك»، وهكذا تشكلت من فلسفة هيغل صورة أخرى أخذت بها جماعة اليسار».

وهكذا استعملت فلسفة هيغل لتبرير موقف اليمين الخاضع للقيصر ولتبرير موقف اليسار الثائر على القيصر.

وهذه الميوعة الفكرية التي نجدها هنا تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال لا تقتصر على الفلسفة المثالية التي وصفها ماركس وإنغلز بأنها تمشي على رأسها «فحسب»، ولكنها تنسحب على الفلسفة المادية نفسها التي صاغها ماركس وإنغلز، فإنك واجد فيها ما يسوق الشيوعيين لمساندة وضع ما، وواجد فيها - كذلك - ما يدفعهم إلى الثورة عليه والإطاحة به.. وهم يبررون هذا وذاك بأنه «التكتيك» الذي يخدم الاستراتيجية في نهاية المطاف.

اقرأ - على سبيل المثال - ما يقوله الأديب المجري المعروف «آرثر كوستلر» الذي خبر التجربة الماركسية بانتمائه إليها السنين الطوال، ثم ما لبث أن ارتد عنها بسبب ما وجده فيها من عيوب وتناقضات، إنه يقول فيما نحن بصدده «كانوا يلجأون، أحيانًا إلى نبذ الحقائق وإغفالها لحيلة بسيطة تتلخص في وضع الكلمة بين قوسين وإعطائها جوًّا من السخرية والمرارة «ماضي تروتسكي الثوري»، «الهذيان الإنساني للصحافة الحرة» إلى آخره وكان هذا الأسلوب لشدة إملاله يفعل في النفس فعل التنويم المغناطيسي، إن ساعة من هذا الهذيان المنطقي الجدلي كانت تدع الإنسان لا يدري أفتى هو أم فتاة، وتجعله مستعدًا لاعتناق أي منهما بمجرد ظهور الأخرى بين قوسين.

لقد كنا على استعداد لأن نؤمن بأن الاشتراكيين هم (أ) أعداؤنا الحقيقيون، (ب) حلفاؤنا الطبيعيون، وأن الدول الاشتراكية والدول الرأسمالية (أ)، يمكنها أن تعيش مع بعضها بسلام (ب) لا يمكنها أن تعيش مع بعضها بسلام، وأن إنغلز عندما قال إنه لا يمكن قيام الاشتراكية في دولة بمفردها كان يعني عكس ذلك تمامًا، بل لقد تعلم الواحد منا أن يبرهن بالاستدلال المنطقي على أن كل من يخالفه في الرأي هو عميل للفاشية لأنه (أ) لمخالفته لك في الرأي يساعد على تفتيت وحدة الحزب (ب) بعمله على تفتيت وحدة الحزب يساعد على انتصار الفاشية فهو إذن (جـ) من الناحية الموضوعية عميل للفاشية ولو كان من الناحية الشخصية قد تعرضت للتعذيب في معسكرات الاعتقال على أيدي الفاشيين، إن كلمات «عميل» أو «الديمقراطية» أو «الحرية» الخ... كانت تعني عندنا في الحزب شيئًا آخر يختلف تمامًا عن معناه في الاستعمال العام، بل كان معناه عندنا يتغير بعد كل تحول في سياسة الحزب، فكان موقفنا من هذه التغييرات كموقف اللاعبين في لعبة الكروكي «التي يقوم اللاعبون فيها بضربة كرات من خشب بمضارب في أيديهم لكي تمر من أطواق خشبية ثابتة»، بين الملكة وأتباعها حيث كانت الأطواق تنتقل عبر الملعب، والكرات قنافذ حية، مع اختلاف واحد هو أن اللاعب عندنا إذا أخطأ وأضاع دوره وقالت «اقطعوا رأسه» كان الأمر ينفذ بكل جد.

(الصنم الذي هوى، ترجمة فؤاد حمودة، ص ٥٨-٥٩، دمشق، ١٩٦٠)

إن هذا التمييع في الموقف إزاء الحقائق، واتخاذ زوايا نظر مختلفة، بل متضادة يذكرنا بموقف القادة الماركسيين من مسألة الجنس والزواج، فيما تناولناه بشيء من التفصيل في مكان آخر، فقد اعتبروه في البدء رذيلة بورجوازية تصديقًا لما قاله ماركس وإنغلز، ثم لما شاع الزنا في الاتحاد السوفييتي عبر سني تأسيسه الأولى، وفاض الكأس وأعلن لينين تصريحه الشهير الذي هاجم فيه هذا التصور وحث على العودة إلى الزواج كأفضل صيغة للعلاقات الجنسية، عاد الماركسيون فأكدوا ضرورة «الزواج» كمؤسسة محتومة في العلاقات الاجتماعية.

فإذا تساءلت، يقول كوستلر، «أليست هذه هي الفضيلة البورجوازية التي استنكرناها من قبل؟» قيل لك «إن هذا التساؤل يدل على أنك مازلت تفكر بالطريقة الآلية لا بالطريقة المنطقية الجدلية، إذ ما هو الفرق بين البندقية في يد رجل الشرطة والبندقية في يد عضو الطبقة العاملة الثورية؟ إن الفرق بين البندقية في يد رجل الشرطة والبندقية في يد عضو الطبقة العاملة الثورية، هو أن رجل الشرطة من أعوان الطبقة الحاكمة وبندقيته أداة للعدوان، بينما هذه البندقية نفسها في يد عضو الطبقة العاملة الثورية أداة لتحرير الجماهير المضطهدة، وهذا القول يصدق عن الفرق بين ما يسمونه «الفضيلة» البورجوازية والفضيلة العمالية، إن نظام الزواج الذي يعتبر في المجتمع الرأسمالي مظهرا من مظاهر الفساد والتحلل يتحول «منطقيًا» إلى عكس ذلك في المجتمع العمالي السليم، فهل فهمت أم تحب أن أعيد جوابي بطريقة محكمة أكثر من هذه؟ (المرجع السابق ص:٥٧-٥٨).

ويذكر المرء الآية القرآنية الكريمة ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ (النجم: ٢٣)، فكأنها قد نزلت لكي تدمغ هذه الظنون والأهواء البشرية.. فما يلبث إلا أن يزداد اعتدادًا بموقفه الإيماني واعتزازًا بعلمه الإلهي وموقعه الفوقي الذي يمنحه - بالتصور العقدي المتكامل - السيادة على العالمين!

المشروع الإسلامي من الحركة إلى الدولة

د. محمد سعيد باه

نستهل الحديث عن هذه الإشكالية بتأملات سريعة حول بعض المعاني الكامنة في قول الله، جل شأنه: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ (الحج: ٤١).

تجلي الآية بوضوح أن تحقيق وظائف الدين الكبرى في واقع الأمة المؤمنة بصلاحية هذا الدين منهجا لإدارة دفة الحياة الواثقة باستعلائه، معلق بشرط التمكن في الأرض، بمعنى وجود سلطان منتظم يتحاكم إلى شرع الله، وهو ما يجعل هذا التمكين مطلبا قرآنيا متحتم الوقوع يجب السعي إليه باستمرار مهما بعدت الشقة، بمعنى تحويل الحركة إلى دولة.

ثم يأتي، بعد إقامة شعيرة الشعائر، تنفيذ برنامج طموح وشامل للإصلاح العمراني، يحوّل سواد الأمة، من حالة من يشحذون، فرادى وجماعات ودولا، إلى منتجين كما ونوعا قياما بالوظيفة الأولى لسكنى الأرض باستعمارها، حين يحققون الفائض فتمتد أيديهم، وهي عليا.

لكن التاريخ يحتوي على فصول تقول لنا إنه منذ تلك اللحظة التي خُلع فيها السلطان عبدالحميد (٢١ صفر ١٣٢٧هـ) وغادر سراي الحكومة منفيا إلى قصر «بيلربي»، لم يتيسر للأمة أن تقترب من تحويل رؤيتها في مجال إقامة السلطان وتحقيق وعد التمكين، كما هي اليوم (١).

في هذه الأجواء المليئة بالمبشرات علينا إعادة قراءة مواطن الانزلاق في مسيرة الأمة انطلاقا من الدرس القاسي الذي تلقاه أصحاب رسول الله ﷺ رغم مدد السماء (حدد القرآن عددهم بخمسة آلاف من الملائكة المسومين)، وحين عاندوا سنن الله في التحوط والسير وراء القائد جاءتهم الضربة حتى إذا تساءلوا في ذهول جاءهم الجواب المسكت: ﴿أَوَلَمَّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾ (آل عمران: ١٦٥).

لهذا فإن بعض الغيورين من الأمة الواعين للمكر السيئ الذي يحاك في الظلام، لم يكفوا لحظة، منذ أن بدأت تباشير فجر النصر تبزغ في الآفاق وفي الأنفس وانبعاث حالة الحبور الدافق، عن الشعور بقلق ينتابهم عن مدى قدرتنا على إدارة معركة البناء والإصلاح على مستوى الممارسة لشؤون الدولة بما فيها من تعقيدات وعقد صفقات في منتهى الخطورة إلى جانب التماسك لأطول فترة ممكنة على سدة السلطان الكلي أو الجزئي دون أن تتراخى قبضاتنا عن المشكاة التي طالما بشرنا الأمم بأنها التي ستبدد لها الديجور الذي تتخبط فيه.

هنا ملاحظات عدة نسجلها على عجل:

لا يزال السلطان الذي تم تحصيله، في كل المواقع التي تم فيها كسب جولة قد تقربنا إلى إعادة إقامة الدولة على منهاج النبوة، جزئيا، أي مشاطرة الجلوس على السدة مع من هم مغايرون، بكل مفاهيم التباين البنيوي في الفكر والخيارات المصيرية.

كون القوى التي عملت على نفي آخر سلاطين آل عثمان وكسر كرسي سلطان الأمة لم تندحر بعد، فلنحذر أن يصيبنا ما أصابها فيخيل إلينا أن المعركة بيننا قد حسمت ولم يبق إلا كتابة نعي الخصم ومن ثم إدراجه في أكفانه، وذلك حين نعيد زلة يوم أُحُد فننشغل بجمع الغنائم عن مواصلة الزحف إلى «مكة» حتى إذا كرت علينا كرتها لم نملك إلا ترديد التساؤل: أني هذا؟

لم ترتق الشعوب- التي نسعى إلى صناعة هذا المجد باسمها ولصالحها- بعدُ إلى مستوى الحد

الأدنى من مطالب وشروط هذا المشروع الكلية، ما يعني تواصل عمل البناء الداخلي والقيام بمزيد من التحصينات الفكرية والروحية بما يجعل حصوننا تستعصي على التسلق من الخارج والاختراق من الداخل.

وحري بحملة المشروع الإسلامي، الذين أخذوا يسرعون الخطى باتجاه قصر السلطان (قرطاج...) بعد تطهير أرجائه من تلك الأرجاس التي طالما زكمت الأنوف وإخراج خبئها من الكنوز لتقسم على مستحقيها من كل من يحمل صفة «مواطن»، ألا يغيب عن بالهم لحظة بأنهم في الشوط الأول نحو القمة، وأن يعتبروا ما كتب الله من النصر، رغم دويه الهائل، مجرد زاد للانتقال بمهمة البلاغ العام إلى المدارات العليا حيث يزعوا بالسلطان ما لم يقدروا على وزعه بالقرآن خلال هذه القرون العجاف التي عاش فيها السلطان في المنفى والأمة تترقب عودته بصبر نافد.

ثم، إن العراك الطويل، والمميت في بعض مراحله، الذي جعل الشيخ الغزالي يسمي بعض حلقاته بالكفاح الدامي، مر بمنعطفات ومراحل يحسن أن نتوقف عند أبرزها هنا ولو على عجل:

مرحلة الشعارات: حين انطلق هذا الموكب المبارك كان السواد الأعظم للأمة يعيش حالة البيات بل كان البعض يغط في نوم عميق والقسط الآخر صاح لكنه في ضحى اللعب يسدر، نتيجةً مفعول الخدر الذي كان قد أصاب كامل الإرادة للطائفتين، وكانت هذه الوضعية شبه الميؤوس منها تستدعي من الحداة إطلاق صيحات تحذير عالية على حد قول الشاعر المهموم بجنوح الأمة وميلان ميزانها:

صيحوا على كل قوم غافلين فمن
صوت الهدى يختفي صوت الضلالات (٢)

مرحلة نقد النموذج المصادم: لما تحرك حملة المشروع الإسلامي التجديدي كان فضاؤنا الفكري محتلا بكامله حيث كان كل شبر فيه كظيظا بأطروحات تتغاير مع مقومات أمتنا الأصيلة التي تحدد هويتها وترسم مسار علاقاتها مع بقية الأسرة البشرية؛ ونظرا للأثر السيئ الذي كانت تلك الأطروحات تتركه على واقعنا، كان الواجب يحتم ردم هذه الهوة على عجل بدءًا بكشف عوار المستند الفكري لتلك الدعوات التي كادت تورد الأمة المهاوي.

مرحلة إعادة صوغ المفاهيم: بما يتطلبه ذلك من معالجة الأمة من داء الانبهار وتحطيم الأساطير وما يلمع وهو مزيف، في هذا السياق يندرج النهج الذي اختطه الشيخ محمد قطب حين جهر بالدعوة إلى إعادة ضبط المفاهيم التي كانت قد انفلتت كثيرا وحرف بعضها فكان أن عنون: «مفاهيم ينبغي أن تصحح».

وهذا ما فرض على الرواد تخصيص عناية مركزة لإعادة ضبط تلك المفاهيم الإسلامية التي كانت قد زاغت كثيرا وداخلها قدر هائل من الغبش الكثيف الذي يغلفها إلى درجة حجب الرؤية.

مرحلة بناء البدائل: فقه رواد الموكب الذي كان مهموما بتسويق المشروع الإسلامي، أن مبدأ: «خذ هذه» أنجع من «دع تلك»، وهو ما دفع نحو ذلك الجهد المركز الذي بذل للانتقال من مرحلة «الإسلام هو الحل» إلى أخرى ركيزتها الأساس: «هذا هو الحل الإسلامي»، توصيفا وتنزيلا وتخصيبا.

نعم، لا جدال في أن الصف الإسلامي قد يضم بعض العناصر

الناشزة، لكن الجمهور يتمسك بمطلبه الكلي إلى حد الاستماتة، ألا وهو: «نريد أن نُحكَم بالإسلام»، وهو خيار يباين كثيرا ما يتهمهم به كثيرون من خصومهم بأنهم طلاب سلطة مثل بقية خلق الله ليس إلا، وهو ما فطن إليه بعض من نادى بتعديل الشعار لغرض التخفيف من غلواء السلطان العاض، الحريص على الكرسي الدوار حتى ولو أحاطه بسياج من جماجم خيرة أبناء الشعب، ليصبح الشعار: «نريد أن نَحكُم بالإسلام».

من الشبهات القول بأن الإسلاميين لم يستطيعوا استمالة قلوب الآخرين وفرض نموذجهم، وإنما الديموقراطية، بمعناها النموذج الغربي المتفوق، هي التي انتصرت حين قبل الإسلاميون، مرغمين أو مناورة، بقواعدها وآلياتها لتمرير الكرة بين الفاعلين.

في هذه المقولة كثير من التهافت، لأن التيار الإسلامي لم يرفض الديموقراطية- باعتبارها آليات أثبتت التجارب فاعليتها في مجال خلق أجواء ملطفة تمكن من التبادل السلس والسلمي للسلطة وفق عقد شرعي بين الأمة وبين من ترتضيه للتفويض- وإنما ظلت تقول بأن ما عندها «الشورى الملزمة» (٣) أصلح وأقرب إلى منطق وعواطف الأمم التي يعملون لحسابها ويضحون لإسعادها.

على حَمَلة المشروع الإسلامي، وهم يجتازون القنطرة الفاصلة أو الرابطة بين الحركة والدولة، أن يفقهوا التبدل العميق والهائل الذي طرأ في مفهوم ووظائف الدولة وفي جملة المتغيرات الكثيرة في التنظيم والعمران والمطالب الاجتماعية والعقلية الناشئة لدى الشعوب الإسلامية جراء انفتاحها على الغير وهم في حالة بين الصحوة والسبات، ويعملوا على إنتاج منظومة فقهية حية مرنة وواقعية تستجيب لتلك المطالب المشروعة وخاصة على خلفية وجود مؤشرات تؤكد بأن «الآخرين» قد لا يلبثون أن يقصدوا ديارنا بحثا عن النموذج الأوسط الصالح لتلقيح نموذجهم المهترئ بعد أن جرينا وراء سرابهم ردحا من الزمن قبل أن نثوب إلى رشدنا.

من المسائل الجوهرية التي يجب الاهتمام بها، التفريق بين التوفيق الإلهي في تحقيق مكاسب في مجال المدافعة، والذي يستند إلى معايير الصلاح الداخلي والتأهل للإسناد واستنزال رحمات السماء بالأسباب، وبين تفويض من جمهور الأمة الذي يشترط لنفسه ببيع يبايع به من يرتضيه توثيقا وتزكية، حتى إذا تكشف له خلاف ذلك حُق له سحب الثقة كما كان قد حجبها عن غيرنا.

وفي هذا المقام نستعير ما قلناه في مناسبة سابقة:

«أولا، أذكرهم (القيادة الإسلامية الجديدة) بأن النجاح صعب، لما يتطلبه من جهد ومعاناة وتضحية بالمال والجاه والأنفس، لكن الأصعب منه الحفاظ على المكاسب وحسن إدارة معركة النصر مع الذات ومع الأعوان والأنصار ومع الخصم المتربص الذي لن يسلم بهزيمته وإنما سيعيد الكرة؛ وأن يستحضروا بأن المسيرة لا تزال طويلة لأن الهدف ليس مجرد إقامة أنظمة تحت لافتات «إسلامية»، وإنما استئناف المسيرة الحضارية للأمة، وأن يقدموا نموذجا عمليا رائعا يجتذب الأنظار كما أحسنوا فن التسويق والعرض» (٤).

ختاما، بعد أن ظل الإسلاميون يوصفون بأنهم ينتمون إلى الطراز النادر من القيادات الصالحة والذي يقل عند الطمع ويكثر عند الفزع، يبدو لي أن اللحظة التاريخية قد أزفت لاختبار قدر مصداقيتهم في تمثيل هذه المقولة عن بناة الحضارة الحقيقيين.

نعم إن تحقيق النصر مسألة تحتاج إلى جهد وجهاد ومعاناة وصبر ومثابرة ومرابطة وربما التضحية بكل شيء، لكن الأصعب من ذلك أن نستحق النصر حين نرتفع إلى مستواه ثم نستوفي شروط إدامته على النهج الذي يرسمه كتاب الله وهو يتحدث عن بعض قواعد بناء الحضارة الإنسانية من حيث البقاء والزوال:

﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾ (الأنفال: ٥٣).

الهوامش

١- من أوضح المواقع التي ورد فيها هذا الوعد الإلهي الجازم في كتاب الله ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليَستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين مِن قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾ (النور: ٥٥).

٢- البيت للعالم والأديب الموريتاني د.محمد الحافظ ولد السالك.

٣- للتوسع في الموضوع يراجع: «الشورى في معركة البناء» للشيخ د.أحمد الريسوني، و«الشورى والاستشارة» د.توفيق الشاوي.

٤- انظر مقابلة مع الكاتب أجراها رجب الدمنهوري مدير تحرير مجلة العالمية ونشرتها جريدة الحرية والعدالة في مصر في ٢٠١٢/٢/٢٢م.

الأوقاف تودع الشيخ أحمد جلباية

التحرير

فقدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت أحد أبنائها البررة المرحوم- بإذن الله تعالى- الشيخ الجليل أحمد أحمد محمد جلباية، عن عمر يناهز الـ ٩٠ عامًا تقريبًا، وذلك يوم الخميس غرة ربيع الآخر عام ١٤٣٣هـ، الموافق الثالث والعشرين من فبراير ٢٠١٢م في بلده الثاني الكويت.

إن أقل ما توصف به مسيرته.. أنها رحلة علمية دعوية، بدأها منذ نعومة أظفاره بحفظه للقرآن الكريم، ثم بدأ الدراسة في الأزهر الشريف حتى حصل على شهادة العالمية مع إجازة الدعوة والإرشاد في الأول من يناير عام ١٩٤٩م، وكان في ذاك الوقت قد بلغ الرابعة والعشرين من عمره، وبعد تخرجه بأشهر بدأت رحلته تأخذ منعطفا جديدا بدخوله حقل الوعظ والإرشاد والعمل بالدعوة، حيث عين في شهر أغسطس عام ١٩٤٩ إماما وخطيبا في جمهورية مصر العربية، واستمر الشيخ في هذا العمل حتى عام ١٩٥٥م، ولأنه كان خطيبا مفوهًا وداعية مخلصا ذاع صيته، مما كان سببا في اختياره للسفر إلى لبنان- ضمن بعثة الأزهر الشريف- ليعمل به داعية وإماما وخطيبا من ١٩٥٦/٧/٢٣ إلى ١٩٦١/٦/١٤، ثم عاد إلى مصر ليواصل عمله في حقل الدعوة حتى عام ١٩٦٤، عندما تم اختياره ضمن جماعة من الدعاة والوعاظ للسفر إلى دولة الكويت التي بدأ العمل بها كإمام وخطيب في١٩٦٤/٣/١١، واستمر بها إلى أن وافته المنية وانتقل إلى جوار ربه ملبيا نداء الحق.. بعد رحلة طويلة مع الدعوة قضى منها في الكويت ٤٤ عامًا، أي ما يقرب من نصف عمره، عمل خلالها في أماكن عدة ومهام متنوعة، فقد عمل في لجنة الفتوى، وتولى الفتوى الهاتفية بوزارة الأوقاف، وعمل في دور القرآن الكريم، وانتهى به المطاف موجها فنيا عاما بمكتب الشؤون الفنية التابع لقطاع المساجد، وخلال هذه الرحلة ألف العديد من الكتب والأبحاث، وشارك في مؤتمرات وندوات ودورات، وتتلمذ على يديه كثير من الشيوخ وطلبة العلم الذين يعملون في حقل الدعوة الآن ويدينون له- بعد الله- بالفضل.

رحم الله الشيخ جلباية، العالم العامل رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، جزاء ما قدم للدعوة الإسلامية من جهد مخلص شهد به كل من عرفه من أصدقائه ورفقاء دربه وتلاميذه ومحبيه.

رفيق الدرب المستشار الشرعي لقطاع الإفتاء والبحوث الشرعية الشيخ حسن مراد مناع يقول عن الفقيد: بالأمس القريب ودّعنا وودعت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، رائدًا من رواد الدعوة الإسلامية، وعلمًا من أعلامها البارزين، وهو العالم التقي النقي فضيلة الشيخ احمد جلباية.. عاش على أرض الكويت قرابة نصف قرن واعظًا يأسر قلوب سامعيه بأسلوب سهل، وفكر مستنير، وعمق في التناول، حرص على منهج الوسطية، سار في ظلالها طوال حياته، سواء في محاضراته، أو دروسه، أو خطب الجمعة أسبوعيا.. وهذا من فضل الله وتوفيقه له.

فقيدنا الغالي.. حرقة الفراق تعصر قلوبنا ألما ومعاناة، وعزاؤنا في رحيلك أنك قدمت طول حياتك خير زاد وأنبل عطاء، وظلت رايتك طول عمرك بيضاء، وسيرتك تعطر الأجواء.

ومن فضل الله أن وهبك قوة الحفظ والاستيعاب، فكنت تحفظ القرآن الكريم حفظًا مميزًا مع فهمه وتجويده، وأسندت لك وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وظيفة «رئيس المكتب الفني» سنين عديدة، فكنت صادقًا أمينًا، ما غضبت من أحد، وما غضب منك أحد، شهد لك بالفضل كل من تعامل معك.. نحسبك كذلك ولا نزكي على الله أحدا.

رفيق الدرب وصديق العمر، أسأل الله أن يجعلك ممن منّ عليهم، ففغفر لهم، وأدخلهم رياض جنته، فأخبرنا الله عن حالهم بقوله: ﴿يا ليت قومي يعلمون. بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ آمين.. آمين.

إصلاح التعليم الديني

د.مسعود صبري

كانت الأمة قديما تمتلك ثقافة شرعية، ولم تكن تلك الثقافة للخاصة، بل للعامة أيضا، ولا يعني هذا أن الأمة كانت كلها متخصصة في علوم الشريعة، فقد كان لأهل التخصص ما يجعلهم مرجعا للعوام والمقلدين، ولكن كان للمتخصصين علم، وللعوام ثقافة، وشتان ما بين الأمرين، بل إن ثقافتهم- قديما- ربما وازت علم كثير من العلماء والباحثين المعاصرين، ذلك أن المجتمع كان عنده إدراك لقيمة العلم، ليس في العلوم الشرعية فحسب، ولكن في جميع العلوم، فرأينا المبرز منهم اتسم بالموسوعية، فتراه طبيبا، وفلكيا، وفقيها، ومحدثا، وعالما باللغة والبلاغة، وعالما بالحساب وغير ذلك من العلوم.

إن ساد التقليد قرونا في حياة المسلمين، فإن هذا لا يعني انعدام العلم عندهم، أو أن يكون خلا عصر من العصور، أو مجتمع من المجتمعات من مجتهدين عظام؛ إذ تخيل خلو عصر أو مجتمع من المجتهدين يستحيل شرعا، كما أنه ممنوع عقلا، ولكن ربما تقل رتبة الاجتهاد، كما الحال مثلا في عصورنا، فرغم وجود عدد من المجتهدين- ولو بشكل من الأشكال- فإن هذا لا يعني أن علماء العصر حصلوا علوم السابقين.

ومن هنا: فإن الحملة على المذهبية الفقهية، واتهامها بأنها كانت سببا من أسباب تخلف المسلمين ضرب من الظلم والحيدة عن الحق، ذلك أن المذهبية كانت خيرا على الأمة، فجعلت مئات وآلافا في كل مجتمع في عداد العلماء الثقات، وطلبة العلم المتميزين، مما كان له أثر في انتشار الشريعة علما وثقافة عند الخاصة والعامة بقدر معين، وإن كان هذا لا يعني أن هناك ملاحظات نقدية على عصور التقليد، وعلى المذهبية أيضا.

وإن كان عصرنا قد اتسم بتوافر وسائل العلم، فقد كان للطباعة أثر كبير في انتشار الكتب العلمية بعد

ثقافة القدماء توازي علم المتخصصين اليوم وربما تفوقها.. والجمع بين العلم والأدب والتربية طريق النهضة

أن كان يجلس العالم أو الناسخ ينسخ الكتاب بيده شهورا، وربما لم يكن هناك من بعض الكتب إلا أعدادا قليلة في العالم الإسلامي كله، فانتشرت - بعد الطباعة- المكتبات ودور النشر ليجد القارئ والمطالع بغيته فيما يريد من كتب، ثم جاءت ثورة الاتصالات لتساعد أيضا في نشر الكتب على نطاق أوسع، فبدلا من الذهاب إلى المكتبة، أو التواصل معها إن كانت في غير بلد المشتري؛ أضحى من السهل أن يحصل الإنسان على نسخة الكترونية من الكتاب وهو في بيته، كما أنها أتاحت انتشار عدد كبير من الكتب النادرة، التي كان من الصعب الحصول عليها.

ورغم انتشار الكتب والطباعة، فإنه حصل تراجع في العلم والتعلم، وانطبع هذا على قادة الفكر الديني في المجتمعات المسلمة، فبعد أن كان طالب العلم يربى على يد العلماء والشيوخ، فيحصل علما حقيقيا من خلال متابعة الشيخ ومدارسته، واطمئنانه على ما حصله طلابه، أضحى تحصيل العلم من باب الثقافة، فاهتمت بعض المدارس الحديثة بالمنهجية دون تحصيل الفروع، رغم الاختلاف حول القواعد المنهجية ذاتها، كما أن هناك الدراسة النظامية في الجامعات، وهي أيضا تحت نحو مفاتيح العلم وليس تحصيل العلم، وأضحى هم الأستاذ- تحت ضغط المعيشة والترزق- أن يؤلف كتابا؛ ليتحصل من ورائه على لقمة عيش، لا أن يختار من الكتب التي رزقت شهرة، وتعد كتبا معتمدة في التعلم والتحصيل، فأضحى خريجو الجامعات لا يتخرجون بعلم، وإنما يتخرجون بثقافة أو مفاتيح علم، ربما كان العوام قديما يتحصلون على هذا القدر الذي يتحصل عليه الآن طبقة من الدكاترة في الجامعات.

وخلافا لهذا، فإن طريقة السلف الصالح في تعلم العلوم الشرعية كان

يصحبها منهج تربوي، إذ يصاحب الطالب شيخه، فينهل من أدبه وسلوكه وأخلاقه، فكان القائم بالتدريس ليس مدرسا فحسب، ولكنه كان معلما ومربيا ومؤدبا، وانتهينا في نظم الدراسة الآن إلى تحصيل قشور من العلم ليس إلا.

واستغل هذا الوضع بعض من الدعاة، فاتهموا التدريس النظامي بالقصور وأنه مجرد قشور- وهو اتهام فيه بعض الشيء من الصحة-، لكنهم أخذوا شكل تحصيل العلوم الشرعية وتدريسها على طريقة السلف، دون السير على المنهج نفسه، فظهر فيهم من مدرسة السلف المظهر دون الجوهر، فيكفي إسناد الأقوال إلى ابن فلان أو ابن فلان، مع نقد المدرسة الأكاديمية لتضخيم حجم المدرسة التي ظاهرها منهج السلف ونصرته، وحقيقتها أنها تندرج تحت مدرسة القشور لا الأصول.

وهناك بقية من العلماء الذين تلقوا العلم على يد شيوخهم، ومازالوا يسندون العلم إلى أهله، بالتسلسل الذي اشتهرت به الأمة وتميزت، وهم بقية صالحة، كأنه أشير إليهم في حديث رسول الله ﷺ فيما ورد عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى للغرباء. قلنا: وما الغرباء؟ قال: قوم صالحون قليل في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم» (١). فغالب العلماء الذين يسيرون على نهج السلف في تعليم الأمة مغمورون، وقليل من اشتهر منهم.

وتكمن من جراء ذلك مشكلة أيضا، وهي تعصب كثير من الطلاب الذي يحضرون عند هؤلاء العلماء، خاصة إذا قارنوا أنفسهم بزملائهم في المعاهد والكليات أو في محيط الدعوة، فيتولد عند البعض داء الكبر، لما يجد عنده من بعض العلم دون غيره.

أما عامة المسلمين، فقد اكتفوا بمشاهدة البرامج الدينية على الفضائيات، فهي زادهم، وربما كان مجرد ظهور شخص على التلفاز دليلا عندهم على أنه من العلماء، ولو كان غير متخصص، وهو- كما عند البعض- قد يرتقي في أحسن تقدير إلى طالب علم مبتدئ، فضلا عن تصدر البعض في غير تخصصه، ناهيك عن عدم تمكن عدد من المتخصصين في تخصصهم، مما نتجت عنه مجرد ثقافة عامة، وليس علما، ولو لاحظت كثيرا من الدعاة حين الحديث عن موضوع بعينه؛ لترى أن المادة متقاربة جدا، وأن كثيرا من الكلام مكرور، وذلك أن مصادر المعرفة والنقل تقاربت وكادت أن تكون واحدة في الغالب، وليس هناك من يتعب نفسه في البحث عن مصادر تأتي بجديد وعلم للناس، وكانت النتيجة أن كثيرا من الخاصة عندهم ثقافة وليس علما، أما العوام فعندهم مستوى أقل من تلك الثقافة، مما يعني تدهور مستوى تعلم العلوم الشرعية، ناهيك عن اضمحلال المستوى في المعاهد الدينية والجامعات الدينية المنوط بها تخريج العلماء الشرعيين.

وما أطرحه ليس نوعا من التشاؤم، بل هو نصح لهذه الأمة، والناصح يجب أن يكون أمينا، وإن كنا ندعو الأمة أن يكون عندها علم بدينها وعلومها، فإن هذا يتأتى من خلال تشجيع التجارب العلمية التي يقودها عدد من علماء الأمة من خلال الأخذ من علوم السلف دون تقديس أو تبخيس، مع تيسير تلك العلوم بما يتناسب مع لغة العصر، بالإضافة إلى اجتهاد الفقهاء المعاصرين في النوازل العصرية والمستجدات الحياتية، وإن من الحكمة أن نبدأ من حيث انتهى الآخرون، لا أن نبدأ من حيث ابتدأوا.

إن الأمة بحاجة إلى الدراسة المذهبية في العلوم الشرعية، ولكنها مذهبية معاصرة، تسهل الصعب، وتقرب البعيد، وتهتم بالجوهر دون المظهر، وتقدم الفهم على الحفظ، وتربي جيلا من طلاب العلم على أمل أن يكون علماء المستقبل في الأمة، فإذا كون هذا الجيل على أسس علمية أصيلة؛ كانت البداية لانتشار العلم بين عوام الناس، وكما فتحت علوم تجريبية كثيرة أبوابها للعوام، من خلال المتخصصين عبر نوافذ متعددة، فما أحوجنا إلى هذا المنهج في العلوم التي تتعلق بدين الناس،

مراعين مستويات الناس واهتمامهم، فليكن عندنا ثقافة شرعية لعوام الناس، وعلم أصيل عند المتخصصين من العلماء وطلاب العلم، فهذا أول الطريق إلى النهضة الحقيقية للأمة، إذا جمعت بين العلم والأدب والتربية، وامتزج كل هذا في شيء واحد، اهتماما بالعقل والوجدان، وتقويما للسلوك، ونشرا للأخلاق، ومن عجيب أنا رأينا أن بعض خريجي الكليات التجريبية، كالطب والهندسة وغيرهما فرغوا من أوقاتهم، وتتلمذوا على يد شيوخ ثقات، فأضحوا يعرفون من الشرع أكثر من المتخصصين، وهو أمر حسن، إذ الدين وعلومه ليست حصرا على فئة دون فئة، ولكنه سباق، كما قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين: ٢٦)، وقد كان العلماء من السلف- رضوان الله عليهم- لكل منهم مهنة وتجارة يتكسب منها بجوار انشغاله بالعلم، وقد أحرزوا السبق في هذا، أما الآن، فعندنا متخصصون لقمة عيشهم من تخصصهم، ولكن شتان بين الفريقين؛ إذ كان تعلم السلف العلم خالصا، فلما أخلصوا؛ فتح الله تعالى لهم من خزائن علمه ورحمته، كما قال سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (الشورى: ٢٠)، على أن هذا لا يعني أن ينفر الناس كلهم لتعلم العلوم الشرعية، بل المقصود أننا بحاجة إلى منهج السلف في تعلم كل العلوم الدينية والدنيوية، وأن تهتم الأمة كلها بالعلم في جميع التخصصات، لكن ليس على مستوى القشور والشهادات، وإنما على مستوى التمكن والقوة فيه؛ على أن يكون علما يقرب إلى الله تعالى، وينفع الأمة والبشرية، أما تلك الثقافات التافهة التي تنتشر في ساحات الفضائيات والإنترنت وغيرها من وسائل الاتصال، فلن تقيم أمة، ولن تصنع مجدا، ولن تنهض راقدا من ثباته، والإسراف في استعمال الترف لا يقود إلى خير، بل يقود إلى هلاك الأمم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء: ١٦)، فقبل الحديث عن الترويح على النفس والتخفيف والتيسير المدَّعى، يجب أن نقدم بين يديه عزما وقوة وعلما وعملا، كما قال سبحانه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧)، فقدم طلب الآخرة من العمل الصالح أولا، ومعه لا ينسى نصيبه من الدنيا، إذ التوازن من صفات هذا الدين، وإنما جعلت الدنيا مزرعة للآخرة، والعلم طريقا إلى نهضة كل أمة تسعى إليه.

إننا اليوم مع شيوع تلك الثقافة الواسعة نحتاج إلى منهج سديد لإصلاح التعليم الديني، يجمع بين الأصالة والمعاصرة، كما يجمع بين العمق والتيسير، ويراعي مقاصد العلوم دون الانشغال بحشو العقول بمعلومات، وأن يكون تعليما قادرا على إخراج متخصصين في مجالات الخطاب الديني بكافة أشكاله وأنواعه، مما يعني الحاجة إلى الاهتمام بالمناهج، والاهتمام بتكوين المعلم، والإفادة من الوسائل الحديثة في طرق التدريس مع الحفاظ على أصالة الطريقة القديمة، وتلك إشكاليات لا تحل في كلمات، بل تحتاج إلى جهد أكبر حتى نحقق ما نسميه (تجديد الخطاب الديني)، وآثاره الكبرى ليست فقط على المعاهد والجامعات الشرعية بل على المجتمع كله، لما لتأثير الدعاة والعلماء وخريجي المدارس والجامعات الشرعية على المجتمع كله.

الهوامش

١- المعجم الأوسط: ج٩/ص١٤ ح٨٩٨٦

الشيخ محمد غانم الجاسم الغانم إلى رحمة الله

كامل محمود محمد أبوزيد

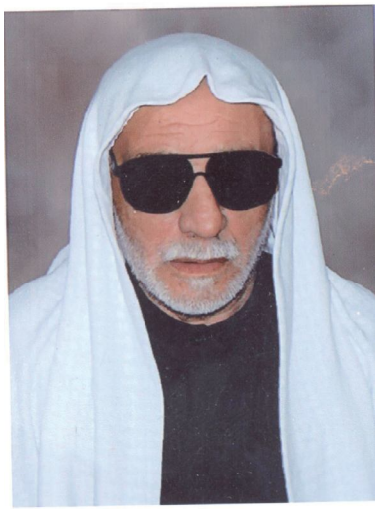

انتقل إلى رحمة الله تعالى عالم من علماء الكويت فضيلة الشيخ محمد غانم الجاسم الغانم في يوم السبت ٣ من ربيع الآخر ١٤٣٣هـ الموافق ٢٥ من فبراير سنة ٢٠١٢م امام وخطيب مسجد أبي هريرة رضي الله عنه، والشيخ الغانم ولد في حي الشرق بجوار مسجد سعد أخو ناهض في عام ١٩٣٦م بدولة الكويت وحفظ القرآن الكريم وهو في باكورة عمره ثم التحق بالمعهد الديني الكائن بسكة النفيسي آنذاك في بداية افتتاحه بعمادة شيخه الفاضل فضيلة الشيخ علي البولاقي وشيوخ أجلاء قاموا بالتدريس في هذا المعهد منهم الشيخ عبدالفتاح المنوفي رحمه الله وفضيلة الشيخ حسن مراد مناع أطال الله في عمره وفضيلة الشيخ عبدالوهاب الفارس وفضيلة الشيخ عطية الأثري وفضيلة الشيخ عبدالعزيز حمادة رحمهم الله تعالى وغيرهم من العلماء الأجلاء الفضلاء الذين تتلمذ عليهم فضيلة الشيخ الغانم حينما التحق بطلب العلم في المعهد الديني، وفي عام ١٩٥٠ عين إماما وخطيبا في دولة الكويت في أول مسجد عمل به مسجد رأس السالمية ثم عاد للعمل في مساجد شرق الكويت مسجد ابن خميس ومسجد سعد أخو ناهض ومسجد المطبة ومسجد الرومي والذي عمل فيه اكثر من ست وثلاثين سنة، ثم انتقل الى مسجد العوضي في بداية افتتاحه ثم عاد الى مسجد الرومي واستقر به المقام في مسجد ابي هريرة بعد مسجد الرومي إلى أن لقي ربه.

لقد تميز الشيخ الغانم رحمه الله بالحفظ والذكاء وسرعة البديهة وحبه للوعظ والخطابة في هذه المساجد وغيرها بل لم يقتصر وعظه وخطبه على مساجد الكويت بل امتد وعظه في اشهر مساجد القاهرة ومن هذه المساجد مسجد الإمام الشافعي ومسجد الإمام الليث بن سعد رضي الله عنهما وغيرهما من المساجد الكثيرة والتي كان يخطب فيها الشيخ دائما كلما كان يتردد على القاهرة ولم يقتصر عمل الشيخ على القاء الخطب والوعظ بل قام بجمع الخطب والدروس مع فضيلة الشيخ/ كامل محمود محمد ابوزيد امام وخطيب اول بمسجد قصر دسمان العامر، حيث يقول الشيخ في مقدمة الجزء الثامن من الجوهر المفيد في خطب الجمع والعيد:

«فلما من الله سبحانه علي من فضله بحفظ كتابه المبين وبعض من احاديث سيد المرسلين وعينت اماما وخطيبا في مساجد كثيرة من مساجد الكويت وتعرفت على فضيلة الشيخ/ كامل محمود محمد ابوزيد امام وخطيب اول منذ عام ١٩٨٢ وهو يقوم على تسجيل الخطب وقراءة الكتب الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وغير ذلك من الكتب النافعة والتي تساعدني على تحضير الخطب والدروس التي القيتها في مساجد الكويت.

لذا قمت مع الشيخ كامل بطبع سبعة اجزاء من الجوهر المفيد في خطب الجمع والعيد، والمختصر في فقه العبادات، ودروس اسلامية منوعة، ودروس ايمانية لشهر رمضان المبارك، وبعون من الله تعالى تم طبع هذا الجزء الثامن من كتاب الجوهر المفيد في خطب الجمع والعيد مع الشيخ كامل محمود ابوزيد».

رحم الله تعالى الشيخ محمد الغانم وأسكنه فسيح جناته فلقد ترك تراثا ومكتبة علمية نادرة مقروءة ومسموعة لعلماء فضلاء، لذا كرمته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية كثيرا بواسطة ادارة مساجد محافظة العاصمة في كل تكريم يكرم فيه العلماء.

رحم الله سبحانه وتعالى من مات منهم وأسكنهم فسيح رضوانه وجناته إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

إمام وخطيب أول بمسجد قصر دسمان العامر (الكويت)

القيادة المثالية والمصالح العامة

إبراهيم نويري

لعل من نافلة القول التذكير بأن مصطلح القيادة من المصطلحات التي لا تحوز على إجماع أو اتفاق تام في التعريف والتحديد والضبط المفهومي والدلالي، في كتابات المنظرين الاستراتيجيين أو السياسيين أو مفكري التنمية البشرية.. أو غيرهم من الكتاب والباحثين. ومن أسباب ذلك تداخل مفهوم القيادة مع مفاهيم أخرى قريبة أو مجاورة، بل هي من مكونات الشخصية القيادية، مثل الكفاءة في التسيير، والسيطرة أو التحكّم الجيد في العمل الموكل لقائد بعينه.. إضافة إلى تباين الأطر والمجالات والظروف التي تظهر فيها الشخصيات القيادية المؤثرة، وأنواع القادة والصفات التي تؤهلهم لهذا اللقب أو الموقع.. إلخ.

من أهم تعريفات هذا المصطلح:

■ القيادة هي مجموعة المبادئ والقواعد والأصول والنظريات والإجراءات والتصرفات والتوجيهات التي تصدر عن القائد أو المدير العام لمؤسسة من المؤسسات، أو تنظيم من التنظيمات، أو هيئة من الهيئات.

■ القيادة هي فن اختيار مجموعة من الناس بهدف تحريكهم أو توجيههم أو صياغتهم، قصد تحقيق هدف محدد، أو جملة من الأهداف.

■ القيادة هي فن التأثير في الآخرين، من أجل نشر فكرة أو أفكار معيّنة.

■ القيادة عبارة عن علاقة أو عملية متشعبة مؤسسة على التفاعل بين القائد والأشخاص المحيطين به، المتعاونين معه.

ومن خلال هذه النماذج ندرك أن الكلمات «المفتاحية» لمفهوم القيادة تتمثل في: التأثير- التنظيم- التأهيل- التخطيط- البرنامج أو الهدف- تحقيق المنجزات المعلنة أو المسطرة.. إلخ.

صفات الشخصية القيادية

لاشك أن الشخصية القائدة أو القيادية، تتمتع أو تتوفر على سمات تأهيلية نادرًا ما نجدها لدى غيرها، أو ربما جاز القول بأن الشخصية القيادية شخصية تجمّعت أو تجاورت فيها صفات ومكوّنات ومهارات غالبًا ما نلاحظ أنها تكون موزّعة- أي غير متجاورة- في الشخصيات غير القيادية.

ومن أهمّ الصفات التي ينبغي توفرها في الشخصية القيادية:

١- الاعتماد على الله والثقة بتوفيقه وسداده ونصره.

٢ - شحذ الهمّة والإصرار على ضرورة تحقيق الأهداف المرسومة.

٣ - تنمية عوامل القوة في النفوس، والقدرة على تحويل عوامل الضعف إلى قوة.

٤ - الاستعداد لتقبّل أفضل ما لدى الآخرين.

٥ - التحكم الصارم في الوقت وحسن استثماره.

٦ - الاهتمام بالنتائج، والتركيز على المنجزات الملموسة في الواقع، أو تلك القابلة للتجسّد.

٧ - حسن تحديد الأولويات، دفعًا لتشتت الجهد المبذول.

٨ - الاعتماد على المشاورة والحوار وتبادل الآراء، خاصة مع ذوي الخبرة والعلم والاطلاع الواسع، والعمق في التفكير.

٩- القدرة على تجاوز السلبيات حال ظهورها.

١٠- التواضع في الأفعال والتصرفات، وتوفير الأجواء والأساليب التنظيمية المناسبة التي تضفي المزيد من الفعالية على الأدوار المنوطة بكلّ شخص داخل الجماعة أو المؤسسة.

الرسول ﷺ أنموذج للقيادة المثالية

مما لا ريب فيه- في مقياس ومعيار التصور الإسلامي- أن رسول الله ﷺ، هو الأنموذج الفذ الكامل، الذي لا يتقدم عليه أي أنموذج آخر في كلّ مجالات وأنشطة الحياة، وقد كان- وهو يمارس القيادة الأنموذج والمثال- يعمل بالشورى، ويحاور أصحابه الكرام، ويستمع إلى نصحهم ووجهات نظرهم.

وإذا نحن أردنا أن نأتي بأمثلة، تُجلّي مبدأ الشورى في واقع القيادة النبوية، فإن السيرة العطرة مترعة بتلك الأمثلة البديعة المدهشة.

وبما أن الحياة متشعبة المناشط، فإننا سنكتفي بمجال قتال أعداء الإسلام الذين استكثروا عليه الحياة والامتداد الطبيعي، أثناء تلك الفترة المبكرة من ظهوره في شبه الجزيرة العربية. ومن أبرز المصطلحات المستعملة في هذا اللون من النشاط نجد: الغزوة، وتتضمن كلّ المعارك التي قادها النبي ﷺ وأشرف عليها بنفسه. والسرية، وهي عبارة عن مجموعة من الفرسان الأشاوس يقودها أحد أصحاب رسول الله ﷺ، حين يعزو له الأمر النبوي تنفيذ هذا العمل. وهناك أيضا الدورية، وهي مجموعة أقل من السرية، مهمتها جمع المعلومات الضرورية عن العدو، ورصد تحركاته،

ودراسة طبيعة الأرض المؤهلة لقيام المعركة أو الغزوة.. وهي قسمان: دورية الاستطلاع، عددها محدود جدا، ودورها- كما أشرنا- يتمحور حول جمع المعلومات وتقديمها للقائد. ودورية القتال، وعددها أكبر، وبما أنها تتوقع المباغتة من العدو فإنها تكون على أهبة للقتال عند الضرورة، ولهذا السبب تحديدًا فإن جاهزيتها، من حيث السلاح والاستعداد لمنازلة العدو، تفوق بكثير دورية الاستطلاع.

وفي هذا المجال الذي تمّ تحديده نجد أن مفهوم القيادة في المنظور النبوي أو المنظور الإسلامي الحق لا يقوم على المفهوم الكاريزمي/الفردي.. بل هو مفهوم جماعي مؤطر ومؤسس على قاعدة الشورى والجماعة.

فالمتأمل في أحداث وفصول السيرة النبوية الشريفة يلحظ بيسر مدى بسط قيمة الشورى وتماشيها مع موقع القيادة، فقد كان نبي الهدى ﷺ وهو في موضع القيادة، وقبل ذلك والأهم من ذلك في مقام النبوة أنه يفسح المجال لأصحابه لإبداء آرائهم وبسط وجهات نظرهم، ما دامت المسائل المطروحة ذات طبيعة مفتوحة للاجتهاد، أي لم يحسمها الوحي بنص قطعي الدلالة. ففي غزوة بدر الكبرى رأينا كيف أن رسول الله ﷺ يستشير أصحابه في الخروج أو عدم الخروج، ونرى الصحابي الحباب بن المنذر يغيّر الوضع القتالي في هذه الغزوة (بدر) بعد أن علم أن الرسول الكريم لم يُنزلهم المكان الذي نزلوا به بادئ الأمر بنص من الوحي. ونرى الصحابي الجليل سعد بن معاذ يمزّق ورقة المعاهدة التي عقدها النبي ﷺ مع أهل الطائف في غزوة الأحزاب، بعد مفاوضات طويلة وشاقة بين الرسول وبينهم.. وذلك لأن الحصار اشتد على المسلمين، وزلزلوا زلزالاً شديدًا، فرأى ﷺ أن يبادر إلى شيء يخفف به متاعبهم ويفرّق جمع الأعداء، فدخل في مفاوضات مع أهل الطائف، واتفقوا على أن يرجع الطائفيون ولهم ثلث ثمار المدينة، فسأل سعد رسول الله ﷺ عن ذلك، وهل للوحي دخل أو توجيه فيه؟ فقال ﷺ: «إنما هو أمر صنعته لكم رجوتُ من ورائه الخير»، فأخذ سعد المعاهدة ومزّقها- وقد كانت معدّة للتوقيع- قائلا: إنهم لم ينالوا منا ثمرةً إلا قرى، أفبعد أن أعزّنا الله بك يأخذون ثلث ثمار المدينة عنوة؟ لا والله لا يكون!!(١).

وتشير كتب السيرة إلى أن رسول الهدى ﷺ لم يغضب من تصرف سعد رضي الله عنه، وأن المسلمين اغتبطوا وسروا كثيرًا بهذا الموقف، على الرغم من أنه في ظاهره اعتراض على القيادة.

إنها قيادة من نوع خاص، تجعل الشورى ركنًا ركينًا في كلّ ما تزاوله من أعمال أو ما تخطط له من مشروعات وبرامج، ومعنى ذلك أن القيادة في المنظور والتصور الإسلامي قائمة على ركيزة الشورى «التي يُسمح بموجبها لكلّ فرد في الجماعة أو المجتمع بأن يُسهم بالرأي والمشورة التي يمكن أن تخدم الصالح العام. كما أن التعاون والعمل بروح الفريق الواحد هما السبيل الناجع لبقاء الجماعة وتماسكها وتحقيق ما تصبو إليه من سعادة ورفاهية»(٢).

فوائد القيادة الجماعية

مما تقدّم نستنتج أن الإسلام يرحب ببروز المواهب والمهارات القيادية في الأفراد، باعتبار أن الأمة المسلمة هي المستفيد من تلك النماذج الإنسانية القيادية الصالحة، بيد أنه- عند الموازنة- يفضّل القيادة الجماعية، سواء في المجال السياسي أو العسكري أو الإداري، بل حتى بالنسبة للاجتهاد الشرعي- خاصة في النوازل والمسائل الطارئة- فإنه يقدّم الاجتهاد الجماعي على الاجتهاد الفردي.

إن هذا التفضيل نابع من قيمة الشورى وبركتها وخيريتها، باعتبارها إطارًا تنظيميًّا ضامنًا لسلامة التصرّف، والإحاطة المستبصرة بكلّ أبعاد وتداعيات القرارات والمواقف والإيعازات والإسنادات ونحوها.

وقد أكّد القرآن الكريم ذلك في قول الله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (الشورى: ٣٨). كما أكّده بصيغة الأمر الدال على التحتيم والوجوب في قوله جلّ شأنه: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ (آل عمران: ١٥٩).

ومن أبرز إيجابيات القيادة الجماعية:

١- أنها أسلم وأقرب إلى إدراك المصالح العامة والخاصة على السواء.

٢- القرارات فيها لا تكون متسرعة، مثلما هو شأن القيادة الفردية.

٣- استعراض كافة الآراء وتمحيصها، مما يسلب المعترضين حجّتهم، وبذلك تكون النفوس أقرب إلى الرضا والقبول.

٤- شعور الفرد بقيمته داخل الجماعة أو المجتمع، الأمر الذي يجعله أكثر عطاءً وأكثر فاعلية فيما يُنسب له من أدوار وأعمال.

الهوامش

١- محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، دار الشروق، بيروت، ط٧، ١٩٨٠م، ص٥٦٢.

٢- أحمد العجارمة، التحديات التي يواجهها مفهوم القيادة في القرن الحادي والعشرين، مجلة القافلة، العدد ٢، المجلد ٥٠، صفر ١٤٢٢هـ / أبريل - مايو ٢٠٠١م، ص ٨.

العولمة والقراءة

عبدالله آيت الأعشير

من الحَتم المَقضيِّ في هذا الابتسار، الإشارة إلى أن التغيير قد تَنَفَّسَ صبحه، وأنارت أضواؤه، وتجلت بداياته المتبرعمة، فإذا كان هناك من عمي عن إبصار هذه الأمور الثابتة التي ليس لها ردّ، فذلك من عمى العقول.. وعلى العموم فإن الزمان يقوم بجهاز التنقية، يبقي المفيد، ويذهب البهرج والغثاء، الذي يطوي الناس كشَحَهُم عنه، ثم يسقطونه في سَفط السَّقط، بعد أن انطفأت الرغبة في الإقبال عليه.

ذلك هو قانون الحياة في أثناء الهزات المرجرجة التي تحدثها التغييرات المتوقعة، فماذا نحن فاعلون إزاء هذا التدافع الدولي الذي لم تحلق أجنحتنا صوبه، ولم تكن لنا فيه غاية حق نرجو بلوغها؟ أيحق لنا أن نظهر الريبة والدهشة نتيجة لوقع الصدمة المربكة، فنهوي في دَرَكات الرفض غير المسوَّغ؟ تماما كما فعل السابقون منذ عهد أفلاطون، الذي أظهر تبرمه وانزعاجه من الكتابة في قولته المشهورة التي دافع فيها عن الثقافة الشفهية: «الكتابة تدمر الذاكرة، فأولئك الذين سيستخدمونها سوف يصبحون كثيري النسيان»(١)، أم علينا أن نكتفي بإطلاق الأماني المعجزة، كما فعل آخرون في أمانيهم التي لا تَعدُ بسوى بَرْق خُلَّب؟

أمَا آنَ لهذا الليل الأليل أن ينجلي؟! لننتبه إلى ما اقترفته غفلتنا في التحصُّن بغير قليل من المعارف الخاوية مثل مُومَات النَّحل، حتى اضطررنا إلى التسول، واقتناء أشيائنا، صغيرها وكبيرها هينها وعظيمها، وكثير من أفكارنا من سفط السقط الذي زهد فيه الآخرون الذين مدُّوا بعقولهم أسبابا إلى السماء حتى ملكوا بسلطان العلم والمعرفة كل المجرات؟ لماذا أضحى الاستعجال(٢) عنوانا لمشروعاتنا التي لم نخمرها بما يلزم من الجهد والوقت، فبقي عجين معلوماتنا فطيرا لا يصلح أن يكون مادة للمعارف الرُّطب الضامنة لتقوية العقول القادرة على التعامل مع المعارف والمناهل الدقيقة المتدفقة التي يوفرها مجتمع المعرفة المعولم؟ ما هي الحذاقة والمترَهيَّة المطلوبتان لتنقية طوفان العولمة من المعايب، وتخليصها من الحبائل الشيطانية الليطانية التي تغري المتعجلين بركوب غمار يَمِّها الذي لا يُنْكَشُ؛ فتقذف بهم ريحُها القاصف إلى الزوايا المُهيِّجة والمحادثات المُلهيَّة عن تَمثُّك واستقطار رحيق المعارف الشائقة التي لا تدرك إلا بالمكابدة التي تبيد الأظلام المركومة، عن الأيمان والشمائل؟

هذه مجرد إلماحة ابتسرت بها الحديث عن العولمة والقراءة، وبما أن العولمة عولمات، والقراءة قراءات، فإنه كان من وَكْدي وسَدَمي في هذا البحث أن أنظر إليهما كشفرتَي المقص، لا يمكن أن تحدثا أثرهما المرغوب إلا إذا اجتمعتا، كما تجتمع حبَّات الجُلبان في سَنِيفها، بل قُل كما تُجمع النِّبال في الكِنانة. العولمة بوسائلها التقنية التي هَتكت أستار الخبايا والزوايا المغطشة، والقراءة والقراء باعتبارهما أنجع السبل لاصطناع المعرفة والتقدم لامتلاك المجرات لأجل قيادة الجنس البشري؛ لأن الذين سيقودون المواكب الإنسانية هم الذين يعرفون كيف يقرأون، وماذا يقرأون؟ وكيف يفتحون الميادين الموصدة بمقاليد جديدة لا قِبل لنا بها، لأنها من مواليد العصر الرقمي المعولم، الذي تعد الشابكة (الإنترنت)بمثابة حياة متجددة تمدها المدونات والمواقع بالأفكار التي تقول كل شيء بحرية لا ضفاف لها؟

قال عباس محمود العقاد:«لست أهوى القراءة لأكتب، ولا لأزداد عمرا في تقدير الحساب، وإنما أهوى القراءة لأن لي في هذه الدنيا حياة واحدة، وحياة واحدة لا تكفيني، ولا تحرك كل ما في ضميري من بواعث الحركة، القراءة وحدها هي التي تعطي الإنسان الواحد أكثر من حياة واحدة، لأنها تزيد هذه الحياة عمقا، وإن كانت لا تطيلها بمقدار الحساب.. فكرتك أنت فكرة واحد، شعورك أنت شعور واحد، خيالك أنت خيال فرد واحد إذا قصرته عليك، ولكنك إذا لاقيت بفكرتك فكرة أخرى، ولاقيت بشعورك شعورا آخر، ولاقيت بخيالك خيال غيرك، فليس قصارى الأمر أن الفكرة تصبح فكرتين، وأن الشعور يصبح شعورين، وأن الخيال يصبح

أكاديمي مغربي

خيالين..كلا وإنما تصبح الفكرة بهذا التلاقي مئات الفكر في القوة والعمق والامتداد»(٣).

ولهذا حرَص الكاتب الأرجنتيني ألبرتو مانويل على التحريض على القراءة؛ لأنها الأداة المثلى التي تمدنا بمعارف جديدة لصيانة وجودنا الناقص، لأن عصر العولمة أصبح يتطلب استراتيجية محكمة في فن القراءة، وفي غيرها من المهارات اللغوية المرتبطة بالسماع والحوار والكتابة، أملا في تجنيب حواراتنا خطل الكلمة التي لا تصيب المَحَزّ؛ إذ كلما كانت اللغة سليمة كان ذلك أدعى لسلامة الفكر الذي تقوله تلك الكلمات، لهذا يجب أن نحرص على فهم الكلمات وما تقوله قبل استخدامها، إذ لو أنزلنا كل لفظة المنزلة التي ترضاها وتقتضيها لما سمحنا لأنفسنا أن نقبل استخدام كلمات وعبارات من مثل: عملية السلام والمستعمرات ودول الطوق والمفاوضات غير المباشَرة ودول الاعتدال ... وغيرها من العبارات التي حقنها الآخرون حقنا منكرا حتى خفي عنا ما تستره من معان لا تخطر على قلب عربي. حيث إن عبارة «عملية السلام» تشير إلى أن السلام المرجو سيرورة ليست لها نهاية، فهو يبتدئ بعملية تتلوها عمليات أخَر لا أول لها ولا آخر، أما المستعمرات ودلالاتها فتعني الأماكن العامرة المشيدة، بخلاف ما نظنه نحن- العرب- حين نجعلها مرادفة للخراب والدمار.. وغيرها من العبارات التي أخذتْ على غرِّها فلم يُدرك غَوْرُها، ولم نستَوْشِ حقيقتها بما يلزم من اللَّوْذَعيَّة والحذاقة التي تضع اليد على أنواع الحيل التي يُسَوِّغ بها الغرب المعَوْلَم كل جرائره، لذا أصبح من اللازم على القراء المثَّرهيِّين النَّبهاء تجاوز القشرة اللغوية الباردة لما تقوله الكلمات، بحثا عن غور المعنى الذي يصر المبدعون على إخفائه عن القراء المتعجِّلين الذين يكتفون من الغنيمة بالإياب.. فهل دخلنا غَمَرات العولمة من دون تعلم العَوْم الذي يُنْجينا من الغَرَق؟

العقاد: القراءة وحدها هي التي تعطي الإنسان الواحد أكثر من حياة واحدة

ماذا حدث لنا في أثناء طوفان العولمة؟

الحديث عن العولمة طويل الذيل قليل النيل، ما فتئ يتوالد بعديد الترجيحات، كل ترجيحة تسعى أن تتشِّم في الموضوع شيئا يسيرا، من دون أن تستوفي شرائط القبض على هذا المارد الذي أبدى للناظرين رؤوس شياطين، بعضها ليّن مثل العُسْلوج الأمْلود يَسْهُل ليُّه في كل اتجاه لتُكَوِّن تلك الأغصان الأماليد شبكة القوى اللينة، وبعضها الآخر رؤوس شائكة؛ لا يقدر عليها إلا الجهابذة المُبَرِّزون الذين أتوا حظا عظيما من العلم والمعرفة، فما هي إذن نماذج الرؤوس التي دخلت إلى ساحاتنا العربية من غير إذن؟

لا ريب أن الرؤوس اللينة التي تخاطب الحواس هي أكثر الأصناف التي تفاعلنا معها، متمثلة في عولمة (الماكدونالد)، وعولمة (السّموزف)، و(الهيبْ هُوبْ)، وعولمة الأجساد الرشيقة الناعمة، وأدوية إزالة التجاعيد، وأدوات امتصاص الشحوم الزائدة في الخصور البدينة. ومن ثمة غدا حلم بناتنا ونسائنا متجليا في كيفية انتقار الطريقة التي تبدي زينتهن على الشاكلة الباريزية، أما أولادنا فإن قَصَّ الشعر على الطريقة القَزَعيَّة(٤) أعمت بصائرهم، فأصبح كل مرغوب لديهم أن يتشبَّهوا بالمُغنيِّ الفلانيِّ، أو اللاعب العلاّني، الذي يبدو كأنه وضع حُماضة ديك على قِمَّة رأسه. هذه الأنماط العولَمية وغيرها من أصناف أكبر طبق للكسكس؛ وهلم على ذلك جرا وسحبا هي السبيل اللاحبة التي وضعنا فيها صوى تهدي الآخرين إلى جولة سياحية تريح عقولهم من أشهر الكدّ والبحث والتجديد التي يكابدونها في مُعْتَمَلاتهم، تلك بنظرة الطائر هي الأنماط التي تعلقنا بها حتى ألهتنا عن إبصار قَحَم الطريق التي وُضِعَتْ لنا لكي لا نسلك السبيل الجُدَدَ التي تُوصلنا إلى ثقافة مجتمع المعرفة. وهي خطة بزلاء دبّرها الغرب لتكون مجتمعاتنا العربية مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ودَخَلا بيننا حتى زَلَّت أقدامنا عن طريق العلم، فما كان لنا من سند ينصرنا وما كنا من المنتصرين، فأصبح الذين تمنَّوا مكانتنا بالأمس، عالين في الأرض ملوِّحين بمنطقهم الفرعَوْنيِّ الاستكباريِّ: ما نريكم إلا ما نرى، وما نهديكم إلا هذه السبيل، ومن يزغ منكم عن أمرنا نُضْله سعير قنابلنا الذكية، وهو في كل الأحوال من الخاسرين. يا لَهُ من ضياع جعلنا لا نستفيد من هذا الإلغاء، بالحضِّ على القراءة التي تُعَدُّ فاتحة الإعداد المستطاع لمواجهة هذه الإملاءات المنكرة التي على المحو والإهانة!

وقبل أن تُوَلِّد العولمة صعوبات أخَر ليست في حساباتنا؛ علينا نحن- العرب- أن نتعلم ولو بطريقة تحليق ابن فرناس آخر، عسانا نصنع مغامرة مبهرة!!

من تأثيرات العولمة على القراءة

أشرنا آنفا أن العولمة فلوج متحدِّرة من هنا وهناك، (عولمة الاقتصاد، وعولمة التجارة، وعولمة الصناعة، وعولمة السياحة، وعولمة الثقافة وعولمة السياسة...) لكن هذه الروافد تلتقي عند المصب لتكون سيلا جُرافا قحافا

لا يُبْقي ولا يذرُ إلا ما يبقيه الوشم في ظاهر اليد، غير أن الناظر لا يعدم أن يبصر في صُوَرِيّ هذا السَّيْل مياها شبه هادئة هي بمثابة القوى اللينة التي تحدث في منظومة الثقافة ما يحدثه الماء في الصخرة الصماء، حيث إن تكنولوجيا المعلومات مست القراءة مسّا زوبعيا لم يكتف بتحريك الظاهر فقط، بل أحدثت ريحها رجّة أسقطت من شجرة المعرفة البدايات المُتَحصْرِمة التي لا تقوى على الاستمرار في رحلة التبدل والتغيير، لكنها أبقت على البدايات المُتَبَرْعِمة والمُتَحَصْرِمة التي يُؤمل لهلالها أن يصير بَدْرًا في أثناء قانون النشوء والارتقاء. ولا ريب أن هذا التأثير ذا المخلفات المتباينة هو الذي دعانا إلى الحديث عن محمدات العولمة ومضارها بالنسبة إلى القراءة.

أ- مَحْمدات ومَرْحَمات العولمة بالنسبة إلى القراءة:

في إيمان لا يساوره رسيسٌ من الريب أؤكد أن تكنولوجيا الإعلام والاتصال أسهمت في زيادة نسبة القراءة والقراء في المجتمعات العربية، كما أتاحت هذه التكنولوجيا الفرصة لانتشار المعرفة عبر التخصصية التي لم تعد تعترف بإفراد الوجهة، وبالحدود الصارمة التي تحرص عليها بعض العلوم. لأجل هذا التلاقي أصبح ضروريا أن يعاد النظر في الجُزر المُنْعزلة التي تسعى بعض التخصصات إلى الإبقاء عليها، ناهيك عن التصنيفات التي تجعل لغة ما علمية خالصة، وأخرى أدبية براء من العلم.. لا تمتلك أي شعاع من شمس المعرفة العلمية المحفزة للعقول.

ولقد أوجدت الشبكة العنكبوتية شكلا من أشكال القراءة المُتَشذرة المُتَشظية «ويقصد بالتشظي أن النص الرقمي لم يعد تلك الوحدة الرمزية المتماسكة المتكاملة كما هي الحال بالنسبة إلى النص المطبوع، بل غدا حزمة من شذرات (شظايا) معلوماتية متناثرة ومتباينة تجمع من مواقع منتشرة عبر الشبكة، أما التشعب النصي فيقصد به أن تتشعب الوثيقة الإلكترونية إلى وثائق أخرى عبر حلقات الربط التي تتضمنها كل وثيقة يتم الوصول إليها، في سلسلة لا متناهية لاقتناء مسارات التشعب، عبر مسالك إبحار لا حصر لها في الفضاء المعلوماتي»(٥). وهو ما يتطلب أن يكون القارئ حاذقا لوذعيا مزوّدا بما يكفي من العدّة والنباهة لانتقاء واعتيام النص المطلوب من وسط كم هائل من النصوص التي تند عن الحصر.

وقد أقامت الوسائط التكنولوجية الدليل على إحداث نقلات مهمة على القراءة وأنواعها من خلال الحرص على اجتذاب القراء للبحث عن المعلومة، حتى أفضى الإبحار بالقراء- ولاسيما القراء الإخصائيون الذين أوتوا حظا عظيما من الحذاقة والمترهية في استكناه أسرار النصوص- إلى التفاعل الذي أضحى ميسما من مَيَاسِم القراءة في عصر المعلومات، لأن هذه الناحية من القراءة لم تكن متاحة من قبل؛ بالسهولة واليسر الذي أضحت عليه الآن، حيث ازداد نهم الكلام وشرهه حتى سال في كل اتجاه سواء قصد لذة الفائدة أولم يقصدها.

كما أقامت الشبكة العنكبوتية الشاهد القاطع على «تربع القارئ على عرش منظومة القراءة، لا ينازعه فيه كاتب أو نص. فقد منحه تشظي الوثائق الإلكترونية وتشعبها النصي القدرة على التعامل في الوقت نفسه مع كم هائل من النصوص ومن المؤلفين بالتبعية، وهو وحده صاحب القرار النهائي في انتقاء شظايا النصوص التي يتراءى له إدراجها في صنع وثيقته الإلكترونية»(٦). فعلى الرغم من أن هذه الفئة من القراء بقيت محصورة في دوائر جد ضيقة، فإن التوسع الذي تشهده نصوص الشذرات ينبئ أن الاهتمام بالقارئ في ازدياد والانشغال بالكاتب في تقلص وإدبار.

ولعله ليس في البيان أوضح من القول بأن تجربة الكتاب الإلكتروني سهّلت حَزْنَ كثير من العوائق، وفتحت آفاقا بكرا لم تكن معروفة لأحد من قبل، ولاسيما من حيث السرعة والقدرة على الحيل البصرية والصوتية التي تصاحب النص في أثناء إذاعته صوتيا على القارئ وهو مستلق أو في أثناء قيادة سيارته، وبمواصفات قرائية تراعي ضوابط التلاوة المتموجة التي تساير العواطف المبثوثة في طبقات النص، ناهيك عن طاقته الهائلة في التخزين والتحويل من مكان إلى آخر وبمجهود أقل.

ولكي أعيد السَّهْم إلى النَّزَعَة أؤكد أن استغلال إمكانات الحاسوب في تعرف الحروف الأبجدية والكلمات وكيفية نطقها نطقا سليما، كفيل بأن يخرج طرقنا في تعليم وتعلم القراءة للصغار من التيه والتشتت الذي تتخبط فيه من خلال اعتماد «ثقافة المعرفة بالوسائل الرقمية المسموعة» التي فتق موقع (الوراق) http:// www.alwaraq.net كما، حيث طلع علينا بتجربة نشر الكتب التراثية المسموعة إلكترونيا، الأمر الذي يبشر بطرق فعالة أكثر جاذبية يشتار الشداة عسلها الذي يبرئ الأسقام التي رانت عليها أمدا طويلا، ناهيك عما يوفره الحاسوب من إمكانية تنمية الذخيرة اللغوية بالنسبة إلى الشداة صغارا كانوا أو كبارا، بَلْهَ قدرته التي تعجز الطوق بالنسبة إلى زيادة سرعة القراءة، ولاسيما القراءة الصامتة التي أعاد لها الحاسوب الوهج الذي ضاع منها في أثناء الفصول الدراسية التي طوى الأساتيذ كشحهم عنها في الغالب الأعم، حيث إن القراءة الصامتة قراءة خاطفة تتيح أن يرمق النص وأن ينظر إلى نتوءاته لأجل الإحاطة بالمعنى العام بنظرة الطائر من خلال ما تقوم به العينان من حركات سريعة لماحة.

ومن الإضاءات التي يؤمل لهلالها أن يصير بدرا مع توالي الأجَدَّان.. توظيف الحاسوب لأجل تكوين نماذج لغوية مثل: المعجم الحاسوبي والنحو الحاسوبي والصرف الحاسوبي.

تلكم في إيماضة بارقة نَبَذٌ من القول ونُتَفٌ لا تبلغ كنه الخدمات الباهرة التي ما فتئت تَعِدُ بِبَنِينَ وَحَفَدَة لا ينقطع نسلهم، وهي خَدَمات أحَجّ بناَ وأحَرّ، إنّ نحن أحسنا استغلالها، أن تمكننَا من أن نقتعد مكانة تليق بنا بين الأمم، فماذا إذن عن مظلمات ومضار هذه الآلة الحديدية التي أرشدنا الله في إنزال مادتها إلى ما فيها لنا من مصالح تبسط بين أيدينا الأمل وتحفزنا نحو العمل؛ ومفاسد تدعونا إلى تنكب سبل الخطل التي تحطم الأمل في تَوَقل القِمَم؟ كما في قوله جلّ شأنه: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾.

ب- مظلمات ومضار العولمة على القراءة:

إذا كان لي من صدر أوطئ به الكلام في هذه الناحية من المفاسد والمضار، فإنني أبادر إلى القول بأن الذي صحّ بعد البحث والتنقير وإنضاج الرؤية، أنه على رغم إغراء وجاذبية الوسائط الإلكترونية، فإن سوء استغلال هذه الأدوات ترك ومازال يترك جروحا عميقة على جسد لغات المستضعفين الذين ركبوا خيول العجز في حلبة السباق العولمي، ورَضُوا أن تكون فرسُهم مُفَسْكلةً متأخرة، واستمرأوا أن يكونوا مع الخَوالف في حلبة الصراع اللغوي الذي يسلّم فيه المنهزم القياد للغالب يتحكم فيه وفيما تقوله كلماته؛ حتى ينتهي به إلى الانهزام النفسي الذي يجعله يهوّن من أمر اللغة، وبذلك يستغني الغالب عن خوض معارك أشد إيلاما، بعد أن انتصر في معركة اللغة، ومن ثمة يتسلم المقاليد التي تفتح باقي الثغور من دون مقاومة تذكر.

ومن نافلة القول التذكير بأن اللغة العربية ليست بِنَجْوة من هذه الآفة التي تفعل في لُغتنا العربية الفصحى ما يفعل السوس في الخشب، والسّرف في المال، إذ ألحقتنا العولمة بالأخسرين أعمالا في صيانة العربية الفصحى من كَدَر اللهجات المارقة من طاعة القواعد. ولكي أثبت أن الفصحى من أكبر ضحايا العولمة أجتزئ بذكر حَثْرٍ قليل من الأمثلة التي تجلو المراد.

الرسائل الإلكترونية القصيرة التي مرقت مروق السَّهْم من أنظمة الصرف والنحو والإملاء، فهي تكتب في الغالب بالأحرف اللاتينية، وتعبّر باللهجة، ناهيك أن أصوات بعض الكلمات أضحت مجرد أرقام، لأنها أصوات لا توجد في الفرنسية والإنجليزية مثل(الغين والعين والحاء والقاف والصاد...) فالعين هو رقم ٣ والقاف هو رقم ٩. وغيرها من الافتراءات التي لا نرى لها ظلالا ولا مسحب أذيال، وإنما العجز والهوان والكسل هو الذي جعلنا نستسهل هذه التغيرات التي أدخلت الشطط على الكتابة العربية.

الإقبال على أنواع محددة من المدونات والمواقع التي انتقلت إلينا انتقال العدوى، وهي في الغالب مدونات ومواقع ذات موضوعات تافهة وعبثية والتي تعرض للرغبات النفسية والعاطفية، والأغاني السَّاقطة، وهلم على ذلك جرا وسحبا من ثقافة التسطيح والخداع التي ترمي بحبالها الشيطانية لتصفد عقول المقبلين عليها، وتعمي بصائرهم في أثناء الإقبال على تصفح تلك المواقع ذات الألوان المعرفية الضحلة التي لم تخمرها العقول النيرة، ومن ثمة لا يزيدهم الاطلاع على هذه المواقع إلا تشويشا وضياعا واغترابا ونقمة على المجتمع وعلى مؤسساته. ولقد أسهمت تلك المواقع والمدونات في انتشار الثرثرة والفضفضة وسقوط أسوار الحياء والأخلاق، بدلا من أن تفضي إلى القراءة والمعرفة الماتعتيْن.

وقد أفضت الحرية المتاحة على الشبكة بغير قليل من القراء، الذين يبحثون عن الحكمة في تدبيج الألفاظ المعذوبة والتعابير الشائقة، أن ينظروا بعين الشانئ الكاشح إلى هذا الأدب الرقمي الذي يعرضه زوامل النثر والشعر من المنشئين الذين لم يستكملوا أدوات الفن، فأضحت عباراتهم مأكلا للركاكة ومشربا للكزازة، لأنهم لم يحصلوا تِبْر التأليف البلاغي والأسلوبي.. فكانت الإجادة لديهم قليلة مثل بارح الأرْوَى، متعللين في ذلك بالوصول إلى فئة عريضة من القراء، متناسين أن الاكتفاء باجتناء ثمرات المعاني السطحية أذهب عن نصوصهم الإثارة والبهجة اللتين تأخذان بشغاف العقول والقلوب إلى مزيد من القراءة.

وعلى الرغم من الدور المحوري لوسائل الاتصال والتواصل في نشر العربية الفصيحة، نظرا للوسائل الإغرائية الجذابة التي تتوفر عليها، فإن العولمة افترت قضية السماوات المفتوحة لإضعاف الفصحى من خلال افتراء الحقوق اللغوية للأقليات، ومن ثمة ضرورة امتلاك الوسائل المُرَوِّجة لتلك اللهجات.. الأمر الذي أفضى إلى ظهور جماعات تَجْهَرُ- وتجد من يساندها في الداخل والخارج- بهجر الفصحى والانسلال منها كما تسلّ الأفعى من خِرْشائها، كأن العربية الفصحى مجرد شَعَر أشعَث أغبَر يجب حلقه من فوق الرأس للإقبال على اللهجات، واللغات الأجنبية باعتبارها مائدة المنّ والسلوى التي تتقوّى بها تلك الكيانات؛ التي- ويا للأسف- أصبحت تكبر في بلداننا العربية مثل كرة الثلج المتدحرجة مِنْ عَلِ. ويُعَدُّ العدد الهَيْضل للقنوات التي تستعمل العامية والأمازيغية كليا في أرجاء وطننا العربي خير شاهد على الخطط الشيطانية التي تدبرها

العولمة لإنهاك العربية إن استطاعت إلى ذلك سبيلا.

وعلى الرغم من أن العولمة أشاعت القراءة المتعددة تبعا لاختلاف أنواع القراء (القارئ العالم، والقارئ المثالي، والقارئ العادي، والقارئ المهووس، والقارئ الانتقائي...) فإن القراءة العادية المتعجلة التي تكتفي بخطية النص والبحث عن المعنى الحَرْفيِّ البارد، ظلت على الدوام هي القراءة الأثيرة.. أما الإصغاء المدبر إلى قوانين النصوص، واستثمار العناصر الصوتية والإيقاعية والدلالية للغة؛ فتلك بُغْيَة لم تحلق أجنحة هؤلاء القراء لإدراكها، مكتفية بإيراد حفنة من المعارف المخسولة الساذجة، لأن المعرفة والقراءة المدبَّرتيْن من عواصي المعارف التي تقتضي جَلَدًا وهمَّة وجمع الجراميز لاستفراه الطرق الماتعة والأدوات الشائقة والألفاظ الرائقة للظفر بكل الصيد في جوف الفرا، وتلك مزية لم تَرْبُ على جهود بعض الآحاد الموصوفين بأنهم أبَيْناء الكلام.

ولقد أقامت العولمة الشاهد القاطع على أن شبكة الاتصال أضحت «بمنزلة الجهاز العصبي للمجتمع، ومن دونها تتفكك أوصاله، ومن ثم تتعذر عملية توجيهه وحشد قدراته.. وأصبح مدى كفاءتها أهم مؤشر لقياس مدى جاهزية المجتمع لدخول عصر اقتصاد المعرفة»(٧).

وبما أن عصر اقتصاد المعرفة ينهض على اللغة ويعدها أساسا في اتصاله وتماسكه، فإن التهاون والتساهل في ترك الوضع اللغوي العربي هَمَلًا تتقاذفه أمواج العولمة، ضيع على العرب فرص التكامل الاقتصادي، والتماسك الديني، والتلاحم الاجتماعي، والتقدم العلمي، والتشاور السياسي لصالح فئة من الأغتام التي تَعْلك العربية الفصحى علك اللّجام، ومن ثمة تنزل من قدْرها، وتدافع عن اللغة الأجنبية وثقافتها باعتبارها واجب الوجود للدخول إلى نادي العولمة. وقد كان من نتائج هذا الوضع احتكار هذه الفئة لكثير من وسائل الاتصال التي أشاعت اللَّحْن في العربية، وأدخلت الشطط في كثير من تعابيرها. ومعلوم أن فساد اللغة وعدم استقامتها يؤدي إلى فساد المعاملات واضطراب الأحوال، بل إن الفكر الذي لا يعتني بالألفاظ الصحيحة السليمة مدعاة للانحسار والنكوص. ولهذا دعا «هوشي منه» الفيتناميين إلى التمسك باللغة الوطنية لدحر الأجنبي المحتل في قولته المشهورة: «حافظوا على صفاء لغتكم كما تحافظون على صفاء أعينكم، حذار من أن تستعملوا لفظة أجنبية في مكان بإمكانكم أن تستعملوا فيه كلمة فيتنامية»(٨).

فعلى الرغم من أن العربية الفصحى لغة مُنْتقرة مُجْتباة لها ربٌّ يحميها من فوق سبع سماوات: ﴿إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩) فإن الأطمار المعيبة، والأغلاط الكثيرة التي تَعْثر بها ألسنة المذيعين وصغار المفَنِّين، تجعل المرء يتساءل عمّا بقي لنا من وسائل نرمُّ بها ما فسد وتقطع أشلاءً بالنسبة إلى العربية الفصحى التي يجب أن تجُرَّ أذيال الفخر والاعتزاز على باقي اللغات.

هذه مجرد إلماحات وقفت بها عند هذا الحدّ، والكلام عن تأثيرات العولمة ووسائل اتصالها على العربية الفصحى عديد الرّمل، لا ينى يشره به الطوفان الذي ترمي به الوسائط العديدة ساحتنا العربية، فنمضي في حقن لغتنا الفصحى حقنًا مُنْكرًا يسري سُمُّها الزّعاف في أوصالها، حتى كاد أن يتركها على مثل مَقرف الصَّمْغَة، ولا سيما أن العولمة فتحت أبواب السماوات، وحَلأتنا من الدخول منها، استكبارا في الأرض ومَكْرَ السيئ. لذا علينا نحن- العرب- إحكام خطة بَزْلاء تَقلب مَظْلَمات العولمة إلى مَرْحَمَات تنزل بردا وسلاما على لغتنا الفصحى التي تمتلك الحقوق المدنية والعلمية والدينية والسياسية والاقتصادية والأدبية في مجتمعاتنا العربية الإسلامية.

فَلَزام لَزام بالقراءة، لأن الذين يعرفون مَاذا يقرَأون وكيف يقرأون هم الذين سيقودون المواكب الإنسانية في هذا العالم الفاغر فاه لابتلاع الشعوب التي لا تسعى إلى بناء المنار في سبيل العلم والمعرفة؛ وبلغتها الوطنية؛ لأن الذي لا يتعلم بلغته الوطنية يبقى على الدوام تابعا متسوِّلا مُكتفيا بالإقبال على خُشارة موائد الآخرين التي لا تزيده إلا ضَعفا وصَغَارا.

المراجع

١ - مستقبل الثورة الرقمية (العرب والتحدي القادم)، كتاب العربي نخبة من الكتاب، رقم ٥٥، ص ١٢٥ يناير ٢٠٠٤ مطبعة الكويت.

٢-الاستعجال: المفهوم غير المفهوم (بحث) غير منشور لصاحبه عبد الله ايت الاعشير.

٣- القراءة.. أولا، محمد عدنان سالم، ٣٨و٣٩، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق.

٤- القَزَعُ: من طُرُق قَصّ الشَّعَر، وقد نهى الرسول ﷺ عن هذه الطريقة، حيث يُقَصّ شعر الرأس من الفودَيْن والقَفَا، ويترك شعر قِمَّة الرأس.

٥- العقل العربي ومجتمع المعرفة، مظاهر الأزمة واقتراحات بالحلول، د.نبيل علي، الجزء الثاني ٥٣و٥٤، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٣٧، ديسمبر ٢٠٠٩م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت.

٦- المرجع نفسه ص٦١.

الأجدان : الليل والنهار، ويعرب إعراب المقصور، وليس إعراب المثنى.

٧- الفجوة الرقمية، رؤية عربية لمجتمع المعرفة، د.نبيل علي ود.نادية حجازي، عالم المعرفة عدد ٣١٨، ص١٦٣، جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت.

٨- أهمية اللغات وعناية الأمم بها، د.محمد بلاسي (المجلة العربية) عدد ٣٩٣- ص ١٠٥، المملكة العربية السعودية.

تجارب دولية ومحلية ناجحة في معالجة الفقر

رشيد ناجي الحسن

ظهرت في إطار مكافحة الفقر نماذج وتجارب مختلفة في العالم، ولكن التسليم بحتمية نجاح هذه الجهود ضرب من ضروب المبالغة والخيال، بدليل فشل برامج التسوية التي يضعها صندوق النقد الدولي، والتي إذا ما طبقت خربت الاقتصاد، وخلعت المجتمع المدني للدول المدينة، وسارت بالعالم في اتجاه الهلاك. وهذه البرامج مطبقة في أكثر من ١٠٠ بلد من العالم الثالث، وأوروبا الشرقية، ولا يمكن ذكر أي حالة للنجاح البارز، ومع ذلك فقد قامت تجارب كثيرة ناجحة في مجال مكافحة الفقر، ظهرت فيها كثير من النتائج الإيجابية، ومنها:

التجربة الماليزية:

ماليزيا دولة تقع في جنوب شرق آسيا، بمساحة كلية تبلغ ٣٢٩،٨٤٥ كم٢. وعاصمتها هي كوالالمبور، يصل تعداد سكانها إلى أكثر من ٢٨ مليون نسمة. وإذا كانت الدولة قد دخلت العولمة من بابها الواسع، وإذا كانت العولمة قد ساهمت في عولمة الفقر فكيف نجحت ماليزيا في مكافحة الفقر؟ رغم تعرضها للأزمة المالية الآسيوية ١٩٩٧، والتي كادت تعصف بالبلاد؟ وما هي الفلسفة المتبعة في ذلك؟

تعتبر تجربة مكافحة الفقر في ماليزيا من أبرز التجارب التي كُللت بالنجاح على مستوى العالم الإسلامي الذي يعيش ٣٧٪ من سكانه تحت خط الفقر، فقد استطاعت ماليزيا خلال ثلاثة عقود (١٩٧٠-٢٠٠٠م) تخفيض معدل الفقر من ٥٢,٤٪ إلى ٥,٥٪؛ وهو ما يعني أن عدد الأسر الفقيرة تناقص بنهاية عقد التسعينيات إلى أكثر من ثلاثة أضعاف عما كان عليه الحال في عقد السبعينيات. ونجاح النموذج الماليزي أدى إلى ارتفاع متوسط دخل الفرد لأكثر من ستة عشر

ماليزيا استطاعت تخفيض معدل الفقر من ٥٢,٤٪ إلى ٥,٥٪ في ثلاثة عقود فقط

ضعفًا خلال العشرين سنة الأخيرة، حيث قفز متوسط دخل الفرد من ٦٠٠ رنجت عام ١٩٨٠م إلى ١٣٠٠رنجت عام ٢٠٠٢م، كما ارتفعت قيمة الصادرات من أقل من خمسة مليارات دولار عام ١٩٨٠م إلى ٩٢,٢ مليار دولار بحلول عام ٢٠٠٢م، وانخفضت نسبة البطالة إلى ٣. ٥٪ عام ٢٠٠٠م، وانخفضت كذلك في نفس السنة نسبة الواقعين تحت خط الفقر إلى أقل من ٦٪. ومن المؤشرات الرسمية ذات الدلالة أن ٩٤٪ من الفقراء في ماليزيا يتاح لأطفالهم التعليم الأساسي مجانًا، ويستفيد ٧٢٪ من الفقراء من خدمات الكهرباء، و ٦٥٪ منهم يحصل على مياه نقية، وهذه النسب جميعها تشير إلى نجاحات كبيرة مقارنة بالدول النامية. وعندما ضربت الأزمة المالية الاقتصادية شرق آسيا في ١٩٩٨، رفضت ماليزيا اقتراح البنك الدولي، وقامت بعملية إصلاح شبه مضادة لما اقترحه البنك، فكانت أول الدول خروجًا وشفاءً من الأزمة. هذه الإنجازات لم تأت من فراغ، وإنما من خطط تنموية قامت بها الحكومة التي أخذت على عاتقها عملية تشكيل وقيام النهضة في ضوء التعاليم الإسلامية، ومنها:

- تقديم قروض بدون فوائد للفقراء من السكان الأصليين (البوميبترا)، وبفترات سماح تصل إلى أربع سنوات.
- منح إعفاء ضريبي لمدة عشر سنوات للمشروعات الصناعية.
- تقديم إعانة شهرية تتراوح بين ١٣٠-٢٦٠ دولارا أميركيا لمن يعول أسرة وهو معوق، أو غير قادر على العمل بسبب الشيخوخة.
- (سياحيا) قامت باستغلال طبيعة كل موقع، سواء كان زراعيا أو حيوانيا أو طبيعيا (شلالات، بحيرات، مرتفعات جبلية، مزارع... إلخ، من خلال توفير عدد من الأنشطة والفعاليات.

تجربة بنك جرامين في بنغلاديش

ينظر بنك جرامين (Grameen

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت

Bank) أو مصرف القرية؛ باللغة البنغالية، إلى الإنسان الفقير كإنسان كامل الأهلية، يستطيع أن يكافح ليخرج من دائرة الفقر بكده وعرقه، ويتعامل معه بإنسانية ويسعى لتنميته وتحسين إمكاناته وقدراته ونوعية حياته سعيا لإخراجه من دائرة الفقر من خلال مسيرة كفاح طويلة يشارك فيها برأيه وجهده، بل وماله. وهي تجربة تعود منافعها ليس فقط على أعضائها بل على مجمل الاقتصاد، والمجتمع البنغالي، كما هي في نفس الوقت مدرسة تتعلم منها الإنسانية، لذلك استحقت النجاح الذي منحها ٧ جوائز محلية وعالمية سابقة، ومنح صاحبها ٦٠ جائزة محلية وعالمية، إضافة إلى ٢٧ دكتوراه فخرية، و١٥ تكريما خاصًا من بلدان العالم المختلفة قبل أن يتوج ذلك بجائزة نوبل للسلام، في أكتوبر عام ٢٠٠٦م؛ نظير جهوده في خلق تنمية اقتصادية واجتماعية. ووفق لجنة الجائزة: فيونس وبنك جرامين أثبتا للعالم أن أفقر الفقراء بوسعهم العمل لتحقيق التنمية.

فما الذي فعله الاقتصادي البنغالي محمد يونس حتى نال ما نال، لنترك الكلام له ليوضح لنا ما فعله، يقول يونس: «في عام ١٩٧٢ وهو العام التالي لحصول بنغلاديش على استقلالها بدأتُ بتدريس الاقتصاد في إحدى الجامعات.. وبعد عامين أصيبت البلاد بمجاعة قاسية، وكنت أقوم في الجامعة بتدريس نظريات التنمية المعقدة، بينما كان الناس في الخارج يموتون بالمئات، فانتقلت إلى قرى بنغلاديش أكلم الناس الذين كانت حياتهم صراعًا من أجل البقاء، فقابلت امرأة تعمل في صنع مقاعد من البامبو، وكانت تحصل في نهاية كل يوم على ما يكاد فقط يكفي للحصول على وجبتين، واكتشفت أنه كان عليها أن تقترض من تاجر كان يأخذ أغلب ما معها من نقود، وقد تكلمت مع اثنين وأربعين شخصًا آخرين في القرية ممن كانوا واقعين في فخ الفقر، لأنهم يعتمدون على قروض التجار المرابين، وكان كل ما يحتاجونه من ائتمان هو ثلاثون دولارًا فقط، فأقرضتهم هذا المبلغ من مالي الخاص، وفكرت في أنه إذا قامت المؤسسات المصرفية العادية بالشيء نفسه؛ فإن هؤلاء الناس يمكن أن يتخلصوا من الفقر.. إلا أن تلك المؤسسات لا تقرض الفقراء، وبخاصة النساء الريفيات». وفي عام ١٩٧٦ بدأ يونس مشروعًا بحثيًا عمليًا لاستكشاف إمكانات تصميم نظام مصرفي يصلح للفقراء من أهل الريف. وقد توصل إلى أنه إذا توافرت الموارد المالية للفقراء بأساليب وشروط مناسبة فإنّ ذلك يمكن أن يحقق نهضة تنموية كبيرة. وقد حقق المشروع بالفعل نجاحًا في محافظات كثيرة، كـ شيتاجونج Chittagong و تانجيل Tangail، ودكا Dhaka... وفي أيلول ١٩٨٣ تحول المشروع إلى مصرف مستقل باسم مصرف جرامين (Grameen Bank) ساهمت الحكومة فيه بنسبة ٦٠٪ من رأس المال المدفوع بينما كانت الـ٤٠ ٪ الباقية مملوكة للفقراء من المقترضين. وفي عام ١٩٨٦ صارت النسبة ٢٥٪ للحكومة و٧٥ ٪ للمقترضين.

وعن نتيجة المشروع يتحدث يونس فيقول: «وبعكس التوقعات، فقد استطاعت بنغلاديش أن تحقق إنجازا ملموسا في معركتها مع الفقر، فمعدل الفقر قد تراجع من ٧٤٪ عام ١٩٧٣ إلى ٥٧٪ عام ١٩٩١، ثم إلى ٤٠٪ عام ٢٠٠٥، ومازال هذا المعدل يتراجع بنسبة ١٪ سنويا. كما استطاع بنك جرامين تحقيق عدة إنجازات؛ منها تحقيقه لأرباح كبيرة منذ تأسيسه، باستثناء ثلاثة أعوام، حيث بلغ إجمالي أعمال البنك خلال عام ٢٠٠٥م حوالى ١١٢,٤٠ مليون دولار، وإجمالي النفقات ٩٧,١٧ مليون دولار، وبلغ صافي الأرباح ١٥,٢١ مليون دولار، وذلك على الرغم من أن فوائد بنك جرامين هي الأدنى في بنجلاديش؛ حيث تصل إلى ١٠٪ على قروض المشروعات المدرة للدخل، أي ١,٥ دولار على قرض يصل إلى ١٥ دولار طوال العام، ونسبة ٨٪ على قروض الإسكان، ونسبة ٥٪ على قروض الطلاب، أما قروض الأعضاء المكافحين أو المتسولين فلا فوائد عليها. ومما لاشك فيه أن أهم ما يلفت انتباه المتابع لهذه التجربة هو أنها تجربة قامت على الثقة بالفقراء، وتقديم القروض لهم من غير ضمانات ورهون، وهذا أدى بدوره إلى إطلاق طاقات هؤلاء الفقراء لينتقلوا من أفراد على هامش الحياة إلى بشر ينتجون ويعملون ويحفظون كرامتهم.

ما أحوجنا إلى أمثال محمد يونس عربا ومسلمين ينظرون إلى فقراء أمتهم وأحوالهم، لعلهم يستطيعون وقف عددهم المتزايد كل يوم، بل كل لحظة.. وما أحوج المخلصين القائمين على المصارف الإسلامية التي ظلت تراوح في مكانها إلى أن تستوعب أمثال هذه التجارب، وتبدأ بتوجيه الموارد إلى كافة فئات المجتمع حتى يتحقق تكافؤ الفرص، بدل أن تقدم الأموال للأغنياء فقط، ويحرم منها ملايين الفقراء الذين لديهم مخزون من الطاقة والإبداع والجدية، ولكن حرمانهم من التمويل ضيّع عليهم مواهبهم، وحوّلهم إلى عبء على مجتمعاتهم، بدل أن يكونوا سواعد لبنائه.

تجربة قرية «تَفَهْنَا الأشراف» في مصر

قرية «تفهنا الأشراف» هي إحدى قرى مركز مِيت غَمر محافظة الدقهلية في مصر، وعدد سكانها في حدود أربعة آلاف نسمة ومساحتها ٦٠٠

فدان. وهي قرية تعاني من انخفاض مستوى المعيشة، وحاجة القرية إلى الكثير من الخدمات كالكهرباء والمياه النقية والطرق المرصوفة، إضافة إلى المشكلات الاجتماعية والثقافية مثل انتشار الأمية، وحتى بداية السبعينيات من القرن المنصرم لم يكن في القرية متعلم واحد، كما تنتشر فيها البطالة الموسمية والدائمة لدى خريجي الجامعة من أبنائها، والمشكلات والمنازعات الاجتماعية التي تقوم بين الأفراد بعضهم البعض، وكذا الخلافات الأسرية التي يُلجأ فيها إلى القضاء، وغير ذلك من صور التحزب والتعصب العائلي. أبناء القرية الذين يحكي كبارهم أن سائقي سيارات الأجرة على طريق ميت غمر/ الزقازيق منذ ٣٠ عاما كانوا لا يتوقفون أمامها، وكأنها ليست موجودة على خريطة الدلتا، فكل ما كان معروفا عنها أنها قرية يخرج الناس فيها مع شروق شمس كل صباح للعمل في حقول القرى الكبيرة المجاورة سعيا وراء الرزق.

شرارة التجربة.. أترك الحديث لرئيس مجلس إدارة المركز الإسلامي في قرية «تفهنا الأشراف» والأب الروحي للتجربة، المهندس صلاح عطية، يقول: كانت القرية تعاني من مشكلة الفقر المدقع، وكانت مصدرًا لعمال التراحيل في جميع القرى المجاورة، وعندما اجتمع عدد من أبناء القرية لوضع حد لعلاج مشكلة الفقر قمنا بحصر أصحاب الأملاك من الأغنياء، وكل من يستطيع أن يؤدي زكاة، وركزنا على أهمية جمع الزكاة كخطوة أولى لمعالجة الفقر، وفي يوم الجمعة ٣ ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ، ٦ يناير ١٩٨٤ حدث اجتماع عام لأبناء القرية، وأعلنا عن فكرة إنشاء مركز إسلامي متكامل بالبلدة، يشارك في إنشائه كل أبناء قرية تفهنا الأشراف، وتم الاتفاق على الآتي:

- أن تكون القرية عائلة واحدة لها قيادة جماعية واحدة وتسمى بعائلة الأشراف.
- اختيار ٢٠رجلا يمثلون قيادة القرية تحت قيادة عمدة القرية برضا الجميع، على أن يكون هؤلاء القادة من الفلاحين فقط وليس من المثقفين.
- يتولى المركز الإسلامي تنفيذ ما يتم الاتفاق عليه من مشروعات خيرية، وذلك من خلال لجان عمل، إحداها للتعليم، والأخرى للزراعة، ولجنة للشباب، ولجنة للصحة، ولجنة للمصالحات، ولجنة للزكاة. المرحلة التالية: مرحلة التنفيذ: في هذه المرحلة أخذت آليات العمل في التبلور، وكانت صورتها كالآتي:

– تم تشكيل مجلس إدارة للمركز الإسلامي. – تم البدء في جمع التبرعات، وكان مستوى التبرع عاليا جدا؛ فالفلاح البسيط كان يجود بمعظم ما عنده بدءًا من الأنعام وحتى بيضة الدجاجة.

– تم شراء قطعة أرض مساحتها ٢٧٥٠ م٢ في مدخل القرية؛ وذلك لإنشاءات المركز. وكان المقرر اشتراك عشرة أفراد لتجميع المبلغ المطلوب بواقع مائتي جنيه مصري لكل شخص، ووصل عدد المشاركين إلى تسعة، ومر وقتٌ غير قصير دون استطاعة الاتفاق مع الشريك العاشر؛ بسبب حالة الفقر في القرية.

وبدأت مرحلة التنفيذ، ونظرًا لأنّ بعض هؤلاء الخريجين الشباب قد تخرج في كلية الزراعة فقد قاموا بإنشاء مزرعة للدواجن بطاقة ٥٠٠٠ فرخ، وخلال كتابة عقد الشركة قرروا تخصيص نسبة ١٠ ٪ من الربح لإنفاقها في وجوه الخير، وسمّي «سهم الشريك الأعظم» وعندما وجدوا أن حصيلة الربح كبيرة جدًا وأكثر مما كانوا يتوقعون، قرروا زيادة نسبة «سهم الشريك الأعظم» إلى أن أصبحت ١٠٠٪ من إجمالي عشر مزارع. وزادت بعد ذلك لتصل إلى وقف بعض المشروعات بالكامل للقضاء على الفقر الذي ينخر في عظام أبناء قريتهم، والمزرعة الواحدة تحولت خلال عدة سنوات إلى عشر مزارع، ومع كل زيادة كانت تزيد الأموال المخصصة للعمل الخيري، إلى أن زادت المشروعات، فتمّ إنشاء مصنع للأعلاف، وآخر للمركزات، ومصنع لعلف الماشية. وتم استخدام أموال الزكاة في شراء مواش وآلات خاصة بالحرف المهنية، وتوزيعها على المستحقين. أما الفتيات والسيدات غير المتعلمات، فقد تم تدريبهن على الخياطة بعد محو أميتهن وتسليمهن ماكينات خياطة، ولوازم إعداد الملابس المدرسية وشرائها منهم بتوزيعها على التلاميذ المستحقين مجانا، حتى تمكن فقراء القرية من توديع الفقر والمشاركة في مسيرتها الاقتصادية. كما تمّ حصر الأرامل والمطلقات لتدبير وسيلة كسب لكل منهن، من خلال إعطائها غنمة وكمية من الأعلاف، وكذلك تم حصر أصحاب الحرف بحيث تم شراء أدوات الحرفة لكل منهم، حتى الطبيب تم شراء أدوات الطب له، أما غير أصحاب الحرف فقد تم الاتفاق مع متاجر جملة على إمدادهم بالبضائع لعمل منافذ بيع للسلع، كما تم زراعة ألف نخلة على السواقي الموجودة بالبلدة بحيث تعطي إنتاجها بعد ست سنوات على الأقل، وتجمع في وقت واحد ليتم توزيعها على أبناء القرية جميعًا.

الإنجازات

بانتهاء عام ١٩٨٨م كانت الخطة الخمسية المقترحة قد تحققت بفضل الله، وبلغ حجم الإنفاق فيها ١,٢١٥,٣٢٨ جنيها مصريًا بزيادة قدرها ١٥,٣٢٨ ، وتحققت الإنجازات

التالية:

١- القضاء على مشكلة البطالة تماما داخل القرية.

٢- الحد من الأمية بصورة شبه تامة.

٣- إنشاء معهد ثانوي أزهري للبنين،وآخر للبنات.

٤- إنشاء محطة للسكة الحديد بتكلفة ١٥٠ ألف جنيه.

٥- مجمع خدمات المركز ويضم: المسجد الجامع على مساحة كبيرة، وورش صيانة لكافة معدات وأثاثات المركز الإسلامي، وقاعة مؤتمرات، ومكتبة متطورة.

٦- فرع لجامعة الأزهر للبنين، وآخر للبنات.

كما تلا إنشاء جامعة الشريعة والقانون إنشاء كلية للتجارة للبنات، ثم كلية لأصول الدين، ثم كلية رابعة للتربية.

٧- إقامة مدينتين جامعيتين للطلاب والطالبات المغتربين والمغتربات.

٨- مستشفى طبي متكامل.

٩- إقامة بيت مال للمسلمين يخدم القرية والقرى المجاورة.

١٠- ترتب على وجود لجنة فض المنازعات عدم لجوء الناس إلى المحاكم أو أجهزة الأمن، ولم يعد الناس بحاجة إلى مكاتب المحامين بالقرية، مما أدى إلى إغلاق مكتبيْن للمحاماة كانا قد أنشئا من قبل.

١١- القضاء على أماكن اللهو بالقرية، فقد حان وقت الجد. وبسبب وجود أربع كليات جامعية في القرية حدث رواج تجاري، وحركة نشطة للنقل والمواصلات، والنتيجة أنه لم يعُدْ في القرية عاطل ولا فقير، وأصبحت القرية منذ سنوات تدفع زكاة أموالها إلى القرى المجاورة. وحتى الطلاب من أبناء القرية ومن خارجها وجدوا عملا في مزارع الدواجن والمصانع

المركز الإسلامي لمكافحة الفقر في تفهنا الأشراف .. تجربة تحتذى

المقامة فيها، وأما أصحاب المنازل فقد تمكنوا من الحصول على دخل إضافي من خلال تأجير بعض شققها للطلاب المغتربين، وأصبح من المعتاد أن تشاهد طلبة من محافظات أخرى أو من دول إفريقية وآسيوية يسيرون في شوارع القرية. كل ذلك تم بالجهود الذاتية لأبناء القرية دون أن يكلفوا الدولة فلسا واحدا.

تقييم التجربة

كتب الكثير من المحللين عن هذه التجربة، وأثنوا عليها، ودعوا إلى تكرارها في بلاد إسلامية أخرى. يقول الدكتور وجيه المرسي: إن هذه التجربة تأتي بعيدًا عن أي فكر نظري «مسبق» يتمثل في الارتباط بإحدى نظريات «التغيير الاجتماعي» الجاهزة والمعدة سلفًا للمجتمعات النامية من قبل المجتمعات الغربية المتقدمة. كما إنها غير مرتبطة بجهاز الدولة، بل هي بعيدة عن القيود البيروقراطية، متحررة من التبعية الإدارية والسياسية، التي أجهضت الكثير من الجهود التنموية. وهي تنمية لا تتم في فلك أي تخصص مهني، ولا تحكمها النظرة المهنية الضيقة. كما إن هذه التجربة تنطلق من واقع المجتمع الإسلامي، الذي يتصف بالكثير من سمات التخلف والتبعية، ويتعرض لمحاولات التغريب والعلمنة من الداخل والخارج. وأهم ما يقال: إن الفكر الذي قامت عليه هذه التجربة، والهدف الذي سعت إليه، إنما مرده إلى الإسلام العظيم ببساطته ويسره. إن حجم الإنجازات المادية الذي تحقق في تجربة قرية «تفهنا الأشراف» يفوق أي تجربة على المستوى المحلي أو العالمي، في مجال تنمية المجتمع المحلي. وإن تأثير التجربة في حياة القرية لم يقف عند المشروعات الإنتاجية والتعليمية. فالتجربة قد ساعدت على تنمية الكثير من القيم الإيجابية مثل قيم التعاون والتآخي، والتوكل على الله، لا التواكل، لتحلّ محلّ القيم السلبية التي كانت موجودة.

تجربة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) «فلسطين» (٢٠٠٧)

يعيش سكان الأراضي الفلسطينية في أوضاع اقتصادية ومعيشية متردية، حيث تشير التقديرات إلى أن نحو ٤٣ في المائة من السكان الفلسطينيين يعيشون تحت خط الفقر بأقل من ٢,٣٠ دولار في اليوم، ويعيش حوالى ١٥ في المائة منهم في فقر مدقع. وفي النصف الثاني من عام ٢٠٠٧، وصل معدل البطالة بين الشباب إلى ٣٦ في المائة. إن واحدًا وستين عامًا من الاحتلال قد وضعت الفلسطينيين تحت ضغط يكاد لا يطاق، فاضطر أغلبهم إلى إنفاق مدخراتهم وبيع ممتلكاتهم وخفض استهلاكهم الغذائي. وقد ذكر أفراد الأسر المستفيدة بأنه على الرغم من أنهم يتلقون المساعدات الغذائية والنقدية منذ سنوات، فإنهم يشعرون بامتهان لإنسانيتهم في كل مرة يصطفون فيها لتلقي تلك المساعدات.

ما هو برنامج (UNDP)؟ هو برنامج استطلاعي مدته ٣٠ شهرًا، ممولّ من البنك الإسلامي للتنمية، هدفه العمل على التمكين الاقتصادي للأسر الفلسطينية التي تُعاني من الفقر، ومساعدتها على الخروج من تلقي المساعدات، لتصبح قادرة على توفير الدخل بشكل مستقل.

عمل البرنامج

تم البدء بتنفيذ البرنامج في نهاية عام ٢٠٠٧ من خلال المؤسسات الأهلية الوطنية (١٧ مؤسسة)، ومؤسسات التمويل الصغير(٦ مؤسسات)، والتي تستهدف ١٢،٠٠٠عائلة فقيرة شديدة الفقر في الأراضي الفلسطينية وتلبي احتياجاتها. وتشير السجلات إلى أن عدد التدخلات التي تم تنفيذها وصلت إلى ٤،٤٠٠ تدخل في تشرين أول ٢٠١٠. ويزيد هذا المستوى على الهدف المعلن وهو ٤،٠٠٠ تدخل. وفي تموز ٢٠١٠، تمّ تحقيق الهدف بل تجاوزه إلى حد أعلى. وتتوزع هذه الأسر على ٣٢٣ تجمعًا في قطاع غزة والضفة الغربية، بما فيها القدس. وحتى تموز ٢٠١٠، كانت المؤسسات قد أقرضت ما مجموعه ١،٨٤١ قرضًا لزبائنها بغرض توسيع مشاريع قائمة أو إقامة مشاريع جديدة.

ويكمن تفرُّد برنامج «ديب» في أنه يمنح الأسر المشاركة فيه الفرصة للاختيار من بين عدد من بدائل العمل، منها الزراعة والتجارة والصناعة والخدمات والتوظيف والتدريب. ويُقدّم كل تدخل للأسرة في صورة منحة لمرة واحدة، بسقوف مالية مختلفة تتراوح بين ٤٠٠٠ دولار و٨٠٠٠ دولار، تتحدد على أساس حجم الأسرة ونوع التدخل. ويتلقى العمال الميدانيون من المنظمات غير الحكومية الشريكة تدريبًا على نهج سبل العيش المستدامة، مع التركيز بشكل خاص على أهمية إشراك الأسر المستفيدة في تصميم وتنفيذ وتقييم جميع التدخلات.

وتشير الوثائق إلى أن البرنامج خطّط لتمويل نشاطات المنح بما مقداره ١٦ مليون دولار، ولتمويل نشاطات القروض بما مقداره ١٤ مليون دولار. ولكن الواقع يشير إلى أن ما تمّ تمويله لنشاطات المنح وصل إلى ٢٤ مليون دولار. بمعنى أنه تمّ صرف مبالغ أكثر على المنح مما كان قد خطط له، وأنه تمّ صرف مبالغ أقل على القروض مما كان قد خطط له. وهذا إنجاز عظيم للبرنامج، حيث إن المبالغ الإضافية التي يتم حشدها ستزيد من كفاءة البرنامج واتساع شموليته.

ويتمّ جمع المعلومات عن موارد الأسر وسبل عيشها وجهودها لتطوير أعمالها التجارية من خلال زيارات ميدانية واسعة تجريها المنظمات غير الحكومية الشريكة، وذلك للتأكد من الالتزام بأهداف البرنامج.

نموذج حالة

في أحد الأمثلة – وهو مشروع لتربية الأغنام – يحصل المستفيدون على عدد من النعاج الحوامل من سلالة معروفة بارتفاع إنتاجيتها، جنبًا إلى جنب مع خدمات التطعيم والخدمات البيطرية لمدة ستة أشهر، وكذلك الأدوية والأعلاف الحيوانية. وتتضمن الحزمة كافة الدعم اللازم لمساعدة الأسرة على الحصول على دخل فوري، وفي الوقت نفسه عدم تحميلها أعباء مالية. وبعد انقضاء فترة ستة أشهر، يجب أن تكون الأسرة قادرة على مواصلة المشروع من دخلها الخاص.

تقييم البرنامج: يعد البرنامج بشكل عام من البرامج المؤثرة والفاعلة في ميدان محاربة الفقر؛ إذ قدم البرنامج علاجًا حقيقيًا لظاهرة الفقر لدى عدد من الأسر المستفيدة التي جعلت من البرنامج رافعة حقيقية ينقذها من براثن الفقر، وينقلها من دائرة الاتكال على الآخرين والمساعدات الدورية إلى دائرة الاعتماد على الذات، والدخول في خضمّ النشاط الاقتصادي، ويمكن القول أنه تمّ نجاح أكثر من ٨٥٪ من التدخلات في الاستمرار بإدرار الدخل للأسر الفقيرة. وقد بدأ التحضير لمرحلة ثانية تستهدف ١٢٠٠٠ أسرة فقيرة.

ختاما

فالفقراء لا يحتاجون إلى الصدقة فقط، بل يحتاجون لمن يساعدهم على الخروج من هوّة الفقر. والعالم الإسلامي في أشد الحاجة إلى مثل هذه التجارب الاقتصادية الناجحة، وذلك لمواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية المتعددة التي تواجه البلدان العربية والإسلامية في القرن الحادي والعشرين، والتي تمسُّ حاضرها ومستقبلها، والتي تقف عائقًا في وجه التنمية المنشودة.

وإذا كانت الاستفادة من التجارب الرائدة في مجال مكافحة الفقر ضرورة لابد منها، فإن عرض التجارب الفاشلة ومحاولة معرفة أسباب الفشل كذلك لا يقل أهمية.

المراجع

- نحو مجتمع المعرفة، مكافحة الفقر، سلسلة دراسات مركز الإنتاج الإعلامي، جامعة الملك عبدالعزيز، الإصدار الثالث عشر، جدة ١٤٢٧هـ.
- في تنمية المجتمع، د.وجيه المرسي، تجربة قرية تفهنا الأشراف.
- برنامج الأمم المتحدة، تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٥.
- التنمية الاقتصادية، محمد زكي الشافعي.
- العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الإسلامي، عبدالحميد براهيمي.
- عالم إسلامي بلا فقر، رفعت السيد العوضي، كتاب الأمة التاسع والسبعون.
- التخلص من الفقر نصائح وتجارب، زيد بن محمد الرماني، ٢٠٠٥.
- دور المشاريع الصغيرة في الحد من الفقر والبطالة، وتحديدا قراءة في التجارب المحلية والدولية للحد من الفقر والبطالة في الأردن، إعداد: د.حسين شخاترة.
- الفقر، أسبابه وعلاجه، سعد بن محمد العبيد.
- الفقر والغنى في الوطن العربي، مجموعة باحثين، بغداد ٢٠٠٢.
- الفقر وتوزيع الدخل في الوطن العربي، د.عبدالرزاق الفارس.
- إشكالية محاربة الفقر في العالمين العربي والإسلامي، د.رابح كشاد.

شَدُّ رِحَالِ الخَيَالِ إلى مَحالِّ الرِّجَالِ

في مدح مجالس سماع الحديث وأهله وتضمين مصطلحاته

شعر وتعليق: أسامة يوسف عبدالوهاب العميري
باحث كويتي

إني كنت قد حضرت فيمن حضر من الطلاب مجالس سماع الجامع الصحيح لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري في المسجد الجامع الكبير بدولة الكويت حرسها الله، وقبل مجلس الختم بليلتين شرعت في نظم قصيدة أمدح بها من حضر المجالس من أهل العلم والفضل، حتى تمت في عشرين بيتًا ثم بعد فترة زدتها أربعة عشر بيتًا وهي في جملتها ثلاثة أقسام: قسم وقفت فيه على الآثار وركبت متون الأكوار، سنة الشعراء الغابرين، وذكرت فيه من الغريب ما ينبه ذهن السامع ويشغل قلب البليد القانع ولو أردت السهل القريب لذكرته، وأبدلت لاحبًا بواضح ودأدأت بأسرعَتْ.

وقسم مدحت فيه أهل الحديث وذكرت فضل مجالسهم.

وقسم تخلصت فيه بمديحهم إلى وصف السحاب والمطر، ضمنته ما ورد في البيقونية من مصطلحات علم الحديث وعلقت الشروح من القاموس وشرح الزرقاني وحاشة الأجهوري عليه، كل ذلك باختصار شديد وبتصرف من غير إخلال ولا تبديد فالحمد لله على ما أسبغ وأنعم.

ألا حَيِّ رَسْمًا[1] عَفَاهُ[2] القِدَمْ ... بِكَاظِمَةٍ مِثْلَ خَطِّ القَلَمْ

تَعَاوَرَهُ[3] شَمْأَلٌ والجَنُوبُ ... وَسَارِيَةٌ قَطْرُهَا مُخْتَضِمْ[4]

أَلا حَيِّهِ وَأْتِهِ بَاكِيًا ... وَسَلْهُ وَكَيفَ جَوَابُ الأَصَمّ

فَلَوْ أَنَّ رَسْمًا شَفَا سَائِلًا ... لَكَانَ حُمَيْدٌ[5] كَلِيمَ الرَّشَمْ[6]

وَلَوْ أَنَّ رَسْمًا شَفَا بَاكِيًا ... بَكَينَاهُ حَتَّى خَضَبْنَاهُ دَمّ

فَدَعْ ذَا وَبَادِرْ لِعَيْرَانَةٍ[7] ... لَهَا شَرَفٌ[8] مُشْرِفٌ كَالْعَلَمْ

إِذَا مَا عَلَوْتُ بِهَا لَاحِبًا[9] ... قَرَادِيدُهُ[10] نَابِيَاتٌ أَمَمْ

تَحِنُّ لِعِرْفَانِهَا مَا اسْتَوَتْ[11] ... حَنِينَ عُطُوفٍ إِذَا تَرْتَئِمْ

إِذَا صِحْتُ فِي مَشْيِهَا دَأْدَأَتْ[12] ... تَدَأْدُأَ صَعْبٍ أَبَى أَنْ يُزَمْ

تُرَاعِي سُهَيْلًا إِذَا مَا بَدَتْ ... نُجُومُ السَّمَاءِ لَهُ كَالغَنَمْ[13]

عَلَى مِثْلِهَا أَرْتَجِي فِي الصَّبَاحِ ... شُمُوسَ الحَدِيثِ رُعَاةَ الذِّمَمْ

يَذُودُونَ عَنْ سُنَّةِ المُصْطَفَى ... حِمَى المُصْطَفَى عِنْدَهُم كَالحَرَمْ

مُلُوكٌ عَلَتْ فَوْقَ هَامِ المُلُوكِ ... وَصَارَ المُلُوكُ لَهُمْ كَالخَشَمْ

إِذَا مَا تَقَطَّعَ بَيْنَ العِبَادِ ... فَإِسْنَادُهُمْ بَيْنَهُمْ كَالرَّحِمْ

١- الرسم: بقية الأثر.
٢- عفاه: محاه.
٣- تعاوره: تداوله وتناوب عليه.
٤- مختضم: يأكل ويقطع ما يقع عليه.
٥- ابن ثور حين قال: وهل عادة للربع أن يتكلما.
٦- الرشم: الرسم والأثر.
٧- عيرانة: ناقة نشيطة.
٨- شرف: سنام.
٩- لاحب: طريق واضح.
١٠- قراديده: فقار الطريق.
١١- أي متى استوت على ظهر الطريق حنت لمعرفتها إياه كما تحن عندما تعطف على صغيرها.
١٢- دأدأت: أسرعت.
١٣- العرب تشبه نجم سهيل بالراعي، والنجوم بين يديه بالغنم.

هُمُ القَومُ يا صَاحِ إنْ تَأْتِهِمْ ... فَمَا مِنْ عَيِيٍّ وَمَا مِنْ بَرِمْ

وَيَرْوونَ عَنْ بَهَزٍ عَنْ وُهَيْبٍ ... حَدِيثَ سُهَيْلٍ[١٤] حَدِيثَ الكَرَمْ

تَطُوفُ المَلائِكُ بَيْنَ العِبَادِ ... يُجِيرُونَ عَبْدًا بِهِ يَعْتَصِمْ

يَقُولُونَ يا رَبُّ فِيهِمْ فُلانٌ ... وَمَا هوَ مِنْهُمْ بِهِمْ قَدْ أَلَمّ[١٥]

عَصاكَ وقَارَفَ ذَنْبًا وَمَنْ ... عَصَى رَبَّهُ نَفْسَهُ قَدْ ظَلَمْ

فَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ غَافِرٌ ... هُمُ القَوْمُ مَنْ يَأْتِهِمْ يَغْتَنِمْ

تَدَارَكْتُ مَا (صَحَّ)[١٦] في ودِّهِمْ ... بِمَدْحِ (ضَعِيفٍ)[١٧] إِذِ (الحُسْنُ)[١٨] جَمّ[١٩]

وَ (أَسْنَدْتُ)[٢٠] (مَوْصُولَهُ)[٢١] (رَافِعًا)[٢٢] ... وَ(سَلْسَلْتُ)[٢٣] (مَقْطُوعَهُ)[٢٤] فَالْتَأَمْ

فَكَمْ مِنْ (غَرِيبٍ)[٢٥] عَشَى[٢٦] نَارَهُمْ ... تَقَرَّى[٢٧] بِإِحْسَانِهِمْ وَالكَرَمْ

وَ(عَزَّ)[٢٨] (بِمَشْهُورِ)[٢٩] أَفْعَالِهِمْ ... فَمَنْ (يُبْهِمِ)[٣٠] الْفَضْلَ أَوْ يَتَّهِم

وَمَا (مُرْسَلٌ)[٣١] قد (عَلا)[٣٢] رَجْزُهُ[٣٣] ... بِكَلْكَلِهِ[٣٤] (نَازِلٌ)[٣٥] مُحْتَدِمْ

١٤- إشارة الى حديث النبي ﷺ: هم القوم لا يشقى بهم جليس، الوارد في صحيح مسلم، وفتح هاء بَهْزٍ للضرورة.
١٥- ألمَّ: نزل.
١٦-الذي يتصل إسناده برواية العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة.
١٧- هو ما فقد شرطا من شروط القبول الشامل للصحيح والحسن.
١٨- الذي رجاله دون رجال الصحيح شهرة.
١٩- جم: كثير.
٢٠- إشارة إلى المسند وهو الذي اتصل إسناده إلى النبي ﷺ ولم ينقطع.
٢١-إشارة إلى الموصول ويسمى أيضا المتصل وهو ما اتصل إسناده إلى منتهاه أي النبي ﷺ أووقف على أصحابه.
٢٢- هو ما أضيف الى النبي ﷺ من صحابي أو تابعي أو غيرهما.
٢٣- المسلسل من صفات الإسناد ويتسلسل الفعل أو القول فيه إلى النبي ﷺ.
٢٤- المقطوع صفة عموم يندرج تحته المرسل والمعضل والمعلق.
٢٥- هو ما انفرد بكله أو بعضه راوٍ واحد.
٢٦- عشى: أبصر بليل.
٢٧- تقرى: من القرى وهو الضيافة.
٢٨- العزيز الذي يرويه اثنان أو ثلاثة في طبقة.
٢٩- المشهور ما له طرق محصورة بأكثر من اثنين ولم تصل إلى حد التواتر.
٣٠- الإبهام عدم التعيين ويلحق المتن والسند.
٣١- مرسل: السحاب، وهو إشارة إلى الحديث المرسل ومن قول الناظم: وما مرسل إلى آخر القصيدة هو في وصف السحاب والمطر. والمرسل ما سقط الصحابي منه.
٣٢- العالي هو ما قل رجال إسناده.
٣٣- رجزه: صوته وهو صوت الرعد.
٣٤- كلكله: صدره.
٣٥- النازل ماكثر رجال إسناده.

بِـأَرْحَـائِـهِ[٣٦] (دَلَـــسٌ)[٣٧] أَينَمَا (تَـوَقَّـفَ)[٣٨] مِنْ (عَـضَـلٍ)[٣٩] يَبْتَسِمْ

(تَقَلَّبَ)[٤٠] (فَـرْدًا)[٤١] (فَأَنْكَرْتُهُ)[٤٢] بَـدا (كَـالْـمُـدَبَّـجِ)[٤٣] شَـيْـخٌ هَـرِمْ

وَ(مُـضْـطَـرِبٌ)[٤٤] مَا بِـه (عِـلَّـةٌ)[٤٥] وَلَـكِـنَّـهُ (مُـــدْرَجٌ)[٤٦] مُـنْـكَـظِـمْ

(يُـــؤَلِّـــفُ)[٤٧] أَذْيَـــالَـــهُ كُـلَّـمَـا (تَـفَـرَّقَ)[٤٨] أَوْ (شَـذَّ)[٤٩] مَا يَنْصَرِمْ

فَـلَـمْ أَرَ (مُـخْـتَـلِـفًـا)[٥٠] مِـثْـلَـهُ تَـرَاكَـمَ (مُـتَّـفِـقَـا)[٥١] فَـالْـتَـزَمْ[٥٢]

تَضَحْضَحَ (مَـوْضُـوعُ)[٥٣] مِـنْ وَبْلِهِ وَغَـــمَّـــسَ[٥٤] آكَـامَـهُ إِذْ سَـجَـمْ

وَ(مَـتْـرُوكُ)[٥٥] سَـيْـلٍ عظيم طَمَى وَأَتْـــرَعَ[٥٦] حَـتَّـى ظَـنَـنَّـاهُ يَـمّ[٥٧]

بِـأَجْـوَدَ مِـنْـهُـمْ إذا (عَـنْـعَـنُـوا)[٥٨] وَأَنْـــدَى كُـفُـوفـاً وَأَرْسَـــى قَـدَمْ

وَأَخْـتِـمُ بِـالْـحَـمْـدِ فـى قَـوْلِ ذا وَحُـــقَّ لَـــهُ الْـحَـمْـدُ رَبِّـي وَتَـمّ

٣٦- أرحاؤه: وسطه.
٣٧- دلس: ظلام. وفي الحديث إسقاط الشيخ أو إيهام سماعه.
٣٨- الموقوف ما قصرته على أصحابه ﷺ.
٣٩- عضل: ضيق وحرج وهو إشارة إلى الحديث المعضل الذي سقط منه راويان.
٤٠- المقلوب أن يبدل راو لحديث معروف بغيره وقد يقع في المتن.
٤١- الفرد قسمان أن ينفرد به راو عن كل أحد وهو المطلق أو أن يقيد بثقة.
٤٢- المنكر الحديث الذي يتفرد به من لا يحتمل تفرده لكونه لم يبلغ مرتبة في الإتقان تؤهله للتفرد.
٤٣- المدبج: القبيح المنظر وهو إشارة إلى الحديث المدبج وهو رواية الأقران.
٤٤- المضطرب نوع من المعل لم يظهر فيه ترجيح.
٤٥- المعلل حديث ظاهره السلامة اطلع فيه بعد التفتيش على قادح.
٤٦- مدرج: بالماء مثقل به وهو إشارة إلى الحديث المدرج بكلام من راويه.
٤٧- المؤتلف والمختلف قسم واحد وهو متفق الخط دون اللفظ.
٤٨- المتفق والمفترق هما نوع واحد لما اتفق لفظه وافترق في المسمى.
٤٩- الشاذ ما انفرد به ثقة بزيادة أو نقص في متن أو سند عن جماعة.
٥٠- التزم: أقام مكانه.
٥١- موضوع: اسم موضوع وهو إشارة إلى الحديث الموضوع المكذوب المختلق.
٥٢- غمس: غطى.
٥٣- متروك السيل ما يبقى من ماء السيل وهو إشارة إلى الحديث المتروك وهو ما انفرد به الضعيف وهو أخف من الموضوع.
٥٤- أترع: ملأ.
٥٥- اليم: البحر.
٥٦- المعنعن ما روي بلفظ عن دون بيان للتحديث.

أثر الهدي الإسلامي في الحفاظ على الصحة النفسية

د. عبدالرحمن العيسوي

الصحة النفسية الجيدة من بين النعم التي ينعم الله بها على عباده الصالحين، وليست الصحة النفسية الجيدة أو التوافق النفسي مجرد الخلو من الأمراض والاضطرابات والعلل، ولكنها إلى جانب ذلك حالة إيجابية يستطيع الفرد معها القيام بأعماله وأدواره ورسالته المنوطة به في هذه الحياة، فالانسان المسلم عليه ان يعبد الله وان يسعى لاكتساب مرضاته ورضاه وأن يسعى للجنة والصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

إسلامنا العظيم مدرسة عظيمة في التربية النفسية الجيدة والصالحة، تلك التربية التي تقوم على أساس الفطرة السوية التي فطر الله الإنسان عليها ليكون خليفة الله في الأرض يسعى لتعميرها وتحسينها والمحافظة عليها، بما في ذلك المحافظة على نفسه وعلى نسله ليحفظ أبناء أمة الإسلام والسلالة الإسلامية العظيمة والعريقة والتي قال فيها رب العزة والجلالة ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ (آل عمران: ١١٠).

والإسلام الحنيف يربي أبناءه على البعد عن كل ما يؤذي أبدانهم وأرواحهم ونفوسهم ويحضهم على العمل الصالح الطيب، وأن يبتعدوا عن مشاعر السخط والغيظ والكراهية والبغض والغيرة والحسد والانتقام والثأر، ويدعو الى الاستقرار وراحة البال والاعتماد على الله العلي القدير الذي يقف بجانب العبد في الشدائد والمصائب والنوائب ويحميه ويحفظه، إنه خير الحافظين.

أثر الحماية من العوز

لاشك أن العوز والحرمان من العوامل التي تسهم في نشأة الاضطرابات النفسية والعقلية، وإسلامنا الحنيف حريص كل الحرص على رعاية الأبناء وحمايتهم من الفقر والجوع والعوز، ولذلك جاء الهدي الإسلامي المبارك يفرض على الوالد رعاية أبنائه وحمايتهم كما في قوله تعالى: ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ (البقرة: ٢٣٣)، حتى لا يتعرض أبناء المسلم للتشرد، وما نلاحظه اليوم من ظاهرة «أطفال الشوارع» وهي ظاهرة تعد عارًا على جبين الأمة العربية والإسلامية، ومن بين أسبابها البعد عن الهدي الإسلامي المبارك في التضامن والتكافل والتساند والتعاون والبر والإحسان والتصدق.

ويدعو إسلامنا الحنيف للإنفاق والتوسعة على عباد الله كما في قوله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها﴾ (الطلاق: ٧).

والإنفاق على الأسرة فيه تدعيم لوحدة الأسرة وتماسكها وتضامنها، وفيه شعور بالأمن والأمان لجميع أعضائها، والوالدان عندما يحرصان على تربية أبنائهما تربية إسلامية صحيحة، فإن الأولاد بدورهم يكفلون الآباء والأمهات في سن الشيخوخة والكبر ويرعونهم ويعطفون عليهم ويعاملونهم بالحسنى ويدعون لهم بالصحة والبركة، هكذا يوفر إسلامنا العظيم شبكة من الرعاية والحماية والإعالة والحب والعطف والحنان قلما توجد في ظل ديانة أخرى أو في إطار أنظمة أخرى مهما ادعت الديموقراطية والإنسانية.

حماية الإسلام الحنيف أبناءه من الطمع والجشع والأنانية

وإسلامنا الحنيف يربى أبناءه على التعفف والقناعة والزهد، وبذلك يُبعد عن الشخصية الإسلامية مشاعر الطمع والجشع والأنانية والشره والحقد والغيرة والحسد، ويحمي الشخص من الإصابة بالسمنة أو البدانة الزائدة التي أصبحت من سمات العصر ومن أمراضه الشائعة.

وأثر السمنة obesity على الصحة الجسمية والعقلية معروف وليس في حاجة إلى بيان، فهي ترتبط بأمراض السكر وضغط الدم وأمراض القلب والشرايين وآلام المفاصل وغيرها.

فضلًا عن أنها تؤدي إلى ثقل الحركة وسهولة الشعور بالتعب والإرهاق.

والمسلم يتربى على الشعور بالأمن والأمان وعدم الخوف كما جاء في الهدي القرآني الكريم ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ (هود: ٦)، وذلك على عكس الفلسفة المادية الشائعة في بلاد الغرب والتي تبث في الفرد الشعور بالخوف والضياع والتعرض للجوع والتشرد والهلاك، حيث يشعر بالفردية والوحدة والعزلة، ولكن المسلم يعتمد على الله الخالق العظيم، فهو يضمن له ولغيره من الكائنات الحية رزقه، وهو أقرب إليه

من حبل الوريد، يناديه في الأزمات والكوارث، ويشعر أن الله تعالى يقف بجانبه.. يسانده ويحميه ويشد من أزره.

الدعوة للحلم والرفق والأناة

والمسلم مدعو للحلم والأناة والرفق والعفو والصفح والتسامح، ومثل هذه القيم تحرر المسلم من مشاعر الحقد والانتقام والثأر والإيذاء، وبذلك يتم تطهير نفسه catharsis أو تحريرها أو تخليصها أو ابرائها من مشاعر العدوان والغيظ والغضب والانتقام والثأر والثورة وسائر الانفعالات السلبية الأخرى، وبذلك تركن نفس الإنسان الى الهدوء والسكينة والاستقرار وراحة البال وصفاء الذهن وخلوه من الشوائب والأضغان والأحقاد والغيظ.

وهكذا يعيش المسلم الحق في سلام مع نفسه ومع إخوانه من أبناء المجتمع المسلم، بل مع أبناء المجتمع العالمي، ومن هنا كان الإسلام دعوة عالمية، وفي هذا المعنى البليغ يقول القرآن الكريم ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ (آل عمران: ١٣٤)، وهنا يأتي الربط بين التحكم في الغيظ وضبطه وبين العفو والإحسان إلى الناس حتى تتطهر نفس المسلم من تلك المشاعر السلبية المدمرة، ويأمرنا الله عز وجل بالأخذ بسياسة العفو كما في قوله تعالى ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (الأعراف: ١٩٩)، فمن شيم المسلم الحق العفو والصفح والتسامح والمغفرة ونسيان الأحقاد والبعد عن الكراهية والغيرة والحسد والطمع والجشع وكلها مشاعر مدمرة لنفس الإنسان، فالإسلام دين ودواء ووقاية وتوجيه وإرشاد ونصح وهداية كريمة تأتي من رب العباد.

الدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومن أبلغ النصح الإسلامي أن يأمرنا رب العزة والجلالة بالعفو والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبغي والظلم والضلال، كما في قوله تعالى ﴿خذ العفو وأمر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (الأعراف: ١٩٩)، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات المسلم الحق، وبذلك يصبح المسلم شخصًا إيجابيًا وليس سلبيًا.. يصبح فاعلًا ومؤثرًا في المجتمع الذي يعيش فيه.

وقوله تعالى في الدعوة للحسنى ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ (فصلت: ٣٤-٣٥)، وفي ذلك تحرير لنفسية المسلم من مشاعر العداوة والكراهية، وهي مشاعر قاتلة في عرف علماء النفس المحدثين، لا يدفع الإنسان بالحسن من الأمور بل بالتي هي أحسن وأفضل وأقوم، ويوضح القرآن الكريم الفرق بين الحسنة والسيئة حتى يتحاشى المسلم السيئات، وتلك قمة الإنسانية التي يربي الإسلام أبناءه عليها.

تربية الإسلام للمسلم تربية إنسانية متكاملة وشاملة قوامها الأخلاق الحميدة والسلوك الطيب والعلاقات الاجتماعية الجيدة والأخذ والعطاء، والحياة الحديثة مليئة بمظاهر التصارع والتطاحن والتنافس، أما إسلامنا الخالد فيأمرنا بالتحلي بالصبر والغفران، حتى تتطهر نفس الإنسان من كل مشاعر السلبية، وذلك كما في قوله تعالى ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ (الشورى: ٤٣)، فعندما يصبر الإنسان لا يعبر ذلك عن ضعفه وإنما عن قوته وعزمه وصحة آرائه وسلامة مسلكه.

ويدعونا الإسلام ليس للصفح وحسب، ولكن الصفح الجميل ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ (الحجر: ٨٥) وذلك حتى يُحَبِّب إسلامنا العظيم إلى أبنائه الصفح، ويرشدهم إلى كيفية التمتع بالحالة النفسية التي تسود الإنسان عندما يصفح عن غيره وعندما يحسن إلى غيره. وفي ذلك أبلغ رد على من يقول كذبًا إن الإسلام انتشر بالغزو وبحد السيف، ولكن الحقيقة الساطعة أن الإسلام انتشر عن طريق جمال مبادئه، في الخير والحق والجمال والعدل والإحسان والرحمة والشفقة والبر والصدق والتعاون والأخذ والعطاء، تلك المبادئ الساطعة هي التي جذبت أهالي الأمصار الأخرى الى اعتناق الإسلام عن حب ورضا واقتناع، ولو كان الإسلام لا ينتشر إلا بحد السيف لما شاهدنا اليوم حتى في البلاد الغربية الناس يدخلون في دين الإسلام حبًا وطواعية حتى في ظل الدعايات المغرضة التي ينشرها أعداء الإسلام ضده بأنه دين عنف ودماء وإرهاب ويروجون لفكرة «الإسلاموفوبيا» أي ظاهرة الخوف المرضي غير المبرر من الإسلام.

القيمة الصحية للنوم الهادئ المريح

الهدى الإسلامي الكريم يحيط بالإنسان المسلم ليشمل كل جوانب حياته الأسرية العملية أو المهنية والاجتماعية والنفسية والعقلية والأخلاقية والروحية والإيمانية، ويرعى الإسلام صحة الإنسان ويحافظ عليها، وفي هذا العصر ازداد انتشار ما يعرف باسم اضطرابات النوم sleep disorders وهي كثيرة ومتعددة ومنها الأرق أو السهاد insomnia أو الحرمان من النوم والأحلام المزعجة والكوابيس dreams and nightmares والفزع أثناء النوم، وكذلك المشي أثناء النوم sleep walking ولقد جاء في الهدى الإسلامي ما يحفظ للإنسان نومًا هادئًا مريحًا مستقرًا، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن، ثم قال «اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت». (رواه الإمام البخاري)، والنوم الهادئ المستقر يؤدي إلى راحة العقل والجسم وإلى النشاط والحيوية والانتباه واليقظة، ولذلك قيل فيه بحق: «إن النوم سلطان».

الحماية من أخطار التلوث المائي والهوائي والأرضي

يئن العالم كله الآن، وإن كان بدرجات متفاوتة، من آفة التلوث المائي والهوائي والأرضي air..water. and underground water pollutions. ويؤدي التلوث إلى اصابة الإنسان بكثير من الأمراض الجسمية والصدرية والكلوية والقلبية والعقلية، كما يحدث عند تسمم الأطفال بمادة الرصاص lead poisoning التي تؤدي الى اصابة الطفل بالتخلف العقلي.

الصحة النفسية هي حالة إيجابية يستطيع الفرد معها القيام برسالته في الحياة

ويدفع إسلامنا الخالد عن الإنسان خطر التلوث بكل أنواعه وأشكاله بالحض على عدم التبول في الماء الراكد أو التغوط في طريق الناس أو في ظلهم وفي موارد المياه العذبة اهتداء بقوله تعالى ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا﴾ (الأحزاب: ٥٨)، فالإسلام ينهى الإنسان عن إيذاء نفسه وغيره، ومعروف أن التغوط في مجاري المياه العذبة يؤدي الى انتقال العدوى، وذلك حتى يحيا المسلم في بيئة نظيفة صالحة لا تهاجمه فيها الأمراض والجراثيم والأوبئة، ولا تنتشر فيها الحشرات والقوارض والأفاعي.

فالإنسان يحمي نفسه وغيره بالمحافظة على نظافة البيئة، بل إنه مدعو لأن يعمل على تجميلها وتحسينها وتنميتها واستغلالها واستزراعها ونشر الخير والرخاء فيها ذلك لأن الإنسان، كما يقول علماء النفس المحدثون هو ابن البيئة والوراثة، بمعنى أن شخصيته تتشكل من عوامل الوراثة التي تأتيه من الآباء والأجداد والأمهات، ومن الظروف البيئية التي ينبغي أن تكون حسنة وصالحة وفيها تربية على الفطرة السوية.. فطرة الإسلام العظيم.

القيمة النفسية للشعور بالعدل والمساواة

والشعور بالعدل من المشاعر الإيجابية التي تؤدي الى تمتع المسلم بالصحة النفسية الجيدة، وتبث فيه الشعور بالرضا والراحة، ومن الأمور الشائعة، للأسف الشديد، في أيامنا هذه، عدم توخي الآباء والأمهات العدالة في التعامل مع الأبناء الذكور والإناث، ويدعو إسلامنا العظيم الى كراهية تفضيل الوالد لبعض أولاده على بعض في الهبة أو العطايا أو المصروف اليومي، وفي هذا الهدي الإسلامي الكريم جاء عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: «إني نحلت ابني هذا غلامًا كان لي، فقال رسول الله ﷺ: أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال لا، فقال رسول الله ﷺ «فارجعه».

فالعدل في تربية الأطفال من فضائل الإسلام، ذلك لأن الطفل إذا تربى على الشعور بالعدل، شب عليه واتخذه منهجًا وطريقًا له في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأسرية، الى جانب مبادئ إسلامنا العظيم الأخرى في البر والإحسان والتقوى والرحمة والورع والخشوع والمساواة وتكافؤ الفرص والحرية والتعاون والأخذ والعطاء ونبذ الظلم والطغيان والبطش والاستبداد والعنف والتطرف والاستقواء بالقوى الأجنبية للبطش بالشعوب.

المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- محمد فؤاد عبدالباقي (١٩٨١)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
٣- الامام النووي، تعليق إبراهيم محمد الجمل (١٤١٢هـ)، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، دار القلم للتراث، القاهرة، مصر.
٤- الجزائري، أبوبكر جابر، (١٩٦٤)، منهاج المسلم، كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، مكتبة دار التراث، القاهرة.

لغة وأدب

وغيرك يهدم!

عبر سنين طويلة من القرن الماضي شُغِلت الساحة اللغوية بحرب ضروس عمل مشعلوها على هدم بنيان اللغة العربية من القواعد ، وتولى كبرها شرذمة من المستشرقين الذين اندسوا بين العرب واتخذوا لأنفسهم أبواقًا- من هؤلاء العرب- تنعق بما لا تفهم ، أو ربما فهمت لكنها آثرت المصالح الدنيا ، وغلَّبت التضحية بمصير أمة بكاملها لتعيش أيامًا تبدو لها هانئة !

فصول هذه الرواية المريرة مسطورة فيما أنتجته قريحة الجيل الذي عاصرها ، ولعل من أخلصها كتاب «أباطيل وأسمار» لشيخ العربية أبي فهر محمود محمد شاكر . . وتفصيل هذه الفصول في كتاب «تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر» للدكتورة نفوسة زكريا سعيد الذي أثنى عليه أبوفهر في كتابه هذا ، مؤكدًا أنه لو كان قرأه من قبل لأعرض عن الكتابة في هذا الموضوع لكفايته فيه . . ولهذا الثناء ما له من الدلالة ، لاسيما أنه يصدر من رجل بحجم شيخ العربية !

أما اليوم ، فيبدو للرائي أن القطار على قضبانه منطلق في صمت ، غير عابئ ولا ملتفت لمصير من اعترضه أو صاح لإيقافه ، توطئ له الطريق معاول هدم جمة ، لا مجال لذكر شيء منها هنا ، فضلًا عن حصرها ، والعجيب في الأمر أن الأبواق التي كانت مأجورة من قبل اضطلعت بالمهمة حتى بدت وكأنها هي صاحبة القضية ، فغطت على رجالها الأصليين ، فآثر كثير منهم الصمت لمَّا رأوا ما يَصْبون إليه يقع بأيدي غيرهم ! وأما دفاع اللغة فلسان حاله يقول :

متى يبلغ البنيان يومًا تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

عامر أحمد

القيم التربوية في قصص عبدالتواب يوسف

محمد عباس عرابي

عبدالتواب يوسف كاتب نذر حياته لأدب الأطفال، مبدعًا ودارسًا، وقدم لهم بالإضافة إلى كتبه الكثيرة بضع مئات من البرامج الإذاعية وهو كاتب يمتلك أدواته: فكرا وإبداعا، لغة وأسلوبا، يدرك تأثير أعماله على الأطفال، ويعرف عن يقين أنه يشارك في تثقيف الأطفال، وفي تربيتهم على قيم ومثل آمن بها وعمل من أجلها.

ولقد قدم أعماله بأسلوبه السهل البسيط في مخاطبة الأطفال، فهو يختار مفرداته ببراعة ودقة ليكون لديهم ثروة لغوية كبيرة، ومن ثمّ فلم يهتم فقط بالمضمون، ولكنه اهتم بالعناصر الفنية كافة في أعماله التي ستظل كنزا ثمينا لأجيالنا القادمة. ولقد اهتم كاتبنا بقضايا الطفولة والوطن، واهتم اهتماما خاصا بالموضوعات التاريخية لتقديم صفحة من صفحات تاريخنا المشرق، وإلقاء الضوء على قصص وأبطال من التاريخ لتكون قدوة للأطفال والناشئين، وتأكيدا لقيم الوطنية والانتماء وحب السلام ونبذ الحرب والدمار، إلى جانب اهتمامه بالموضوعات الدينية، وتقديم قصص دينية للأطفال من أجل إثراء وجدانهم الديني وثقافتهم الروحية.

يحاول هذا المقال إلقاء الضوء على القيم التربوية في قصص عبدالتواب يوسف: وذلك لأن عبدالتواب يوسف أدرك أهمية هذه القيم في حياة الطفل، وأدرك الأنواع المختلفة من القيم الاجتماعية والدينية والأخلاقية، وأنها ضرورة تربوية، لذلك كان لها دور مهم في ثنايا أعماله القصصية حيث يقول في كتابه «حول أدب الأطفال وكتبهم»: القيم الدينية والأخلاقية تعتبر المحور الأساسي لجميع ما أقدمه للأطفال في جميع المجالات العلمية والثقافية والفنية، وأنا لا أجذب الطفل من أذنه بعنف إلى مجالات التربية والأخلاق، بل اعتمد على القصص التي قد تكون حقيقية مستمدة من التجربة الذاتية أو مما قرأت أو سمعت.

وتعددت القيم التربوية التي دارت حولها قصص عبدالتواب يوسف منها: قيمة الاستقلال وتحمل المسؤولية، قيمة الطموح، وقيمة حب القراءة والاطلاع،

قيمة التعاون، وقيمة حب الاستطلاع، قيمة النظام، قيمة التواضع، قيمة الشجاعة، قيمة الصداقة، قيمة الثواب والعقاب، قيمة الحب والسلام، قيمة التسامح، قيمة النجاح، قيمة التفاؤل.

قيمة الاستقلال وتحمل المسؤولية

ويقصد بهذه القيمة: الاعتماد على الذات (تحمل المسؤولية)- حرية التصرف دون الاعتماد على الآخرين- نقد الأفكار الأخرى- اتخاذ القرار، وقد ظهرت هذه القيمة في قصص: عم نعناع، المعلم النبيل، ليلى عروستي آخر شقاوة، السندباد يقابل «كينج كونج»، أشبال ٦ أكتوبر، بامبي، خيال الحقل، صديقي فوق الشجرة، سيف الله خالد بن الوليد.

ففي قصة «المعلم النبيل» بدأ يوسف مشوار التعلم والعمل معا، واعتمد اعتمادًا كاملًا على نفسه، فكان يعمل وينفق على دراسته في الأزهر، وفي قصة «صديقي فوق الشجرة» تقول الأم: يجب أن نعتمد على أنفسنا، وبدأ كل واحد من أفراد الأسرة يقوم بعمله.. وتؤكد الأم على قيمة هذا العمل فتعود وتقول: إن هذا العمل هو متعتنا.. العمل ليس شيئًا مملًا أو واجبا يقوم به الفرد ولكن لابد أن يؤدي هذا العمل بحب وسعادة.

ومن خلال قيمة الاستقلال وتحمل المسؤولية يحاول عبدالتواب يوسف أن يبث الشعور لدى الأطفال بالقدرة على تحمل المسؤولية ومواجهة العقبات والصمود في المواقف الصعبة حتى يستطيع أن يواجه الحياة بما فيها من مشاكل.

كاتب صحفي مصري

الاستقلال .. الطموح.. حب القراءة .. التعاون..النظام التواضع .. قيم غرسها عبدالتواب يوسف في قرائه

قيمة الطموح

وهي تشير إلى المستوى الذي يطمح الفرد إلى أن يصل إليه أو يتوقعه لنفسه سواء في تحصيله الدراسي أو في إنجازه العلمي أو في مهنته، وهي قيمة تربوية مهمة ظهرت في معظم قصص عبدالتواب يوسف منها قصة «المعلم النبيل»، وقصة «الشجرة المنتصرة»، ففي قصة «المعلم النبيل» نجد أن «يوسف» كان إنسانًا طموحًا يسعى إلى أن يصل إلى كل ما يتمناه.. فكان يحلم بأن يتعلم ويكون له شأن عظيم واستطاع بالجهد والإصرار أن يتعلم وأن يعمل معلما وأن يعلم الأطفال قيما مهمة في الحياة.. وأن يكون له دور في الدفاع عن وطنه.

قيمة حب القراءة والاطلاع

وهي تعبر عن أهمية القراءة والاطلاع على أنواع الكتب، والبحث عن الكتاب سواء في مكتبة المدرسة أو في مكتبة عامة، ولهذه القيمة اهتمام خاص لدى عبدالتواب يوسف حيث تناولها في قصة «عم نعناع» و«السندباد يقابل كينج كونج» و«المعلم النبيل» و«ليلى عروستي آخر شقاوة» و«حكايات توشكى» و«أشبال ٦ أكتوبر» ففي رواية «ليلى عروستي آخر شقاوة» تقول الأم: إن الصغيرة ريم تحب الناس، وتحب أن تعيش بينهم ومعهم ولهم، وهي قارئة ممتازة، تتردد على المكتبات، ويطيب لها الجلوس حول الموائد فيها بين زميلاتها، وهن جميعا صامتات، فهنا لا يعلم الكاتب الطفل حب القراءة والتردد على المكتبات فقط، ولكنه يعلمه أيضا آداب القراءة في المكتبة حيث الهدوء والصمت للاستمتاع الجيد بما يقرأه.

قيمة التعاون

وهي قيمة تشمل تقديم المساعدة للمحتاجين إليها والعطف عليهم، وتشمل العمل الجماعي والاتحاد لإنقاذ عمل ما أو لدفع الخطر وتجنب الاختلاف في الرأي للمحافظة على وحدة الجماعة، وقد ظهرت قيمة التعاون في قصة «عم نعناع» و«أشبال ٦ أكتوبر» و«سيف الله خالد بن الوليد» و«المعلم النبيل» و«السندباد يقابل كينج كونج» و«ليلى عروستي آخر شقاوة» و«خيال الحقل»، ففي قصة «سيف الله خالد بن الوليد» تظهر قيمة التعاون عندما تحمس المؤمنون للحفر، وكان الرسول ﷺ يعمل مثلهم، وفي رواية «عم نعناع» تعاون الأطفال معًا في فتح مكتبة عم نعناع، وتم تقسيم الأدوار بينهم، كما تعاون الأطفال في عمل فريق كرة ليلعبوا على كأس العم نعناع، وعملوا فريق تمثيل ومسرحية، وكان دخل كل من الكأس والمسرحية لصالح العم نعناع حتى يستطيع إجراء العملية في عينيه، وبالفعل نجحوا في ذلك، وعاد العم نعناع إلى مكتبته مرة ثانية نتيجة تعاون الأطفال معًا وإصرارهم على عودة عم نعناع.

قيمة حب الاستطلاع

للقصة دور كبير في تنمية حب الاستطلاع والفضول المعرفي لدى الطفل وتشجيعه على التساؤل والاستفهام عما لا يعرفه، وقد اهتم عبدالتواب يوسف بهذه القيمة من خلال بعض قصصه مثل قصة «بامبي» و«المعلم النبيل» و«السندباد يقابل كينج كونج» و«ليلى عروستي آخر شقاوة» و«خيال الحقل» و«رحلات سندباد الجديدة» و«الربان الجريء»، ففي قصة «الربان الجريء» كان «رحمة» يحاول في دأب شديد أن يعرف كل شيء وأن يلم بما يجري حوله.. فقد كان شغوفًا ومهتمًا بالبحر والسفن فلم يكن «رحمة» يكف عن السؤال عن حكايات كل من (العثمانيين- الفرس- الهنود- أوروبا ممثلة في البرتغال وفرنسا وهولندا وإنجلترا).

قيمة النظام

ويقصد بها الاهتمام بالترتيب والنظام في كل أمور الحياة، وقد ظهرت هذه القيمة في قصة «عم نعناع» و«المعلم النبيل» و«الشجرة المنتصرة» و«صديقي فوق الشجرة»، ففي قصة «الشجرة المنتصرة» يُظهر الكاتب أهمية النظام في تحقيق الهدف، فعندما تجمع تلاميذ المدرسة وقفوا بنظام متشابكي الأيدي ليكونوا سورًا حول الحديقة.. وارتفعت الأصوات تهتف وتنشد.. ساد النظام، وأقبل الناس يشهدون المنظر وانضم بعضهم إليهم.

قيمة التواضع

ويقصد بها عدم التمادي في تقدير الذات (البعد عن الغرور)، وعدم الميل إلى فرض الشخصية، وظهرت هذه القيمة في حكايات «توشكى» و«المعلم النبيل» و«الربان الجريء» و«سيف الله خالد بن الوليد» وفيها رأينا كيف كان رسول الله ﷺ يعمل بنفسه مع الصحابة في حفر الخندق، وينقل التراب معهم، وفي هذا دلالة على تواضع الرسول ﷺ، فالإسلام يدعو إلى المساواة بين الناس وهم كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح.

قيمة النجاح

وهي تشمل التفوق في الدراسة والعمل ومختلف مجالات الحياة الأخرى، وتحقيق الأهداف المرسومة في الحياة، ولقد ظهرت في قصة «أشبال ٦ أكتوبر» و«خيال الحقل» و«عم نعناع» و«ليلى عروستي آخر شقاوة» و«المعلم النبيل» و«سيف الله خالد بن الوليد»، ففي قصة «ليلى عروستي آخر شقاوة» نجحت «ريم» في تحويل الفشل إلى نجاح، فقد انشغلت بعض الشيء عن دراستها وعن دروس الكمبيوتر، ولكنها قررت ألا تفشل واستكملت دراستها المتأخرة حتى تنجح.

الصحافة الإسلامية.. محلك سر!

تحقيق: منى الموجي

«البيان»، «قناديل الخير»، «العروة الوثقى»، «المنار»، «الوعي الإسلامي»، «الأزهر»، «صوت الأزهر»، «منار الإسلام»، «الحج والعمرة»، «المسلمون»، «منبر الإسلام»، «عقيدتي»، «اللواء الإسلامي»، «المختار الإسلامي»، «الهدى»، «الدعوة الإسلامية»، «السبيل»، «الرحمة».. هذه بعض أسماء الصحف والمجلات الإسلامية الأكثر تداولًا في العالم الإسلامي والتي لاشك في أنها تقدّم رسالة سامية بتقديم المفاهيم والمواضيع التي تهم المسلم.. لكن على الرغم من هذا الدور المحوري فإن هناك من يرون أن الصحافة الإسلامية فشلت في التعبير عن الواقع الحياتي الحالي للمسلم، وتوقف دورها على قضايا الحلال والحرام.

«الصحافة الإسلامية تحظى بمكانة متميزة لدى الجميع، خاصة في العالم العربي الذي يميل أبناؤه إلى التدين بفطرتهم».. بهذه الكلمات بدأ ممدوح العشري، نائب رئيس تحرير صحيفة «عقيدتي» المصرية، موضحًا أنه على الرغم من هذه المكانة التي تحظى بها الصحافة الإسلامية فإن هناك العديد من العوائق التي تقابلها، فعلى سبيل المثال بالنسبة إلى الصحافة الإسلامية المصرية فقد عانت خلال النظام السابق من كبت شديد للحريات، فلم يكن مسموحًا التطرق إلى مواضيع معينة، لاسيّما التي تتعلق بواقع المسلمين المعاصر، كما كانت هناك توجيهات بغض الطرف عن القرارات والتشريعات التي يتخذها النظام وتتضمن مخالفات للشريعة الإسلامية، وانعكس هذا الأمر على ثقة الناس في الصحيفة.

كما انتقد العشري الصحف الإسلامية التي تهتم فقط بأمور الشريعة دون الربط بينها وبين مشكلات المجتمع، مشيرا إلى ضرورة رد كل قضايا المجتمع سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية إلى صحيح الدين لمعرفة كيف يعالج الإسلام هذه القضايا، مؤكدًا أن غالبية المطبوعات الإسلامية تنأى بنفسها عن الدخول في هذه القضايا الحياتية، ومن ثم ينصرف عنها القرّاء.

وتابع: إن على هذه المطبوعات ألا تنكفئ على الداخل فقط، بل عليها الاهتمام بقضايا المسلمين في كل أنحاء العالم، وهذا من صميم رسالة الإسلام التي أوضحت أن «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا».. ولفت أخيرًا إلى أن بعض هذه المطبوعات أحسنت صنعًا حين استعانت بالتكنولوجيا في بسط رقعة انتشارها، فلجأت إلى تدشين مواقع إلكترونية، وهذه خطوة أعتبرها تصب في صالح هذه المطبوعات، والتي من شأنها جذب جيل الشباب الأكثر تعاملًا مع التقنية، وهو في الوقت ذاته أكثر بعدًا عن قراءة المطبوعات.

متأخرة

أما د.عبدالفتاح إدريس، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، فيؤكد أن الصحافة الإسلامية مازالت في المؤخرة بالنسبة إلى وسائل الإعلام المقروءة الأخرى، وذلك لتقاعس القائمين عليها عن الارتقاء بها وتفعيل دورها.. وأشار إلى أن العديد من هذه المطبوعات تلعب دورًا في الترويج لأفكار المؤسسة القائمة على إصدارها وتلميع رموزها، دون أن تضع الرسالة الإسلامية وربط المسلم بدينه على رأس أهدافها.

وعن عدم وجود تناغم بين المطبوعات الإسلامية فيما تنشر، أكد إدريس أن هذا التضاد أثّر بالفعل على المسار الفكري، وأدى أيضا إلى تشتت القارئ، وهذا بالطبع ليس في صالح الإسلام ولا في صالح المسلمين، حيث نجد صحيفة تبيح الربا، وأخرى تحرّمه، الأمر الذي يؤدي إلى بلبلة فكرية ويجعل الناس تعرض عن الدين كله، ولهم الحق في ذلك؛ لأنهم لا يستطيعون الوقوف على الحقيقة.. ولحل هذه المشكلة وهذا التضاد ينبغي أن تكون هناك هيئة عليا شرعية تتولى الإشراف على هذه الصحف وتتابع ما ينشر فيها حتى لا يكون بينها هذا القدر المريع من التضارب.

آفة المذهبية

بينما يؤكد د.أحمد محمود كريمة، أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر، أن من المقرر شرعًا أن إبلاغ الدعوة الإسلامية واجب على من يملك القدرة على ذلك، سواء بالكلمة المقروءة أو المسموعة أو المرئية من خلال استخدام الآلية السليمة للدعوة كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وقول

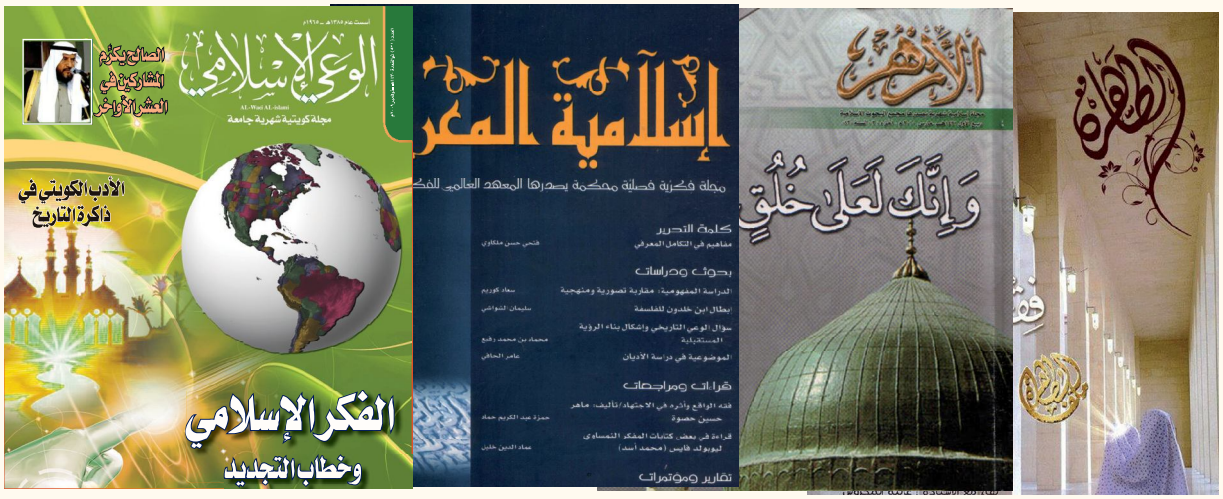

الرسول ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»، مشيرًا إلى أن للصحافة الإسلامية إسهامات طيبة في نشر الوعي الإسلامي الصحيح، لكن يؤخذ على بعضها المذهبية والدعوة العصبية، وهذا يتضح في بعض الإصدارات لتيارات فكرية بعينها وتستخدم الإصدارات الإعلامية الخاصة بها لتخدم مذهبها وليس لتخدم الإسلام وإن زعمت بصانعيها أنها تخدم الإسلام.. كما أن الموضوعية والواقعية لم تصل إلى الصحف الإسلامية بالدرجة المأمولة والغاية المرجوة من نشر صحيح الإسلام بتأصيل وتنظير علميين، ولعل من مرد هذا ومما يعد أيضا من العقبات التي تواجه هذه الصحافة أن معظم القائمين عليها ينتمون إلى العمل الصحفي وكان يجب تشكيل مجلس أمناء من علماء أكاديميين وتربويين وإعلاميين يرسمون التوصيف الإعلامي الشامل لتكون الصحيفة الإسلامية وجبة ثقافية متكاملة تعنى بأصول الدين وبالشريعة والأخلاق والقضايا المعاصرة وفقه الأولويات والمصالح وفقه المقاصد، وأغلبها أمور غائبة في المطبوعات الإسلامية.

مفهوم خاطئ

أكاديميًّا، يرى د.سليمان صالح، أستاذ الصحافة بكلية الإعلام جامعة القاهرة، أن هناك مفهومًا خاطئًا ساد فترة طويلة من الزمن هو أن الإعلام الإسلامي مقصور على أمور الدين ويتعرض لتفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية فقط، وإن كان هذا الجزء من الإعلام هدفه الأساسي زيادة المعرفة بأمور الدين إلا أن الإعلام الإسلامي لابد أن يتسع لأمور أخرى تربط واقع المسلم ومجتمعه بأمور دينه، بأسلوب سلس وميسر وبأسلوب عصري، مشيرا إلى أن الذين يأخذون الإعلام الإسلامي على أنه دين فقط ليتحدثوا عن الشريعة لا يفهمون حقيقة الإسلام، الذي هو في جوهره مجتمع ودولة وعقيدة وسلوكات.وعن عدم وجود صحافة إسلامية تهتم بشؤون وأخبار المسلمين في العالم كله، يقول د.سليمان أرى أننا لابد أن نتعامل مع العالم كله كوحدة واحدة وأن يتم الاهتمام بالمسلمين كصناع حضارة يقوموا بإنجازات عظيمة في مجتمعاتهم.

ولا يرى د.سليمان مشكلة في وجود تنوع وتباين بين المطبوعات والفضائيات الإسلامية، مؤكدا أن ذلك من شأنه أن يزيد الثراء والتنوع الفكري الذي يتناسب والحضارة الإسلامية ويخدم المذاهب الفقهية والجوانب المختلفة في الحياة، وعلى القارئ أن يختار ما يشبع احتياجاته ويتوافق مع أفكاره.

تجارب إلكترونية

وبعيدًا عن الصحافة المطبوعة أو الفضائية، نجد العديد من التجارب الإلكترونية التي تهتم بالشؤون الإسلامية المختلفة من قضايا الشريعة والقضايا الشائكة والقضايا المجتمعية المختلفة التي يهم العالم الإسلامي معرفة رأي الدين فيها والتعرف على صحيح الدين ليس فقط تفسير القرآن والأحاديث النبوية، وتهتم أيضًا هذه المواقع بأخبار المسلمين ليس في العالم الإسلامي فقط وإنما تهتم بالأقليات المسلمة في الدول الغربية كمحاولة منها لسد هذا العجز أو هذه الفجوة التي لا يهتم الإعلام الإسلامي التقليدي الورقي بسدها، وعلى رأسها المواقع الدعوية لكبار العلماء والشيوخ سواء في المملكة العربية السعودية أو في مصر أو في مختلف أنحاء العالمين العربي والإسلامي، وكثير من هذه المواقع تُخصص أقسامًا كاملة لنشر أخبار المسلمين في أنحاء العالم، كما تقدم أبوابًا للفتوى، وأخرى تكشف عن جديد المطبوعات والإصدارات الإسلامية، وأيضا تروج وتعلن عن مواعيد وأماكن لندوات وملتقيات إسلامية، فضلا عن مساحات للقضايا الأسرية وتربية النشء، وهي محاولات جادة للدفع بالصحافة الإسلامية خطوات نحو الأمام.

مجموع فتاوى القرآن الكريم من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري

التحرير

التعريف بالكتاب
الفن: علوم القرآن
المؤلف: محمد موسى الشريف
سنة النشر: ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م
رقم الطبعة: الثانية
عدد المجلدات: (٣ مجلدات)
إصدار: دار الأندلس الخضراء

حرص علماء الأمة الإسلامية على تدبر هذا الكتاب العظيم، واستفراغ الوسع في فهمه والعناية به، وأقبلوا على استنباط الأحكام منه وجعلوه إمامًا لهم، فما أحله الله تعالى أحلوه، وما حرمه الله تعالى حرموه، واتبعهم على ذلك السواد الأعظم من المسلمين فكانوا خير أمة لخير كتاب، فحفظهم الله تعالى بحفظهم لكتابه، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، وشرفهم ورفعهم وجعلهم سادة قادة للعالمين.

هذا وإن جهود علماء الأمة في العناية بالقرآن لا يمكن إحصاؤها ولا تقديرها، إذ كل من اشتغل بعلم من العلوم الإسلامية فهو معتن بالقرآن عامل به، فالمحدث معتن بآيات من كتاب الله تعالى منها: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ فهو مهتم بالبحث عما آتانا إياه الرسول ﷺ وتحقيقه والاعتناء به، والفقيه مهتم بكتاب الله تعالى، محقق قوله جل جلاله: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾، والمؤرخ معتن بكتاب الله تعالى، محقق قوله جل جلاله: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عقبة الذين من قبل﴾، والشيء نفسه يقال على كل عالم مقبل على علمه وهو في الوقت نفسه معتن بكتاب الله تعالى محقق لآياته، هذا عدا عن العلماء الذين انصبت جهودهم على كتاب الله تعالى وعكفوا عليه كالمفسرين والقراء.

هذا وإن طائفة من العلماء فرغت نفسها للتفقه في دين الله تعالى والغوص في كتابه الكريم فأخرجت لآلئ من الفهم والعلم هي حقًا كنوز ثمينة وعلوم شريفة، ولعل من أهم هذه اللآلئ الفتاوى التي ازدانت بها مجالس العلماء وكتبهم، وتناقلها الخلف عن السلف، وأضافوا عليها من الإضافات المهمة ما جعلها كحبات العقد المنظوم.

وهذه الفتاوى تنوعت في مجالات شتى، فسائل يسأل عن نزول القرآن الكريم، وآخر يسأل عن جمعه، وثالث عن قراءته، ورابع عن فقهه، وخامس عن مسائل العقائد المتصلة به، وسادس عن تجويده، وهكذا...

وقد تفرقت هذه الفتاوى على مدار القرون في كتب ورسائل، وتناثرت فلم يعد يجمعها كتاب جامع لتلك الفتاوى المنثورة في نظام واحد، فعقد مؤلف الكتاب العزم مستعينًا بالله على جمعها في كتابنا هذا، وكان منهجه في هذا الجمع على النحو التالي:

أولًا: جمع جميع الفتاوى المطبوعة التي وقف عليها في ثنايا الكتب القديمة والجديدة على سواء، وذلك من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر، وكذلك المجلات الشرعية والدعوية والثقافية، فكل من مات قبل انقضاء القرن الرابع عشر ففتاواه مندرجة في هذا الكتاب، واستثنى القرن الخامس عشر - وقد انقضت منه عشرون سنة تقريبًا - للأسباب التالية:

أ- سهولة الحصول على فتاوى هذا القرن مقارنة بما سبقه من قرون.

ب- اختصار حجم الكتاب، إذ قد نشطت حركة الإفتاء في هذا القرن وتعدد المفتون وكثروا حتى صار من الصعب حصرهم، ولو أراد حصرهم واستقصاءهم لجاء هذا الكتاب في حجم مضاعف مرات عديدة.

جـ- أكثر من أفتى في هذا القرن الخامس عشر مازال حيًا، ولعله أن يرجع عن فتواه.

ثانيًا: استثنى الفتاوى المخطوطة، وذلك مراعاة لحجم الكتاب.

ثالثًا: اعتمد على فتاوى أهل السنة والجماعة، فلم يورد فتاوى الفرق الضالة، ولم يعرج عليها.

رابعًا: اعتمد منهج الاستقصاء في هذا الجمع، فلم يترك- فيما وقف عليه من الفتاوى- إلا ما لم يَعُد صالحًا لهذا العصر بحال، ولم يعد أحد يحتاج إليه، وذلك نحو فتاوى رهن المصحف، والفتاوى من هذا النوع المتروك قليلة جدًا.

ولقد ترك الفتاوى الخاصة بالتفسير لسببين:

- لكثرتها جدًا بحيث تكون كتبًا كاملة في بعض الأحيان.

- والسبب الآخر: سهولة الحصول عليها، فلذلك لم ير إثباتها في هذا المجموع.

لكنه أورد في القسم السادس- قسم التفسير وترجمة القرآن- الفتاوى العامة التي يسأل المستفتون فيها عن كتب التفسير مثلًا وعن أنواعه... إلخ. ولم يتطرق إلى الفتاوى الخاصة بتفسير معاني القرآن وجهله للسببين آنفي الذكر.

خامسًا: أورد الفتاوى بنصها كاملة إلا النزر القليل الذي تصرف فيه لطوله المفرط، أو لغير ذلك، كخطأ طباعي في الأصل ونحوه مما يقتضي نوعًا من التصرف.

سادسًا: صنَّف الفتاوى أصنافًا، وألحق كل نظير بنظيره، واجتهد في ترتيبها على القرون؛ فيورد مثلا فتوى المتقدم أولًا في كل قسم من الأقسام التي أوردها في هذا الكتاب، وقد جاءت هذه الأقسام على النحو التالي:

١- الحكمة من إنزال القرآن العظيم وبلاغته والتحاكم إليه.
٢- خواص القرآن.
٣- فضائل القرآن.
٤- آداب القرآن.
٥- العقيدة.
٦- التفسير وترجمة القرآن.
٧- قراءة القرآن العظيم.
٨- القراءات.
٩- الرسم والتجويد.
١٠- قراءة القرآن بالألحان.
١١- قراءة القرآن على الميت.
١٢- الطهارة لقراءة القرآن الكريم ومسه.
١٣- مسائل متفرقة.

سابعًا: لم يثبت المؤلف في كتابه من الفتاوى إلا ما نُص في سياقه على أنها فتوى، نحو: سئل الشيخ الفلاني عن كذا فأجاب بكذا، أو أن الفتوى قد انتزعت من كتاب خاص بالفتاوى مثل الفتاوى الهندية، إذ بعض الفتاوى الواردة فيه ليس فيها نص على السؤال، بل فيها إجابات على أسئلة قد حذفت، أما ما عدا ذلك فلا يورده لاحتمال ألا يكون فتوى، وإنما هو تقرير أو ما شابه.

ثامنًا: حاول المؤلف أن يبين في كل طائفة من الفتاوى ذوات الموضوع المتماثل أو المتقارب الراجحَ منها، وقد يعلق على ما يرى التعليق عليه، منتقدًا بعض ما أورده بعض السادة العلماء الأجلاء مما يرى أنه خالف الحق أو المنهج الصحيح في ظنه.

تاسعًا: جرى المؤلف على المنهج العلمي في وضع مادة هذا الكتاب، وذلك على النحو التالي:

أ- بين مواضع الآيات الكريمة من سورها.

ب- خرج الأحاديث الشريفة بعزوها إلى كتبها المخرجة فيها، فما كان منها في صحيح البخاري فقد اكتفى ببيان موضعها منه، وما كان في غيره تخير منه ما وسعه الاختيار، واكتفى من التحقيق الواسع ببيان درجة الحديث، واستعان في هذا بتخريج علماء الحديث وتحقيقهم، وما لم يجد فيه لأحد كلاما اجتهد فيه برأيه.

جـ- التزم تخريج الآثار بعزوها إلى كتبها، وربما بين درجة بعضها وفق المنهج الذي ذُكر في الفقرة السابقة.

د- ترجم للأعلام الواردة ترجمة مختصرة، وقد استعان في كثير من التراجم بـ«التقريب»، وما كان من التراجم خارجا عن ذلك الكتاب فإن كان طويلا اختصره، وإلا تصرف في إثباته بعض التصرف، وأشار إلى الكتاب الذي استقى الترجمة منه جزءا وصفحة.

هـ- ألجأت المؤلف بعضُ نصوص الفتاوى إلى عمل شيء من التحقيق العلمي، وذلك لسوء الطباعة أو السقط ونحو ذلك، فعمد إلى مقارنة بعض النصوص الواردة في كتب مختلفة وخرج بنص مختار، لكن نسبة هذا قليلة بالنظر إلى مجموع فتاوى الكتاب، التي اكتفى منها بالنص الوارد في الكتاب المطبوع إن غلب على ظنه صحة ما فيه، والأمن من السقط.

و- شرح بعض الكلمات والمصطلحات التي قد يعزب معناها عن بعض القراء الكرام.

ز- وضع فهارس شاملة متنوعة تخدم الناظر في الكتاب.

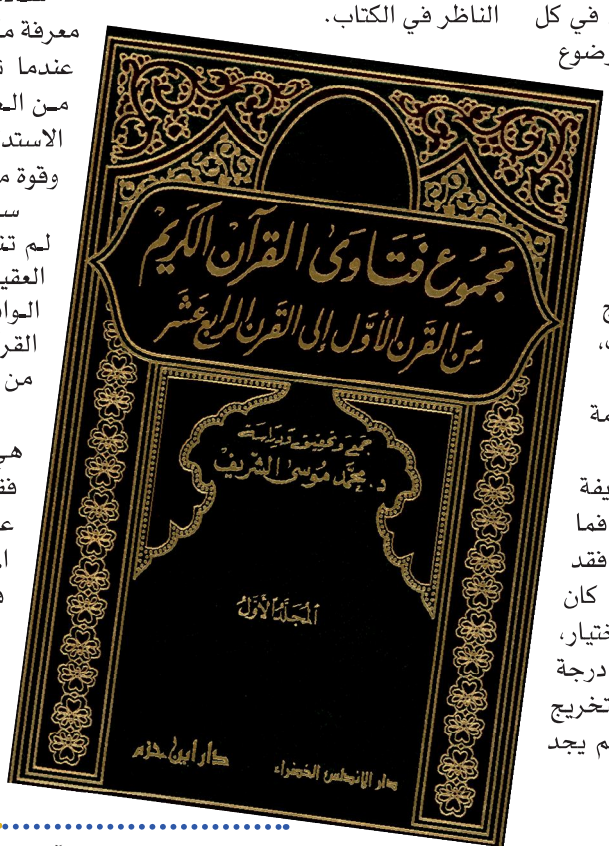

أهمية هذا الكتاب

لهذا الكتاب فوائد عدة مهمة تتلخص في الآتي:

أولا: جمع ما تفرق في بطون الكتب والمجلات في موضع واحد، وفي هذا فائدة للباحث المتتبع الذي قد تحول مشاغله الكثيرة دون الوقوف على ما يريد.

ثانيا: ترتيب الفتاوى على أقسام مما يسهل على الباحث جمع آراء العلماء في مسألة معينة.

ثالثا: رتبت الفتاوى في كل قسم على القرون، وهذا يساعد المتتبع لتغير الفتاوى بحسب الزمان والمكان، ومعرفة منهج العلماء المختلفة في الفتوى.

رابعا: في هذا الترتيب والتقسيم فرصة للاطلاع على تغير الأحوال الاجتماعية للعالم الإسلامي عبر القرون، وتدرجها من القوة إلى الضعف ومن الاتباع إلى الابتداع.

خامسا: معرفة مدى اهتمام العلماء بالقرآن الكريم وكيف صرفوا أعمارهم في دراسة كتاب الله تعالى والتنقيب عن جواهره ودرره.

سادسا: هذا الجمع قد يفيد في معرفة مكانة عدد من كبار العلماء، وذلك عندما تقارن فتاواهم بفتاوى الآخرين من العلماء، ويعرف منهجهم في الاستدلال والترجيح، وسعة إحاطتهم، وقوة مأخذهم.

سابعا: إثراء المكتبة القرآنية التي لم تنل حظها بعد كما نالت علوم العقيدة والحديث والفقه حظوظها الوافية، فإن الناظر في المكتبة القرآنية يدرك عند مقارنتها بغيرها من العلوم أنها لم تؤت حظًا وافيًا.

والأهمية العظمى لهذا العمل هي جمع تراث العلماء السابقين فقد تأكدت أهمية أن يجمع التراث على وجه يحفظ تلك اللآلئ المنثورة والدرر المبعثرة المتروكة، فإن هذا الجيل قد قعدت همته أن يطلع على آثار الأولين على وجه حسن مُرض، فكان لزامًا أن تُقرّب له مصنفات السلف ويُختار له منها.

سلسلة النهضة التعليمية ٤ - ٤

مقترحات للنهضة

كتب: هالة عبدالحافظ - إشراق أحمد

تحديد خطوات العمل هو المرحلة الفاصلة لتعبيد الطريق نحو تحقيق النهضة، ولأن بناء الفرد ومحو أميته ومن ثم بناء المجتمع هو الهدف الرئيس للنهضة، ولأن الاعتراف بوجود المشكلة هو بداية طريق الإصلاح، فإننا نستعرض عبر السطور التالية عددًا من المقترحات التي تحقق النهضة.. ومن بينها رد الاعتبار للمعلم، وتعزيز فلسفة الإبداع سواء لدى الطالب أو في المناهج، وكذا تحقيق التوازن بين أعداد الملتحقين بالتعليم الجامعي والمهني، مع زيادة الميزانية المخصصة للتعليم والبحث العلمي.. ونفصل ذلك فيما يلي.

«التعليم فرصة للإنقاذ».. تحت هذا العنوان جاء كتاب الأكاديمي المصري د.حسام بدراوي مؤكدًا على أهمية كليات التربية في إعداد وتدريب المعلمين في إطار متشابك ومتكامل، وضرورة العمل على مواجهة التحديات التي تواجه كليات التربية، وكذا التنسيق بين أساتذة المواد التخصصية والمواد التربوية، في ضوء وحدة هدف إعداد المعلم الكفء القادر على تحقيق المعايير القومية، إلى جانب التواصل بين الطلاب والأساتذة، والالتزام بالساعات المكتبية، والاهتمام بالإرشاد الأكاديمي.

ونظرًا لخصوصيتها، شدّد د.بدراوي على ضرورة وضع سياسات محددة لتطوير كليات التربية، تشمل وضع رسالة محددة وواضحة، في ضوء طبيعة واحتياجات المجتمع الذي تخدمه، هذا إلى جانب تطوير برامج وممارسات العمل بهذه الكليات حسب نظام الساعات المعتمدة، بما يعمل على توحيد النظامين التكاملي والتتابعي، مع فتح مسارات بين كليات التربية والكليات الأخرى، وكذلك تطوير نظم القبول بها من خلال وضع وتطبيق اختبارات قبول موضوعية لاختيار الطلاب، على غرار اختبارات القدرات الخاصة.

إعداد المعلم الكفء.. وزيادة استثمارات البحث.. وتدعيم البحوث التربوية.. أهم محاورها

ونوه بأنه من الضروري تحفيز الشباب- من طالبي العلم والمعرفة- على الدخول في مهنة التدريس، وهذا في المقام الأول مسؤولية الدولة في أن تجعل هذه المهنة جذابة، وتجعل لها، بالإضافة إلى عائدها المادي المناسب المحفز، عائدًا اجتماعيًا يلبي الاحتياج إليها، ويسوق لقيمتها.

ونادى بدراوي بضرورة وجود شراكة مؤسسية بين كليات التربية ووزارات التربية والتعليم في تكوين المعلم وتنميته المهنية أثناء الخدمة، وإيجاد توازن بين متطلبات سوق العمل في الداخل والخارج، وبين أعداد المقبولين فيها، الأمر الذي يتطلب العديد من الدراسات الديموغرافية حول النمو السكاني، والاحتياجات النوعية للمدارس الواجب إنشاؤها أو تطويرها لتلائم هذا النمو، مع تدعيم البحوث التربوية وربطها بالقضايا التعليمية الحقيقية التي يعانيها المجتمع.

البحث العلمي

وعن الركن الأساسي الذي طالما اهتم به خبراء التعليم وهو البحث العلمي، قال بدراوي إن التوجّه نحو مجتمع المعرفة يتطلب تطوير استراتيجية قومية شاملة، تحدد الأولويات، وتعمل على زيادة الاستثمارات في مجال البحث والتكنولوجيا، وتشجيع قيام المشروعات البحثية المشتركة بين الجهات المتعددة، بهدف ربط مخرجات البحث باحتياجات المجتمع والصناعة وخدمة أهداف التنمية.

وأوضح أن تحقيق الطفرة المرجوة يرتبط بتقييم مخرجات البحث العلمي موضوعيًا، باستخدام معايير عالمية تهتم بقيمة الرسائل العلمية والبحوث المنشورة، والمشروعات التعاقدية، وعدد براءات الاختراع، والعائد المباشر والاجتماعي للبحث العلمي، وأثره في الإنتاجية العامة للدولة، أيضًا تعظيم الاستفادة من الموارد البشرية المتاحة في مؤسسات البحث العلمي، والتطوير عن طريق

زيادة البعثات الخارجية والإشراف المشترك، وإنشاء مراكز التميز العلمي داخل الجامعات، وجذب الباحثين للعمل في وحدات البحوث بالقطاعات الإنتاجية.

بعثات خارجية

ورأى خبراء التعليم أن الاهتمام بإرسال البعثات عامل مهم في السعي نحو النهضة، ولهذا شواهد على مختلف الأزمنة وفي أماكن عديدة على المستويين العربي والعالمي، وعن هذا قال محمد عمر في كتابه «حاضر المصريين أو سر تأخرهم» إن التاريخ الحديث لمصر يؤكد أن النهضة والتنوير في العهود المختلفة كانا يتوافقان بشكل أو بآخر مع الانفتاح على العالم، وإرسال المبعوثين للتعليم، والحصول على المعرفة والتبادل الثقافي.

وأضاف أن نظام التعليم المصري الحديث بدأ من عهد محمد علي باشا، الذي أنشأ الكثير من مدارس الهندسة والطب والقانون واللغات، وكان في ذلك الوقت يتم إرسال الطلبة المتميزين إلى غربي أوروبا، وخاصة فرنسا، ليتلقوا تعليمهم العالي ويحصلوا على شهادات ودرجات

ثلاثة مجالات رئيسة ينبغي توافرها في التلاميذ ليكونوا قادرين على التفاعل مع بيئتهم

علمية تساعد في تطوير نظام التعليم في مصر، وفي عام ١٩٠٨ تم إنشاء أول جامعة وطنية سميت بعد ذلك بجامعة فؤاد الأول، واستمر إرسال الطلبة ليتموا تعليمهم العالي في الخارج وخاصة في إنجلترا، وفي عام ١٩٥٣ بعد قيام الثورة سميت بجامعة القاهرة، ومنذ ذلك الحين تشجع مصر إرسال الطلبة وأعضاء هيئة التدريس إلى الجامعات ومراكز البحوث في الخارج، وخاصة إلى الولايات المتحدة للمساهمة في تطوير التعليم والبحث العلمي.

الجودة والتخصص

ووجد البعض أن النهضة تحدث عند مراعاة تحديد هدف التعليم وفقًا للفترة والزمن والمجتمع الذي نعيش فيه، وأن يكون التعليم من أجل أهداف اقتصادية أو أهداف مرتبطة بالعمل، وعن ذلك يؤكد، العميد السابق لكلية التربية جامعة بورسعيد، د.محمود متولي أهمية أن يكون التعليم من ضمن أهدافه الرئيسية القدرة على الإسهام في التجارة العالمية، وأن يستجيب لاحتياجات الاقتصاد التي تشتمل على المهارات الفنية، والمهارات الخاصة بالعمل ضمن فريق العمل الجماعي، وهذا يحتاج إلى طلاب يعرفون كيف يتفاوضون مع الناس.. وكيف يصبحون متخصصين.

وباعتبارها أحد معايير تقييم العملية التعليمية، يؤكد د.متولي أن الجودة تتمثل في التعليم الذي يُمكِّن المتعلمين من تخطي المحدودات المفروضة.. وحدد عناصرها في: القيم، السلوك العملي، الاتجاهات، وأكد أنها عناصر ضرورية في العملية التعليمية إلى جانب مهارات ما بعد المعرفية، التي تسهم في نقل المعارف وتقديم حلول غير مألوفة للمشكلات الجديدة.

كما أكد على ضرورة امتلاك التلاميذ- منذ دارستهم الأساسية وحتى مرحلة البلوغ- كفاءة في ثلاثة مجالات رئيسية، أولها: أن يكونوا قادرين على استخدام أدوات التعامل بفاعلية مع البيئة، مثل تكنولوجيا المعلومات، وأيضا الأدوات الاجتماعية والثقافية مثل استخدام اللغة، وثانيها: الاشتراك مع غيرهم على اختلاف خلفياتهم في مجموعات غير متجانسة، وأخيرًا تحمل المسؤولية الخاصة بإدارة حياتهم الخاصة، وشغلها لموقع ما في البيئة الاجتماعية الأكبر، والعمل باستقلالية.

كما أكد د.متولي على ضرورة تواصل الأجيال، وأن نعطي المعلم وعقل الإنسان قيمتها، وضرورة توفر الإمكانات التعليمية والترفيهية من مسارح وملاعب وأنشطة، بجانب العلوم النظرية، كما يطبق في كل

الدول المتقدمة.. أيضًا ضرورة وجود مشرفين اجتماعيين وتربويين، مبررًا ذلك بأن الأسرة العربية لم تعد قادرة على التواصل مع المدرسة، بعدما كانت شريكًا أساسيًّا في العملية التعليمية لأبنائها.

وأكد على ضرورة توظيف الوسائل التعليمية القائمة على الخيال كجزء من العملية التعليمية إلى جانب الوسائل الآلية، فـ«نحن في حاجة إلى ثورة الحداثة، والفلسفة الخاصة بالنظام التعليمي، وخلق مواطن مشارك، يكون حارسًا للمجتمع دون تعصب أو إرهاب».

بداية جديدة

«أن نبدأ من جديد في عالم التربية».. تلك كانت الخطوة الأولى التي وضعها المستشار الاقتصادي د.محمد رضا طلبة، ضمن مقترحاته بشأن النهضة التعليمية، معتبرًا أن قضية التربية أصبحت تكتسب آفاقًا جديدة، مشيرًا إلى أن النهضة التعليمية يجب أن تتمركز حول أربعة محاور رئيسية وهي: «أن تعرف، أن تكون، أن تعمل، وأن تتواصل».

وأوضح د. طلبة أن المحور الأول يعني أن نربي الجيل على اكتساب المعرفة، وهذه تختلف بصورة جذرية في عصر المعلومات عما سبقه من عصور، وذلك وفقًا لستة جوانب رئيسية وهي: التحول من ماذا نعرف إلى كيف نعرف، ومن تراكم المعلومات إلى زيادة المعارف، ومن التخصص إلى الاندماج المعرفي، ومن سلبية الاستقبال إلى إيجابية البحث والاكتشاف، ومن الظاهر البسيط إلى الأكثر تعقيدًا.. وأخيرًا من التفكير الخطي إلى المنظومات المعرفية.

بينما المحور الثاني يعني أن نمكن الجيل ليعمل من خلال تأهيله لمطالب المجتمع، وتزويده بالمهارات المطلوبة في مجتمع المعلومات، واكتسابه لكل مهارات التعامل مع الوسيط الإلكتروني، والحوار عن بعد، ومهارات التفاعل مع المنظومات، بالإضافة إلى مهارات العمل الجماعي، والعمل أثناء الحركة، وفي المنزل، لأن في عصر المعلومات تنهار السدود بين المدرسة ومؤسسات الإنتاج، ويصبح التعليم هو القدرة على اكتساب المهارات والخبرات من المهد إلى اللحد.

وتابع: المحور الثالث للنهضة التعليمية أن نعاون الفرد على إنجاز ذاته، وهذا يقتضي أن نقوم بتحولات مهمة في مجال التربية، والعمل على تنوع الأنشطة التربوية ما بين فنية وأدبية ورياضية وثقافية واجتماعية، حتى نواجه الاهتمامات المتباينة للمتلقي.

وأكد د. طلبة على ضرورة أن يبدأ النشاط التربوي من حيث يريد الطفل، وذلك من خلال عمل يأتيه بنفسه أو بمشاركة غيره، ومن ثم تضيف ثورة المعلومات للتربية أبعادًا جديدة، وتتحوّل بمقتضاها العملية التربوية من العام إلى الخاص، بحيث يرتكز الجهد على احتياجات كل متعلم.. مبينًا أن الطفل أصبح بلا جدال هو مركز العملية التربوية في إنجاز الذات، لذلك لابد من تقوية ملَكة الحكم على الأمور لديه، وهذا يتحقق من خلال النظم الخبيرة وتنمية الشعور بالمسؤولية.

والخطوة الأخيرة عند طلبة هي تخليص المتعلم من نزعات التعصب، خاصة أن التربية في عصر المعلومات تعتمد على التواصل مع الآخر، والتعرف إلى حضارات الآخر، لذلك لابد من تشجيع مهارات الحوار، والتصدي لظاهرة العنف، وتقوية المهارات في اكتشاف الآخرين، ومعرفة القواسم المشتركة بين البشر، وبذلك يمكن استعادة النهضة التعليمة، وتتحول إلى مشروع وطني حضاري ينبع من خصوصية وطننا العربي، ودوره التاريخي في حياة العالم.

إن الأخلاق جزء أساسي من الشريعة الإسلامية، وقد رفع الإسلام مكانتها واعتبرها من مقاصد التشريع، فقد جاء في الحديث: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، ومن المعلوم أن أسس الأخلاق التي جاء بها الإسلام منها ما هو مأخوذ بالاعتبار في الفكر الإنساني أيضا، ومنها ما انفردت به الشرائع السماوية وخاصة الإسلام الذي ختمت به الشرائع، ومن أهم الأسس الشرعية لأخلاقيات الموظف:

الأسس الشرعية لأخلاقيات الموظف

د. سلطان السهو

الأمانة

إن الإسلام دين يقدر «الأمانة» حق قدرها ويجعلها تحكم جميع التصرفات، كما يقدر «القوة» على أداء المهمات، مما يوجب على الموظف وغيره ممن يتحملون المسؤولية، الاتصاف بالكفاية والأهلية، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾(القصص: ٢٦)، وفي قول الرسول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، وقوله: «أد الأمانة إلى من ائتمنك»، ومن تعظيم شأن الأمانة اعتبار الإسلام نفسه أمانة في أعناق متبعيه، ويقتضي ذلك أن يكونوا أمناء مع الله، ومع أنفسهم ومع مجتمعاتهم، وقد جاء ذلك مبينا في قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (الأحزاب: ٧٢).

الإخلاص

وهو أن يقصد الموظف بعمله طاعة الله تعالى، ولا يستهدف الرياء أو السمعة أو تلقي المدح من الآخرين، أو التفاخر والتباهي، وفي الحديث: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»، وينتج عن مراعاة الإخلاص ألا يخضع الموظف للمؤثرات أو الضغوط الخارجية، بل يقوم بعمله امتثالا للالتزام الديني، وأداء للواجب المهني، وبذلك يتحول عمله الوظيفي والمهني الاعتيادي إلى صورة من صور العبادة، لأن من المبادئ الشرعية المقررة أن النية الصالحة تجعل العادة عبادة، وبذلك يستحق الموظف الثواب من الله تعالى، مضافا إليه ما يحصل عليه من مقابل مادي عن جهده، وما يقع من ثناء تلقائي عليه دون أن يجعل ذلك هدفا يقتصر على الوصول إليه.. قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾(البينة: ٥).

التقوى

وهي مخافة الله في السر والعلن، ويترتب عليها حماية الإنسان نفسه مما يعود عليه من العواقب السيئة نتيجة انحرافه عن الالتزام بالشريعة، ولاسيما في مجال المال الذي هو فتنة للإنسان، وتتحقق التقوى بامتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، ومن مقتضى ذلك العمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يحمي الإنسان نفسه من الانحراف والرضا به والانسياق فيه، وفي ذلك جاء قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾(آل عمران: ١٠٢) وقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا. ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ (الطلاق: ٢-٣) وقوله: ﴿والعصر. إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (العصر: ١-٣)، وقوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾(آل عمران: ١٠٤) وفي الحديث: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

وعلى المحاسب أن يتقي الله تعالى في مزاولته المهنة.

الإحسان وإتقان العمل

ينبغي للموظف ألا يقتصر على أداء واجباته الوظيفية والمهنية، بل عليه أن يعمل لبلوغ مرتبة الإحسان وإتقان العمل، وذلك بأدائه المهمات المنوطة به على أحسن وجه ممكن، ولا يتحقق ذلك إلا بالتأهيل العلمي والتفقه الديني للموظف وهو مطلب ديني في مكان عمله، قال الله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ (النحل:٩٠). وقال تعالى: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾(البقرة: ١٩٥) وقال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»، وقال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء».

العلم بمراقبة الله تعالى

وهي اعتقاد رقابة الله تعالى على جميع أفعال عباده وأخذ ذلك في الاعتبار في الكف عما لا يرضاه، وهذا يتطلب قيام الموظف بما يجب عليه أو يطلب منه دون مراعاة رقابة الناس أو رؤسائه عليه في تصرفاته، وهذه رقابة ذاتية لا يختلف أثرها بين وقت وآخر وشخص وغيره، سواء كان قادر على استيفاء حقوقه أم غير قادر. قال الله تعالى: ﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾(النساء:١) وقال أيضا: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ (الرعد:٣٣)، ومهما وجدت الرقابة الذاتية بباعث نفسي- كما هو مفترض في مواثيق الأخلاق المعاصرة للموظف - فإنها قد تضعف إلا إذا ارتبطت بالعقيدة والشعور برقابة من لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الأرض، ويعلم السر وأخفى.

دكتوراه في المحاسبة

وصية الرشيد في تربية الأبناء

د. علاء عبد المنعم إبراهيم

على الرغم من السنين الطويلة التي تفصل بيننا وبين هارون الرشيد وزمنه، فإن هذه الشخصية تظل حاضرة في الوعي الجمعي للذات العربية بوصفها معادلًا للنضج الحضاري الذي وصلت إليه الأمة والقائمون عليها، وكما كان الرشيد ناجحًا بامتياز في قيادة الدولة، فقد كان كذلك على وعي كامل بدور المؤدب- المعادل للمعلم المعاصر- في إعداد ابنيه وتربيتهما وتأهيلهما لتولي منصب الخليفة في المستقبل، وهو ما يتبدى بوضوح في هذه الوصية- التي حفظتها لنا متون كتب التاريخ وخاصة كتاب «المحاسن والمساوئ» لإبراهيم البيهقي- التي يطرح عبرها الرشيد عددًا من المعايير التربوية التي يرى حتمية توافرها في المادة العلمية والتربوية المقدمة لأبنائه، وكأننا هنا بإزاء مستشار تربوي خبير، يحدد الإستراتيجيات العامة للبرامج الدراسية المقدمة للطلبة، وهي أمور يفرض علينا نجاح تجربة صاحبها أخذها بعين الاعتبار واستيعابها في إطار من المرونة الاستقبالية.

أرسل الرشيد إلى الأحمر النحوي فلما دخل عليه قال: يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه وصيّر يدك عليه مبسوطة ومقالتك فيه مصدقة وطاعتك عليه واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن وعلمه الآثار والأخبار والسنن وروّه الأشعار وبصّره مواقع الكلام ومره بالرزانة في مجلسه والاقتصاد في نظره وسمعه، فلا تمرنّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده إياها وكلمة نافعة يعيها ويحفظها من غير أن تخرق به فتميت ذهنه وتملّه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومه بالتقريب والملاينة، فإن أبى فالشدة.

علينا ونحن نقارب هذه المعايير التربوية التي وضعها هارون الرشيد لمعلم ولده، مراعاة السياق الذي أُنتج فيه النص، وهو سياق إعداد طفل ذي خصوصية اجتماعية وسياسية، ومن ثم جاء النص بوصفه بنية تمثيلية للعلوم الدينية متصدرًا مشهد الوصية، وهو تصدر يبدو مبررًا من

قد يسرق الطفل لشعوره بالنقص أو بالحرمان

جانب شديد الخصوصية في نموذج الحضارة الإسلامية، ونقصد بها نموذج الخليفة، أو بالأحرى أمير المؤمنين وخليفة رسول الله، ومن ثم فالمنصب السياسي واستتباعاته السلطوية يمتاح بالأساس من مرجعية دينية يعيها القائم على السلطة آنذاك (هارون الرشيد) ويقدر قيمتها الباذخة في تحديد الدور المستقبلي لولي العهد، إن الهارون هنا يضعنا أمام مبدأ تربوي بالغ الأهمية وهو حتمية التوازن بين الهدف التعليمي ومفردات العملية التعليمية، وهو ما يكتمل عبر تتابع الخطوط العريضة التي يفرضها الهارون الخبير بأمور الملك، فننتقل من العلوم الدينية إلى العلوم الدنيوية التي يفيض في تحديدها الهارون على العكس من اختزاله السابق للثقافة الدينية في النص القرآني المقدس، وهارون في هذا لا ينسى الهدف الرئيس من عملية التأديب وهي التهيئة والإعداد للمستقبل على المستويين الشخصي والعملي.

العلوم التطبيقية والعلوم الإنسانية

يوجه الرشيد بعد ذلك إلى أهمية عناية المؤدبين بعلمي التاريخ والأدب، فوعي ولي العهد بالتاريخ ومفرداته سيجنبه الوقوع في العديد من الأخطاء التي وقع فيها سابقوه، كما سيجعله يستثمر التجارب الناجحة للملوك من الأمم المختلفة في إثراء ملكه، أما الأدب فهو مما لا غنى للملوك آنذاك عنه، وهنا تبلج قضية مهمة للغاية، تجاوز مساحة النص وإطاره وصولًا إلى عصرنا الحال، ونقصد بها القيمة الوظيفية للعلوم الإنسانية، وهنا نستدعي تساؤلًا طالما أثير على ألسنة الكثيرين، وهو: ما القيمة التي يمكن أن تضيفها العلوم الإنسانية للمرء؟ ولمَ لا يتم الاكتفاء بالعلوم التطبيقية كالطب والهندسة بوصفها العلوم القادرة على الارتقاء

باحث في الشؤون الأسرية

بمستوى الدولة؟ والحقيقة أن التجربة المصرية مع الإرهاب في التسعينيات تقدم تفسيرًا مهمًّا في هذا السياق، حيث كشفت الإحصائيات أن الغالبية العظمي ممن أُلقي القبض عليهم كانوا ينتمون لكليات ذات صبغة تطبيقية، بينما كانت النسبة الأقل منتمية للعلوم الإنسانية، وعلى الرغم من أن هذا الأمر لا يطرح إجابة حاسمة، وإنما يقدم لنا مؤشرًا دالًا على قيمة العلوم الإنسانية التي تسهم بفاعلية في تنمية قدرة متلقيها على قراءة الأحداث بشكل متعمق يجاوز الظاهر المباشر، ولهذا ظلت أعرق الجامعات العالمية تحافظ على التوازن في برامجها التعليمية بين الجانبين التطبيقي والإنساني.

احترام الأسرة والكبار والوقت

يعنى الجزء التالي من وصية هارون الرشيد بترسيخ مبدأ الاحترام، وذلك باستدعاء تجلياته المتعددة، وأولها احترام الرابطة الأسرية وحتمية أخذها بعين الاعتبار في أثناء إعداد برامج تأهيل ولي العهد، ويتسع هذا المبدأ ليشمل القواد الكبار في الجيش، وما يعادلهم من أصحاب القامات في الدولة، ويمثل الوقت التجلي الثالث لقيمة الاحترام، ونلاحظ بلاغة الرشيد في تعبيره عن ضرورة الإفادة من عنصر الوقت، لما يمثله من قيمة ذات شأن عظيم ينبغي اغتنامها بما هو جاد ومفيد، ونتوقف قليلًا عند لفظ «يميت ذهنه» الواردة في هذا الإطار، فالموصي يتعامل هنا مع الذهن بوصفه كائنًا تمددت الحياة في شرايينه بما يكتسبه من علوم ومعارف على مدار عمره، ويدب العجز والشيخوخة في أواصره إذا لم يتم تغذيته بهذه المعارف واستبدال اللهو وإضاعة الوقت بها.

الثواب والعقاب

تختم الوصية بالتأكيد على مبدأ بالغ الأهمية في التربية وهو مبدأ الثواب والعقاب، ونلاحظ أن الرشيد كان يعي أن الأصل هو الإثابة والمكافأة بوصفها أداة مهمة في الترسيخ لمبدأ الحافزية التعليمية، أما العقاب فهو البديل السلبي لمبدأ الإثابة، وربما يظن ظان أن المؤدبين لم يعيروا مبدأ العقاب بالًا، واكتفوا بمبدأ الثواب لإدراكهم أنهم يؤدبون خليفة المستقبل، إلا أن التاريخ يثبت أن هذا لم يكن صحيحًا، وأن المؤدبين اتبعوا هذه الوصية بحذافيرها وقوّموا أبناء الرشيد مراعين ما طلبه منهم والدهم والدليل على هذا هذه الحكاية التي تعكس اتباعهم مبدأ الثواب والعقاب الذي دعاهم الرشيد لاتباعه، «فعن أبي محمد اليزيدي قال: كنت أؤدب المأمون وهو في حجر سعيد الجوهري، فأتيته يومًا وهو داخل فوجّهت إليه بعض غلمانه يعلمه بموضعي فأبطأ عليّ ثم وجهت إليه آخر فأبطأ، فقلت لسعيد: إن هذا الفتى ربما تأخر وتشاغل بالبطالة. قال: أجل ومع هذا إذا تأخر تعرّم على خدمه ولقوا منه أذىً فقوّمه بالأدب. فلما خرج أمرت بحمله وضربته تسع درر، قال: فإنه ليدلك عينه من أثر البكاء، إذ أقبل جعفر بن يحيى، فاستأذن وأخذ منديلًا فمسح عينيه وجمع ثيابه وقام إلى فراشه وقعد عليه متربعًا ثم قال: يدخل. فدخل وقمت عن المجلس وخفت أن يشكوني إليه فألقى منه ما أكره. قال: فأقبل عليه بوجهه وحديثه حتى أضحكه وضحك. فلما همّ بالحركة دعا بدابته وأمر غلمانه فسعوا بين يديه ثم سأل عني فجئت فقال: خذ ما بقي من حزني. فقلت: أيها الأمير لقد خفت أن تشكوني إلى جعفر ولو فعلت ذلك لتنكر لي. قال: إنا لله، أتراني يا أبا محمد كنت أُطمع الرشيد في هذه فكيف جعفرًا أُطلعه على أني أحتاج إلى أدب؟ يغفر الله لك، خذ في أمرك فقد خطر ببالك ما لا تراه أبدًا ولو عدت في كل يوم مرة».

إن المأمون هنا كان مثل أبيه على وعي كامل بدور العملية التعليمية في إعداده للمرحلة القادمة، ولهذا نلفيه يقدر قيمة معلمه وإن أبكاه، ويحترمه وإن قسى عليه.

إننا دائما نخاف إدمان أبنائنا على التدخين والمخدرات وغيرها من المضرات، ولكن هل يقل خطر إدمان تلك الأجهزة عن خطر تلك الممنوعات؟ لابد من طرح تلك التساؤلات على أنفسنا، وقد يكون في الإجابة وجهات نظر مختلفة، ولكن ما يمكن الاتفاق عليه أن لهذه الأجهزة سحرا يجذب المتعاملين معها لقضاء الساعات الكثيرة في التكبيس على أزرارها ولمس شاشاتها، والتنقل بين مواقعها واستخداماتها.. وإننا لا ننكر أهمية تلك المواقع وفائدتها في نشر بعض المعلومات الطبية والصحية والعلمية والثقافية والمجتمعية المفيدة للإنسان.. ولكن لا أحد ينكر أيضا أنّ الشيء الذي لا يُحسَن استخدامه يؤدي إلى مشاكل قد لا تحمد عقباها، وقد لا يُرى أثرها إلا بعد حين، فكثرة استخدام تلك الأجهزة أصبح على حساب صحة أبنائنا كسمعهم وبصرهم وذاكرتهم ونشاطهم وحركتهم، وعلى حساب أنشطة كثيرة كان يمارسها الأبناء فيما سبق، كزيارة الأهل والأقرباء، وممارسة الهوايات المفيدة والأنشطة الخلاقة المبدعة والفنون الجميلة، وتلاوة القرآن الكريم وحفظ آياته، وقراءة الكتب المفيدة، ومساعدة الآخرين والجلوس مع العائلة وتبادل الأحاديث معهم، وعلى حساب أوقات دراستهم وأعمالهم.. هذا بالإضافة إلى إضاعة المال للإنفاق على تلك الأجهزة.

فهلا تابعنا حال أبنائنا وبحثنا عن حلول تعيد إليهم الروح الحقيقية للإنسان من أجل قضاء أوقاتهم فيما هو مفيد، دونما حرمان من تلك الأجهزة ولكن بتنظيم وضبط لاستخدامها، والأفضل دائما تنمية الضبط الذاتي والوازع الداخلي وتقوى الله تعالى لدى الفرد، فلا أفضل من الجلوس والحوار مع الأبناء وفي جلسات عدة من أجل إقناعهم بأهمية استغلال وقتهم بشكل أكثر إنتاجا وإبداعا وفائدة لأنفسهم وصحتهم ولمجتمعاتهم، فالوقت كنزٌ ثمينٌ لابد من الحفاظ عليه لا التفريط فيه وإضاعته بلا طائل، خاصة أن الله تعالى محاسِب لنا على كل لحظة من أعمارنا، فقد قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم» (رواه الترمذي والطبراني). ومن هنا لابد من تشجيع الأبناء على الانخراط في أنشطة بناءة مثمرة، من خلال التقليل من الوقت والجهد والمال المصروف على تلك الأجهزة والأدوات تدريجيًا، وتشجيعهم على استغلال طاقاتهم فيما يحبون ويتميزون به، وممارسة أنشطة متنوعة كالخروج مع العائلة والسفر وزيارة الأقارب لتنمية صلة الرحم، ومساعدة الأهل في أعمال البيت، وقراءة الكتب والمجلات، ومتابعة البرامج الدينية والتثقيفية المفيدة، مع التشجيع على التسبيح وتلاوة صفحات من القرآن الكريم لجزء من الوقت بدلا من صرفه كله على تلك الأجهزة لأن في تلاوة كل حرف عشر حسنات لا حسنة واحدة، وكذلك الدخول في إنتاجات إبداعية وفنية وثقافية وعلمية تعزز الإنتاجية والانتماء للوطن والدين والثقة بالذات، ولابد للوالدين من تخصيص وقت كاف للأبناء للاستماع لهم ومشاركتهم فيما يحبون ويمارسون، مع مشاركتهم في أفكارهم ومشاعرهم وخططهم وأنشطتهم وطموحاتهم حتى يعود دور الأسرة العربية المسلمة كما كان. مع ضرورة أخذ مؤسسات التنشئة الأخرى كالمدرسة والمسجد دورها في نشر التوعية بأهمية استغلال الوقت فيما هو مفيد ويعود على المجتمع بالخير والإنتاجية والمستقبل المزهر لتكون أمة منتجة مبدعة لا تابعة ومستهلكة لإنتاج الآخرين.

لها من أن تسير في مسارها الصحيح لتحقق الحياة معناها المطلوب.

واعتقاد الفرد المربي الموجه أن الله يراقبه في قوله وفعله، لا يعزب عنه مثال ذرة في الأرض ولا في السماء، يعلم الحسنات والسيئات، ويسجل الكبائر والصغائر هو الضابط الوحيد والأكيد لكل السلوكات والتصرفات، حيث تستوي حالة الفرد هذا ليعيش في الحياة مستقيم التصرف، معتدل السلوك، صالح الضمير، مهذب النفس، هو الضابط أيضا للفرد في كل أوقاته وحالاته، في السر والعلن، وفي الليل والنهار وفي الخلوة والخلطة، وفي الكبر والصغر، وفي البيت والمجتمع.

هذه ركيزة أساسية من ركائز التربية الصالحة، تأتي بعد قاعدة التوحيد التربوي، أكد عليها لقمان لترسخ في نفس الابن المربى رسوخ الجبال في الأرض، ولتكون في أعماق وجدانه عمق النجم في السماء، ولتصلب قاعدة التوحيد في قلبه صلابة الصخرة الصماء.

وكان يربي لقمان ابنه عند قاعدة التوحيد على أسسها الصحيحة السليمة، ومن أبرز أسسها، الاعتقاد أيضا بأن الله صاحب السلطان والقدرة، ومالك الأمر كله، وقيوم السموات والأرض، يأتي بأصغر شيء في الوجود كما يأتي بأكبره، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

وهذا معلم بارز عظيم من معالم التربية القويمة، التربية التي تربي في نفس الفرد أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن لقمة العيش التي من أجلها تكد وتكدح هي بيد الله خالقها، وستأتيك عندما تكتب لك، ولو كانت مثقال حبة خردل في صخرة أو في السموات أو في الأرض.

والواقع التربوي من كل هذا أن يعيش الفرد قرير النفس، هادئ البال، مستريح الضمير يعمل في حياته دون ضنك وعناء، ودون قلق وشقاء، يقنع بالقليل ولا يطمع بالكثير، يوازن حياته ضمن قاعدة – اعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا.

فإذن، هذه قاعدة تربوية أصَّلها لقمان في توجيهاته لابنه، في الوقت الذي تكثر فيه النظريات التربوية الحديثة، متخبطة بين نظرية ونظرية، أو بين تجربة وتجربة، لأنها لم تؤصل التربية، ولم تبنها على أسسها الأولية السليم، ولذا نراها تكثر المراقبة على الأجساد دون غرس الرقابة في الضمائر، ومن هنا تضخم جهاز الرقابة لفساد الوجدان، واختلال الشعور، وتضخمت العقوبات لتضخم الجرائم، وتلونت المشاكل لغياب المراقب الفعلي.

الأصل الثالث:

إقامة الصلاة ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ﴾ وهذه تربية متكاملة، تربيةَ روحية جسدية، وتربية أخلاقية اجتماعية، وتربية علمية ثقافية، ولا يستغني عنها الصغير ولا الكبير، ولا الغني ولا الفقير، فالصلاة تهذب الروح، وتقوي الجسد، وتنمي الفكر، وتزيل الفوارق، وتعلم الصبر، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وتمحو الذنوب، وتغسل الخطايا، وتزيد الصلة بالله، وتؤكد العبودية، وتغذي الولاء، وتغرس الخشوع، وتثبت التقوى، وتنير البصائر.

الأصل الرابع:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

وهذا يعني مخالطة الناس، والصبر على أذاهم، وتبني قضاياهم، وتقديم الحلول الصالحة لمشاكلهم، والقيام بحركات إصلاحية، شعارها الأمر بالمعروف، والدعوة إلى الخير، والنهي عن المنكر، والتحذير من أضراره.

والتربية التي تعنى بنقل الفرد من واقعه المحدود إلى واقع الآخرين ليعيش حياتهم وقضاياهم غير التربية التي تعنى بذات الفرد للفرد ذاته، فتلك تربية قويمة أصيلة، وهذه تربية ناقصة عرجاء.

وكأن لقمان يشير غالى أن التربية السليمة للفرد تلك التي تنقل الفرد من العيش لنفسه إلى العيش للآخرين، والتضحية بنفسه لا لنفسه وإنما لأنفس الآخرين، وشتان بين فرد يتعب المجتمع ليحيا هو، وبين فرد يتعب نفسه ليريح الآخرين، مع أن القيام بالإصلاح بين الناس، وتحمل تكاليف ذلك الإصلاح، فيه حفظ للفرد من الانجراف في تيارات المنكر، ورياح الخراب، وفيه ثبات لشخصيته على معتقده المتبنى.

الأصل الخامس:

المجالدة والصبر، ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧).

القيام بالدعوة إلى الله مهمة عظيمة، وتكاليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شاقة صعبة، لا يتحملها إلا الصابرون، ولا يلقاها إلا أصحاب العزائم، ذلك أن الحياة بطبيعتها مليئة بالمشاق والمصاعب، وأن تبني قضايا الناس والإصلاح بينهم على اختلاف أمزجتهم أمر شاق وصعب وخاصة عند الرجال الذين يقيسون الحياة بميزان الرجولة، ويوصلون الحقوق إلى أهلها بطرائق أهل الرجولة، ولذلك لابد لكل هذا من التحمل والصبر، ومن التضحية والجلد.

ويصور لقمان لابنه الأذى أو الابتلاء أنه واقع قد أصابه لأنه عبر عنه بالفعل الماضي «أصابك» ولم يقل: واصبر على ما يصيبك، فليس له خيار في ذلك إلا الصبر والعزيمة، وهو بهذا الأسلوب يلزم نفس المخاطب بالقبول في قضية تتردد النفس فيها، بل وقد يصيبها الخور، أو يحل فيها الوهن.

الأصل السادس:

العزة والتواضع، ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨).

والصعر معناه الميل، والمعنى ولا تمل خدك للناس احتقارا لهم، وكبرا عليهم، وإعجابا بنفسك، وإعراضا عنهم، وإنما أقبل عليهم متواضعا، هينا لينا، ومؤنسا لهم، مستأنسا بهم، كما قيل في المعنى: ولا تذل نفسك للناس من غير حاجة.

وليس بعد هذه التربية تربية.. التربية التي تربي الفرد على العزة والاستعلاء على الدنايا مع التواضع والإيناس، وهي توازن بين كل جوانب الحياة، وتنشئ الفرد ليعيش متواضعا في حياته من غير مذلة، وعزيزا فيها من غير كبر.

ولا ريب أن التواضع من غير مسكنة ولا مذلة عنوان الشخصية المتينة، ورمز الرجولة الصلبة، وشعار الأخوة الإنسانية، ولغة التعامل مع بني البشر، من حيث هم بشر، وأن التكبر وخاصة المقترن بالجهل علامة طيش عند الإنسان، وإشارة غرور في الحياة، ولون من ألوان مرض الأنفس، ودليل على خفة صاحبه، وبرهان على استهتاره بحياة الناس وقيمهم.

الأصل السابع:

الاعتدال في المشية والحركة، ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾.

بعد أن بين المشية المشينة، والحالة الطائشة التي ترفضها مبادئ التربية السليمة، أتى بالصورة الصادقة لحركة الشخصية المثالية، وهي إشارة إلى لون من ألوان التربية المستقيمة التي تعتني بحركات الجسد كما تعتني بخواطر النفس، إذ لا قيمة لأفكار قيمة، وتصورات سليمة، ومبادئ مثالية لا تترجم على حركات الجسد، والعيب كل العيب في تربية تعتني بخواطر الإنسان وأحاسيسه لكنها عاجزة عن معالجة أمره في مشيته وحركته.

وقد قيل: إن الحركة تعبير عن الشخصية، فصاحب الحركة الطائشة إنسان طائش مخدوع مغرور متكبر، وصاحب الحركة المتماوتة إنسان ذليل متماوت أبله، وصاحب الحركة المعتدلة إنسان معتدل متزن رصين، قد ترجم كل معاني الاعتدال والاتزان المحتفظ في نفسه إلى واقعه المنظور.

الأصل الثامن:

أدب المحادثة، ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٩).

وهي صورة لا يستغني عنها من أعد نفسه ليكون في مصاف الرجال، وعلى مستوى الدخول في مجالسهم، والتخاطب بلغتهم، والتعامل بطرائقهم، بعيدا عن الفوضى والضوضاء، أو الانعزال والانكماش، كما أنها صفة ملازمة لمن نصب نفسه داعيا إلى الله، بأسلوب رضي، وكلام خير، وحديث طيب.

والاعتدال في المحادثة لا يقل أهمية عن الاعتدال في الحركة، فالصوت العالي الجهوري إيذاء للسامع ورعونة عند المتكلم، والصوت الخفيف الميت مهانة للمتكلم وتهاون بالسامع، وخير الأصوات أعدلها نطقا، وأخفضها سماعا، وأكثرها ارتياحا، وأقلها صياحا.

الأصل التاسع:

التربية بالموعظة ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾.

وهي لون من ألوان التربية الإسلامية، ولعلها من أنسب أنواع التربية، وخاصة في مثل هذا الموضع الذي يكون فيه المربي أو الموجه هو المسؤول عن الفرد المربى، وتربطه به علاقة دم أو صلة محب، لافتراض أنه يحترم الأقوال، ويقبل النصائح، دون عناء تفكير.

الأصل العاشر:

المخاطبة والنصيحة بالعطف واللين، ﴿يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾، ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾، ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ﴾.

وهذه الطريقة أيضا من أنجح الطرق في التربية، حيث العطف على الموجه والمحبة لهدايته، والتفاؤل في استجابته، ولقد أثبتت تجارب الحياة أن النفس البشرية ميالة إلى من يعطف عليها، ونرى من حولنا أن الآباء الذين يهينون أبناءهم في أثناء تربيتهم يقابلون بالرفض ويصابون بالفشل، وأن الآباء الذين يرحمون أبناءهم، ويعطفون عليهم في أثناء تربيتهم يلاقون المحبة والاحترام.

والمخاطبة بالبنوة في التربية هي طريقة الأنبياء في تربيتهم لأبنائهم، وفي تعاملهم معهم، فإبراهيم لما أراد ذبح ابنه إسماعيل ناداه ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ (الصافات: ١٠٢)، ونوح لما صعد السفينة نادى ابنه ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الكَافِرِينَ﴾ (هود: ٤٢)، ويعقوب مع أبنائه ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (يوسف: ٨٧).

أعلنت مجموعة من رجال الأعمال المسلمين في عدد من الدول الاسلامية تأسيسَ موقع إلكتروني للتواصل الاجتماعي خاص بالمسلمين، منافسًا لشبكات التواصل الاجتماعي، كالفيس بوك وتويتر وغيرهما، ويقول القائمون على الموقع الجديد إنَّه سيكون بديلًا شاملًا لشبكات التواصل الاجتماعي التقليدية، ومنبرًا للمجتمع الإسلامي الحديث، شعاره «لا محرمات، لا حواجز، لا سياسة» . ويهدف مؤسسو «الفيسبوك الإسلامي» إلى الوصول إلى خمسين مليون مستخدم في السنوات الثلاث الأولى من انطلاق المشروع.. الذي سيبدأ في شهر رمضان المقبل، وذلك من بين حوالي ثلاثمائة مليون مسلم يستخدمون شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

هل تنافس المواقع الإسلامية الـ«فيسبوك»؟

د. عبدالصبور فاضل

أعلن عدد من الناشطين- من اثنتي عشرة دولة إسلامية وغير إسلامية- عن إنشاء الموقع بمدينة اسطنبول التركية؛ لأنَّها تربط الشرقَ بالغرب، كما أنَّها إحدى أكبر المدن الاسلامية ومحور لوجستي، ولأنَّها فتحت أبوابها لجميع المسلمين وغير المسلمين، وقدمت تسهيلات كبيرة لدخول أراضيها من خلال إلغاء تأشيرات الدخول مع عدد كبير من الدول، مما يُسَهِّل على أعضاء موقع «سلام وورلد» التواصل واللقاء على أراضيها وقتما أرادوا.

ويقول القائمون على المشروع: إنَّ الموقع الاجتماعي الجديد سيعمل على كسر الحواجز الأيدلوجية واللغوية والجغرافية بين المسلمين، وسيتيحُ الفرصةَ للشباب المسلم ليتعرَّفَ على هويته ويكتشف ذاته، وسيثري الثقافة العالمية بتراث وانجازات الحضارة الاسلامية، ويُسْهِمُ في دعم وتنمية السُّوق الحلال.

ومن بين أهداف الموقع استقطاب أكبر عدد ممكن من علماء المسلمين المعاصرين، منهم الداعيةُ الاسلامي الكويتي المعروف د.طارق السويدان، الذي يرى أنَّه قد آن الأوان لنا كمسلمين ألا ننتظر وننتقد، وإنما أنْ نقدم البديل، ونقدم البديل القوي الفعال.

وبالرغم من أنَّ الموقع تم تأسيسه من أجل المسلمين فإنَّه سيكون منفتحًا على غير المسلمين الباحثين عن حقيقة الإسلام أيضًا حسب ما أكده مسئولو الموقع.

ولدت فكرة أول موقع تواصل اجتماعي إسلامي في جمهورية داغستان، ذات الأغلبية المسلمة في روسيا، على يد الناشط والسياسي الروسي عبدالواحد نيازوف، الذي كان أحد أصغر أعضاء مجلس الدوما- البرلمان الروسي- في دورة سابقة، ويقوم على المشروع فريق من المحترفين الدوليين من ألمانيا وأذربيجان والإمارات والهند وانجلترا واسبانيا وقازاقستان وماليزيا ومصر وباكستان وروسيا وتركيا.

ملتقى فيسبوك.كوم

وفي بداية عام ٢٠١٠ دشّن باكستانيون موقعًا إسلاميًّا للتواصل الاجتماعي لمنافسة موقع «فيسبوك»، وسط آمال في أنْ يشترك فيه نحو ١,٦ مليار مسلم، وذلك بعد الغضب العارم الذي سببته مسابقة أطلقها أحد مستخدمي «فيسبوك» الغربيين لرسم صور

عميد كلية الإعلام- جامعة الأزهر

تمثل النبي محمدا ﷺ، حيث قام ستة من العاملين في مجال تكنولوجيا المعلومات من لاهور- العاصمة الثقافية لباكستان- بإطلاق موقع «مللتفيسبوك.كوم» ورابطه http://www.millatfacebook.com لتواصل المسلمين عبر الإنترنت، والاحتجاج على الإساءة للإسلام، وذلك بعد أنْ أمرت محكمة باكستانية بحجب موقع فيسبوك حتى ٣١ مايو من العام نفسه على خلفية المسابقة المسيئة للإسلام.

ويعد موقع «مللتف يسبوك. كوم» أول موقع باكستاني للتواصل الاجتماعي، وهو من المسلمين وإلى المسلمين، ويرحب كذلك بكلِّ شخص دمث الخلق من دينٍ آخر، وقال أحدُ مصممي الموقع: محترفون في مجال تكنولوجيا المعلومات يعملون على مدار الساعة لتوفير مزايا في الموقع مشابهة لتلك التي يقدمها «فيسبوك» الأصلي، ويضم الموقع الجديد صفحة «آخر الأخبار» لوضع تعليقات الأصدقاء عليها، ويتيح إمكانية إرسال الرسائل، ووضع الصور والفيديو والدردشة وغيرها، وقد استقطب الموقع الجديد ٤٣٠٠ عضو خلال الأيام الثلاثة الأولى، معظمهم من الباكستانيين الذين يتحدثون الإنجليزية ممن هم في العشرينيات من العمر.

ويمكن القول إنَّه بالنسبة للمواقع التي تعتمد على توظيف خدمات بناء شبكات اجتماعية أو ما يُعرفُ بـ Social networking sites فهي تقوم على فكرة أنَّ

فكرة المواقع الإسلاميه جيدة .. لكن لابد من المنهجية والتخطيط والابتعاد عن دائرة ردة الفعل كحال التجربة الباكستانية

مستخدمي الإنترنت عادةً ما يسعون للبحث عن أصدقاء جدد، أو التواصل مع أصدقائهم بقدر المستطاع، لذا فمن المألوف أنْ يستقبل البعض دعوات للتعارف من قِبل آخرين لا يعرفونهم، وذلك من خلال تلك المواقع التي تقدم خدمات تكوين شبكات اجتماعية، وتعتمد تلك المواقع بشكلٍ رئيسي على الاستفادة من تفاعلية شبكة الإنترنت كوسيلة اتصال، وهي المواقع التي تقوم على إنشاء شبكات اجتماعية من المترددين عليها من أنحاء العالم المختلفة، ويطلق عليها SNS Social networking sites حيث تسمح هذه المواقع لأعضائها أنْ يقدموا أنفسهم، ويعبروا عن آرائهم وأفكارهم للآخرين، وأنْ ينضموا لجماعات وشبكات اجتماعية تربطهم بمن يتفقون معهم في ميولهم.. وما إلى ذلك.

التخطيط أولا

وعمومًا فإنَّ فكرةَ المواقع الاسلامية جيدة، ونرحب بها وندعمها، ولكي تُحقِّق أهدافها فينبغي أنْ تكونَ مُخطَّطةً ومُمنْهجةً، ولا تأتي كرد فعل فحسب، كما في حالة الموقع الباكستاني الذي بدا وكأنه نسخة من «الفيسبوك» المعروف، حيث وضع هدفه باللغة الإنجليزية في صفحته الرئيسية هكذا:

Millatfacebook - MFB Billion ١,٦ - Meet Over Muslims and Peaceful people helps you connect and share with the people in your life.

وهي عبارة شديدة التشابه مع ما هو مكتوب في الصفحة الرئيسية للفيسبوك الأصلي والتي تقول:

Facebook helps you connect and share with the people in your life.

مع اختلاف بسيط يكمنُ في توفير الموقع الاسلامي لتواصل ١,٦ بليون مسلم، ورغم ذلك فإنَّه ينبغي أنْ يكون هدف أي موقع إسلامي هو الوصول لجميع الفئات في العالم؛ لتحقيق التواصل الإسلامي والانفتاح على العالم، وتصحيح صورة المسلمين في المعمورة بأسرها، في وقتٍ تتكالب فيه الأمم على مقدرات البلاد والعباد.

ويُلاحظ أنَّ جميع مواقع التواصل

الاجتماعي الأجنبية لم تتوجه علناً لجنس أو دين بعينه، وإنَّما توجَّهت للبشرية كلها، بصرف النظر عن أهدافها الخفية.. إنْ كانت لها أهداف غير معلنة فعلاً.

والقضية لا تنحصرُ في مجرد إنشاء موقع إسلامي هنا أو هناك، بقدر ما تنحصر في إمكانات هذا الموقع أو ذاك، ومدى تميزه عن غيره من مواقع التواصل الاجتماعي الشهيرة والعالمية.. التي بلغت أكثر من ٢٥ موقعًا، والتي تحفل بها شبكة المعلومات الدولية، سواء من الناحية الموضوعية أو التقنية على حد سواء، ولو كانت هذه المواقع القائمة نسخةً مكررةً من بعضها لما كان لها وجود مؤثر محليًّا وإقليميًّا وعالميًّا، بل طالت تأثيراتها سياسات أكثر الدول تقدمًا.

فلو نظرنا مثلاً إلى «فيسبوك» لوجدناه مختلفًا تمام الاختلاف عن «تويتر» الذي يعتمد على «تغريدات»، في الوقت الذي يختلفان فيه عن «يوتيوب» الذي يسمح للمستخدمين برفع ومشاهدة ومشاركة مقاطع الفيديو بشكل مجاني.

مقومات الموقع الإسلامي

ومن هذا المنطلق تأتي أهمية إنشاء موقع إسلامي متميز يختلف اختلافًا كليًّا وجزئيًّا عن المواقع القائمة في شبكة المعلومات الدولية من حيث المضمون والتقنية، وحتى يلقى قبولاً وإقبالاً من مستخدمي الإنترنت فلابد أنْ تتوفر فيه مقومات عدة أهمها:

الجاذبية: بمعنى أنْ تكون لديه القدرة على جذب أكبر عدد ممكن من المشتركين فيه، ومن مختلف الفئات والأعمار والبلدان، ولن يتحقق ذلك إلا بانفراده وتميزه موضوعيًّا وتقنيًّا

السماح بتداول معلومات المشترك وضع الخصوصية على المحك وعرض الفيس بوك لانتقادات واسعة

عن المواقع الأخرى.

الفلترة: وهي تعني قدرة الموقع التقنية على منع وحجب جميع المواد والصور الهابطة من الوصول إلى المشتركين، وإلا فإنَّ وصولها سوف يسيء للإسلام والمسلمين مادام مسمى الموقع إسلاميا. وأمام هذه المعادلة الصعبة فلابد أنْ يكون البديل الترفيهي جذابًا وجاذبًا ومشوقًا لقطاعات كبيرة من الناس، خاصة إذا عرفنا أنَّ نسبةً كبيرةً من مستخدمي الإنترنت- في العالم العربي تحديدًا- تستخدم مواقع إباحية ومواقع التواصل الاجتماعي في مجرد الصداقات والعلاقات الشخصية فحسب.

منع الأسماء الوهمية: وهي مشكلة كبيرة ومعقدة في الوقت نفسه، فكثير من الصفحات الموجودة في مواقع التواصل الاجتماعي هي لأشخاص وهميين ينشئونها بأسماء مستعارة لأسباب أخلاقية تتعلق بهم وبسلوكاتهم، أو لأسباب اجتماعية أو شخصية أو غير ذلك.. الأمر الذي يمثل خطورةً على أي موقع إسلامي.

تعدد اللغات: وهو أنْ يصدر الموقع في البداية على الأقل باللغات الحية وفقًا لنطاقها الجغرافي، ثم يتوسع في استخدام اللغات المهمة المتداولة لدى شعوب العالم الإسلامي والأقليات الإسلامية.

سياسة الخصوصية: بحيث تكون تحت السيطرة التامة، خاصة وأنَّ العالم الإسلامي مستهدف لأسباب يطول شرحها فقد تعرض موقع «فيسبوك» للكثير من الانتقادات على مدار السنوات القليلة الفائتة، ففي الأول من يناير عام ٢٠٠٨، قامت إحدى المجموعات على «فيسبوك» بالإفصاح عن هوية «ستيفاني رينجيل» تلك الفتاة التي قُتِلت في ولاية «تورونتو»، والتي لم تكن أسرتها قد أعطت تصريحًا للشرطة بنشر اسمها أو أسماء المتهمين في القضية إلى وسائل الإعلام، وذلك رغم أنَّه يحظر نشر أسماء القصر الذين تتم إدانتهم في إحدى القضايا، بموجب قانون العدالة الجنائية للأحداث، ورغم محاولات الشرطة والقائمين على الموقع الالتزام بقواعد الخصوصية عن طريق حذف اسم الفتاة، فإنَّهم قد لاحظوا صعوبة القيام بذلك حيث تتم إعادة نشر البيانات مرةً أخرى كلما تم حذفها.

وفي ضوء القصة السابقة فإنَّ أحد أهم الانتقادات الموجهة للموقع هي السماح بتداول معلومات المشترك، وهو ما يضع «الخصوصية» على المحك، إذْ إنَّ أحد شروط استخدام هذا الموقع الاجتماعي ألا يعارض المشترك في استخدام صوره ومعلوماته، وفي السياق نفسه فقد كشف المسؤول الأمني الجزائري عبدالقادر مصطفاوي- في تصريح لوكالة الأنباء الكويتية- عن استغلال بعض الجهات الخارجية للمعلومات الخاصة بالجزائريين في أنشطة تجسسية واستخباراتية تحت مظلة الصداقة والتعاون والتضامن عبر شبكات التواصل الاجتماعي.

رحلة في إدراك طرف من إعجاز القرآن

أيمن بن أحمد ذوالغنى

لا يختلفُ اثنان من أهل الإسلام أن القرآنَ الكريم هو كلامُ الله المعجز، كيف لا وقد تحدّى المولى سبحانه جميعَ خلقه أن يأتوا بسورة مثله؟! قال تعالى: ﴿أم يقولونَ افتراهُ قل فأتوا بسُورةٍ مثلِه وادْعُوا مَن استَطعتُم مِنْ دُونِ اللهِ إن كنتُم صادقين﴾ (يونس: ٣٨).

لقد كانت أهمّتني قضيّة الإعجاز البيانيّ في بواكير صباي، وأرّقني شأنُها زمنًا، ومضَيت أتلمّس صراطًا لاحبًا يبلّغُني مَقصدي، ويوقفُني على ما ترنو إليه نفسي؛ من إدراك جوهر الإعجاز وتذوّقه، ومعرفة كُنهه وحقيقته.

كنت أقرأ القرآنَ الكريم وأرتّل آياته فأستشعر- كما يستشعر سواي- أنه نمطٌ خاصٌّ من الكلام متفرّد في نظمه ونسَقه وأسلوبه، غير أنني كنت أُجيل النظرَ في مسألة الإعجاز خاصّة، وفي آيات التحدّي عن الإتيان بمثل هذا القرآن، أو نظم عشر سور من مثله، بل إنشاء سورة واحدة ولو كانت في مقدار أقصر سُوَره، تحاكي بناءه وبيانه وبلاغته! فيحوكُ في رَوْعي سؤالٌ محيّر: كيف لي أن أتيقّنَ بقلبي حقيقةَ الإعجاز وأتحسّسَها بمشاعري وكياني؟!

زاحِم بعَوْدٍ أو دَع(١)

وما زلت أبحث عن جواب شاف حتى ساقه الله إليّ في توجيه عالمٍ ناقد خبير، سألتُه فأجابني، وعرضتُ عليه حَيرتي فأرشدني. ذلك الرجلُ هو أستاذي الكبير المتبحّر، الأستاذ الدكتور عبدالكريم حسين الذي عرفتُه من بعيد قبل أن أسعدَ بالاتصال به؛ إذ كنت- بعد دخولي قسم اللغة العربيّة بجامعة دمشق- لا أزور قاعةَ البحث في المكتبة الوطنيّة بدمشق(٢) إلا وأراه ثَمّة مُنكبًّا على أسفارها، يقضي فيها سحابةَ نهاره وطرفًا من ليله، حتى لكأنه عَمودٌ من أعمدتها لا يكاد يبرَحُها؛ يسبق الموظّفين في الحضور صباحًا، ويكون آخرَ الخارجين منها مساءً، ولو أُتيح له أن يبقى بين الكتب الليلَ كلّه لفعل مغتبطًا سعيدًا! لم أكن أعرفه يومئذ غير أنه لفتَ نظري بانقطاعه التامّ للكتاب الساعات الطّوال، وبهيئته وحليَتِه الغريبة! فقد كان زاهدًا في لباسه أشعثَ أغبرَ تقتحمُه العين، أشبه بأعرابيّ ضلّ طريقَ البادية فحلّ بيننا، ولكنّه أبَى أن ينخلعَ من مظاهر البَداوة والأصالة في صورة الظاهر وطبيعة الباطن، وصدق أبوالطيّب حين قال: وفي البَداوةِ حُسنٌ غيرُ مَجلوبِ!

ويشاء الله أن أحضُرَ مناقشته لرسالة الدكتوراه فكانت معركةً لا مناقشة، وغدَت القاعة مَيدانَ نزال بطلُها المجلّي وفارسُها الكميّ هو هو صاحبنا!

ومن صُنع الله بي ونِعَمه عليّ أن عُهدَ إليه تدريسُنا النقد العربيّ القديم في السنة الثانية عام (١٩٩٢- ١٩٩٣م)، فكان معلّمًا حاذقًا ألمعيًّا، راويةً للشعر والأدب، يُبحر بطلابه في بطون كتب العربيّة، ويقتنصُ من أعماقها اللآلئ والفرائد وما لا يعرفُ قدرَه إلا الجادّون من الطلاب، وقليلٌ ما هم، ويا للأسف!

وإذا كان المعلّمون عادةً يدخلون قاعات المحاضرة وبين أيديهم كتابٌ يقرأون منه أو كُرّاسةٌ ينظرون فيها، فإن أستاذنا كان في كلّ محاضرة يقدمُ ومعه مكتبةٌ كاملة تنوء بثِقَلها يداه القويتان، لا ليقرأ منها أو يعتمدَ عليها؛ إذ إنّ علمه مسطّرٌ في صدره يغرفُ من مَعينه غرفًا، ولكنّه كان إذا ما روى نصًّا من «الشعر والشعراء» لابن قتيبة مثلاً رفع الكتابَ أمام أعيُننا لننظرَه، وإذا ذكر قولاً للجاحظ في «البيان والتبيُّن»(٣) أخرج الكتابَ إلينا لنبصرَه... وهكذا في عشرات المصادر والمراجع من أمّات كتب الأدب واللغة يحرصُ أن نراها عيانًا بدلَ أن تبقى أسماءً تُرَدّد على أسماعنا فحسب.

واستحكمَت صلتي به حينئذٍ وعاملني معاملةَ الأخ الصغير لا الطالب، وحَدِبَ عليّ حَدَبَ الأب على ولده، ومَحَضَني من نُصحه، وحبّبَ إليّ كتبَ الأدب والنقد، وحثّني على قراءة «العُمدة» لابن رشيق القَيروانيّ وتلخيص فصول منه، فأفدتُ بذلك أيّمَا فائدة، وهداني إلى الطبَعات الجيّدة والمعتمَدة من كتب تراثنا العربيّ الغنيّ، ورغّبَني في اقتناء المراجع النافعة والمجلّات الأدبيّة والثقافيّة الرّصينة..

ولكنّ أعظم ما قدّمه لي- جزاه الله عنّي خيرًا- هو ما وجّهني إليه ودلّني عليه من سبيل تكشفُ عن بصري غَشا الرّيبَة، وتهدي جَناني إلى طُمَأنينة اليقين..

شكوتُ إليه يومًا تحيُّري- وكنت أُماشيه من كليّة الآداب في المزّة إلى المكتبة الوطنيّة في ساحة الأمويّين- سائلاً:

إنني أقرأ القرآنَ وأستمتع بترداد آياته، وأستشعر مباينةَ نظمه وأسلوبه للمعهود من الكلام والأساليب، غيرَ أنني لا أدري كيف أتحقّقُ بأحاسيسي من أن هذا القرآن مُعجز، وأنه فوق كلام البشَر، وأن الثقلَين جميعًا عاجزون عن المجيء بمثله ولو تظاهَروا عليه؛ مصداق قول الحقّ سبحانه: ﴿قُل لَئِنِ اجتَمَعَتِ

الإنسُ والجنُّ على أن يأتُوا بمثل هذا القُرآن لا يأتُونَ بمثله ولو كانَ بعضُهُم لبَعض ظَهيرًا. ولقد صَرّفنا للنّاس في هذا القُرآن مِن كُلّ مَثَل فأبَى أكثَرُ النّاس إلا كُفُورًا﴾ (الإسراء: ٨٨- ٨٩)؟!

فأجابني بكلماتٍ قليلة المباني جليلة المعاني، قال:

لا يمكن أن تُدرك إعجازَ القرآن حتى تنالَ حظًّا وافرًا من تذوّق كلام الفُصَحاء الأبْيناء(٤)، وتتمرّسَ ببلاغتهم، و(تتشبّعَ) نفسُك بأساليب قولهم. عليك بأبي عثمانَ الجاحظ وأبي حيّانَ التوحيديّ ومصطفى صادق الرافعيّ... فإذا أكثرتَ من القراءة لهم ولأمثالهم وأحطتَ بفصاحتهم وبيانهم.. أدركتَ البونَ البعيدَ البعيد بين بلاغة هؤلاء البلغاء من البشَر وبيان خالق البشَر وفاطر الجَنان واللسان!

رحلة إدراك اليقين

تلكم الكلماتُ على قلّتها أضاءت لي الطريقَ ومهّدته أمامي، فمضَيتُ فيه غيرَ متوانٍ ولا هيّاب، عسى أن أحقّقَ طِلبَتي وأفوزَ بثمرة سعيي ودأبي..

مضَيتُ مع شيخ أدباء العربيّة الرافعيّ في رحلة من التأمّل والتذوّق لأعظم كتبه وأذكرها «وحي القلم»، فكانت رحلةً ما أمتعَها وما أحلاها! قرأت مقالاته جملةً جملة، وكلمةً كلمة، وحرفًا حرفًا.. أبذل وُكدي في الوقوف على مواطن العبقرية والإبداع فيها، أكرّر عباراته مرّات ومرّات، أدقّقُ في طريقة بنائه جملَه وصوغه تراكيبَه، وأنعم في أسلوبه في التعبير عن رؤاه وأفكاره، وأُمعن في صُوَره وابتكاراته... عشتُ مع الرافعيّ بحقّ في فضاء الرِّفعة، فارتقى بي إلى أفقه العالي، لأحلّقَ معه في سماء التفرّد والتميّز...

وطالما أطربَني قلمُه وأرقصَني، وأدار رأسيَ لذّةً ونشوة!

أجل والله، لقد أخذ الرافعيُّ بلبّي، حتى إنني كنت أقفُ مبهورًا أمام كثير من عباراته وحِكَمه وتصاويره فلا أملكُ إلا أن أقول: سبحانَ من وهبَك وأعطاك، وصدقَ رسولنا ﷺ القائل: «إنّ من البيان لسحرًا»، نعم إن هذا لبيانٌ يكاد يكون ضربًا من الإعجاز، والذي فطرَ النيّرات ما قائله بشَرٌ كسائر البشر!! وتمثُل بين عينيّ تلك العبارة المُحكَمة التي أصاب فيها صاحبُها(٥) كبدَ الحقيقة وعبّر أصدقَ تعبير في وصف أدب الرافعيّ بقوله: «بيان كأنّه تنزيلٌ من التنزيل أوَ قبَسٌ من نور الذّكر الحكيم»!

لا والله ما هذا بوحي قلم، ولا وحي عقل، ولا وحي فؤاد.. ما هذا إلا إلهامُ ربّ الأنام، الذي خلق الإنسانَ علّمَه البيان!

قضَيتُ في صحبة أمير الأبْيناء زمنًا لا يُحسَب في ساعات العمُر؛ إذ الساعةُ في ذرا الرافعيّ وذُراه ساعات(٦)، والدّهر في صُحبته ورفقته دهور.. كيف لا وقد اشتمل كتابه على كلّ ضروب العبقرية؛ فكرةً سامية، وأسلوبًا راقيًا، وبلاغة أخّاذة، وألفاظًا متخيّرة، وموسيقى عذبة تلذّ لها الأذن وتطرَب!

وحين بلغتُ أواخرَ الكتاب وقد ارتوَت نفسي من هذا الأدب الأصيل الجامع بين الحلاوة والجزالة، وبين الرشاقة والفخامة.. بأسلوب تُستَمال به القلوب، وتُستجلَب به العقول، وتُزيّن به المعاني... وأنا في تلك الحال من فيض المشاعر، وتوهّج الأحاسيس، واستشعار سموّ التعبير وقد صيغَ في قالَب من البيان لا يتأتّى إلا لقلّة قليلة من الموهوبين في تاريخ البشرية!

أقول: وأنا في تلك الحال من النشوة والتحليق... حملتُ المصحفَ بين يديّ أريد أن أقرأ فيه.. فتحتُه دون قصد سورة بعينها.. فخرجت لي سورةُ لا أذكرُها الآن، بيدَ أن ما أذكرُه تمامًا هو أنني لم أشرَع في قراءتها حتى قَفّ شعرُ بدني!

إي وربّي، لقد غشيَني إحساسٌ عجيب لم أحسّه من قبل بتاتًا، وتوهّجت في رُوحي مشاعرُ لم أعرفها سابقًا قطّ! ملكت عليّ عقلي وقلبي وجوارحي... فلم أقدر أن أتجاوزَ الآيةَ الأولى إلى تاليتها!

ورُحت أكرّر الآية مرّة بعد مرّة... أتغلغل في عُمق معناها، وأنغلّ في جَذر مبناها، أتذوّق من جمالها وجلالها ما لم أتذوّقه يومًا على كثرة ما قرأتُ من كلام الله وردّدت! ولكنّ لها اليوم طعمًا غير الطعم، ومَذاقًا غير المذاق!

وتالله الذي لا إله غيرُه، لم أملك إلا أن أفغَرَ فمي دهشةً وعجبًا، وعيناي تَهْميان بالعَبَرات، ولساني يتلجلَجُ في فمي مردّدًا في استكانة وتسليم وإقرار:

هذا هو الإعجاز حقًّا، هذا هو الإعجاز صدقًا، هذا هو الإعجاز!! هذا هو الكلام الذي لو اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثله، لا يأتونَ ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظَهيرًا!

المراجع

(١) العَود: الجمل المسنّ. وهذا مَثَل من أمثال العرب، يُضرَب للحثّ على الاستعانة في الأمور بذوي السنّ والتجربة والخبرة. وفي هذا المعنى تقول العامّة في الشام: من ليس له كبير ليس له تدبير!

(٢) المسمّاة (مكتبة الأسد)!

(٣) هو أجلّ كتب الجاحظ وأسيَرُها، اشتهر بعنوان: «البيان والتبيين» في طبعاته المتداوَلة، والصواب فيه: «البيان والتبيُّن»، وهو المثبَت في صدر أصوله الخطيّة، وهو ما انتهى إليه محقّقه الكبير الأستاذ عبد السلام هارون، ووعد أن يعيدَ العنوان الصحيح للكتاب في طبعة جديدة، ولكنّ الأجل وافاه قبل تحقيق أمنيّته رحمه الله.

(٤) الأبْيناء: جمع (بين)، والبيِّنُ من الرجال: المطلقُ اللسان الفصيح.

(٥) هو سعد زُغلول، وكلمتُه الذائعة السيّارة هذه كان كتبها في تقريظ كتاب الرافعيّ «إعجاز القرآن» الذي لقي قبولًا كبيرًا من الأدباء والنقاد، ونال به صاحبه مكانة سامية بينهم، فكتب سعد: «وأيّدَ (أي: كتابُ الرافعيّ) بلاغة القرآن وإعجازَه بأدلة مُشتقّة من أسرارها، في بيان يستمدّ من رُوحها، بيان كأنه تنزيلٌ من التنزيل، أو قبَسٌ مِن نُور الذكر الحكيم». ولقد صدقت في الرافعيّ نبوءة الزعيم المصريّ الكبير مُصطفى كامل، فيما كتب إليّه مقرّظًا ديوانه: «سيأتي يومٌ إذا ذُكِرَ فيه الرافعيّ قال الناس: هو الحكمة العالية مَصوغة في أجمل قالَب من البيان».

(٦) الذّرا (بالفتح): الكَنَف، يُقال: أنا في ذرا فلان؛ أي: في كَنَفه ودفئه. والذُّرا (بالضم): جمع ذُروَة (بالضم والكسر)، والذروة من الشيء: أعلاه.

على مساحة ٤٠٧٧ مترًا مربعًا

الجامع العمري الكبير بمدينة غزة.. آثار وأمجاد

بهيج بهجت سكيك

ينسب الجامع العمري الكبير إلى الخليفة الراشدي الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ الذي فتحت غزة في عهده، وهي من أوائل مدن فلسطين التي فتحت بعد معركة (داثن - الدمية) عام ١٣هـ، ويسمى الكبير لأنه من الجوامع العظمى في فلسطين، وأقدم جامع في مدينة غزة على الإطلاق. كما أن كثيرًا من المساجد والجوامع تحمل اسم «العمري» في كل أرجاء العالم الإسلامي تيمنًا باسم هذا الخليفة العادل، عمر بن الخطاب ﷺ.

لأن غزة أو عَزّة- وهو اسمها الكنعاني الأول- قديمة قدم التاريخ فقد تعاقب عليها الغزاة والطامعين والمحتلين فعرفت البابليين والآشوريين والحيثيين والفراعنة والهكسوس والفرس والروم والإغريق والبيزنطيين، وذلك لأنها بوابة آسيا إلى إفريقيا الشمالية وبوابة إفريقيا إلى آسيا.

وفي الأصل كان هذا المكان معبدًا هيكلًا وثنيًّا للآلة (مارنا مارينوس) لعبادة الشمس والكواكب والأصنام ويتصدره «مذبح كبير» تقدم فيه القرابين لهذه الآلة، مكان المنبر والمحراب الحاليين في مواجهة الباب الوحيد للمعبد جهة الغرب المطلة على البحر.

ومع ظهور المسيحية في وبلاد فلسطين والشام، اضطهد الوثنيين أصحاب البلاد المسيحيين وديناتهم، وقد رسمت على أحد أعمدة الباب الغربي الوحيد للمعبد تاج الملك، وعليه الأبواق والسكاكين رمزًا لانتصار الإمبراطور «طيطوس» الروماني في سنة ٧٠ ميلادي على اليهود وطردهم من القدس وهدم الهيكل، وهذا الباب موجود إلى الآن لم يتغير فيه شيء وفوقه كوّة- طاقة- كبيرة مدورة ترمز للشمس التي يعبدونها.

تحفة معمارية على الطراز القوطي المنتشر في العصرين الروماني والبيزنطي

بعد انتشار المسيحية في غزة هدم هذا المعبد مع معابد أخرى كثيرة وتم تطهيره بالنار وبنيت مكانه كنيسة على نفقة الملكة افيدوكسيا زوجة الإمبراطور اركاديوس جلبت لها اثنين وأربعين عامودًا من الرخام من روما عن طريق البحر مازالت موجودة إلى الآن.

غزة تحت المظلة الإسلامية

عندما استظلت غزة بمظلة الإسلام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ كان يوجد بها كنيستان هذه الكنيسة، وكنيسة أخرى باقية إلى اليوم تعرف بدير اللاتين في حي الزيتون.

انتشر الإسلام بسرعة في غزة لما وجده أهلها من تسامح المسلمين وعدلهم ومعاملتهم الحسنة لأهل الذمة، لأن الإسلام لا يقوم على الإكراه والإرهاق، اتخذ أهل غزة هذه الكنيسة مسجدًا، وبقيت الأخرى كنيسة إلى اليوم، لمن بقي من النصارى على دينه، وعرف من ذلك الوقت بالجامع العمري، وبالمناسبة فإن الخليفة عمر ﷺ ليس غريبًا على غزة، ولا غزة غريبة عنه، فقد عمل بالتجارة وكان يقوم بتخليص البضائع «مبرطسًا» أو مخلصًا جمركيًّا، في ميناء غزة «ميوما» أو «ميمونيا» لأهل مكة، وزارها قبل الإسلام عدة مرات.

الموقع والمساحة

يقع الجامع العمري الكبير وسط مدينة غزة (قصبة المدينة)، في حي الدرج ولا يفصله عن حي الزيتون من جهة الجنوب إلا شارع عمر المختار، بينما حي التفاح يقع في الجهة الشمالية من الجامع، وأبعدها عنه حي الشجاعية الذي يقع في الجهة الشرقية منه، ويفصله خط السكة الحديد عن باقي الأحياء، هذه أحياء غزة القديمة، وقد اتسعت الآن ونمت واتصلت الأحياء الجديدة ببعضها حتى البحر غربًا، منها

باحث فلسطيني

أحياء الرمال، والصبرا، والنصر، والكرامة، وتل الهوى وغيرها.

يحيط بالجامع العمري أسواق المدينة القديمة، وقد اندثر معظمها، وكان أقربها إلى الجامع «خان الزيت» الذي كان «فندقًا» (INN) ومركزًا تجاريًّا لبيع زيت الزيتون، وكان وفقًا ذريًّا لآل رضوان حكام غزة في العصر العثماني، اشتراه أحد أبناء غزة وقامت مكانه عمارة حديثة تعرف اليوم بعمارة أبورحمة بمحلاتها على شارع عمر المختار، يقابلها سوق السراجين أو باللهجة الغزية «سوق السروجية»، حيث تضع سروج الخيل وتحدى الخيل فيه، وليس بعيدًا عنه في الجهة الغربية سوق الغلال، القمح والشعير والدقيق وغيرها، بينما يمتد سوق الخضار والفاكهة من بابه الغربي حتى ميدان فلسطين والساحة الرئيسية للمدينة، وفيها مواقف السيارات والحافلات إلى مختلف أحياء المدينة، إن أصحاب هذه المحلات والمتاجر هم مرتادو الجامع في صلاة الظهر والعصر والمغرب.

تبلغ مساحة المسجد العمري الأصلية حوالي ١١٩٠ مترًا مربعًا زادت على مر العصور الإسلامية حتى بات يشغل اليوم ٤٠٧٧ مترًا مربعًا.

البناء الأصلي تحفة معمارية على الطراز «القوطي» المنتشر في العصر الروماني والبيزنطي! وتمت توسعة الجامع في عدة عصور إسلامية «الإيوان» الشرقي بأقواسه

وأعمدته في العصر الأموي، أما الصحن الخارجي وهو يحتل أكبر مساحة مكشوفة من المسجد ويتسع لأكثر من ٥٠٠٠ مصل، فقد أضيف في العصر المملوكي أيام حكم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون ٧٣٠هـ (١٣٣٠م) وأجمل ما فيه الباب الشمالي الذي تنزل منه بدرجات عديدة لتصل إلى الصحن الخارجي.

أضيفت إلى المسجد العمري في العهدين المملوكي والعثماني إضافات كثيرة مازالت قائمة إلى اليوم.

المنارة - المئذنة

بقي الجامع العمري الكبير بدون منارة أو مئذنة حتى القرن السابع للهجرة حين أمر السلطان المملوكي أبوالفتح المنصوري ببناء منارة كبيرة جلبت حجارتها من محاجر الخليل، وجعلت فوق موضع الناقوس الذي كان للهيكل، وفتح باب في الجهة الشرقية مقابل تمامًا للباب الغربي.

ومازال منقوشًا على «رنوك» الباب الشرقي وأعمدته الرخام ما يلي:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ (الفرقان: ١٠)

«أمر بإنشاء هذا الباب والمئذنة المباركة مولانا وسيدنا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين- أبوالفتح لاجين المنصوري، أدام الله أيامه- ونشر في الخافقين بالنصر ألويته وأعلامه، وأعز أنصاره وأعوانه ووزراءه وحكامه، وحكم في منحر المشركين سهامه وحسامه، كان الفراغ من بناء المنارة والواجهة في شعبان ٦٩٧هـ».

كما أن «سنجر الجاولي» نائب السلطنة المملوكية اعتنى عناية كبيرة بالجامع العمري وأضاف له إضافات عديدة منها إيوانات كبيرة متعددة تصل الصحن الخارجي الشمالي بالصالة الرئيسية أثناء حكمه لغزة.

أما «موسى باشا آل رضوان» من أمراء غزة في العهد العثماني فقد أقام صهريجًا كبيرًا يتجمع فيه ماء المطر للشراب والوضوء عند الحاجة، وأضاف للمسجد إيوانات جديدة في الناحية القبلية المواجهة للباب الشمالي.

وأثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) احتمت كتيبة من الأتراك بداخل الجامع ومعها ذخيرتها فقام الإنجليز بضرب الجامع من البحر والبر، وأصيب بأضرار جسيمة وتهدمت منارته (المئذنة) حتى منتصفها، فقام

المجلس الإسلامي الأعلى وبهمة رجاله المخلصين بإعادة إعماره وترميمه وأزيلت الأنقاض والأتربة وجيء بنفس نوع الحجارة وأعيدت المنارة كما كانت، ويوم الاحتفال بانتهاء أعمال الترميم عام (١٣٤٩هـ - ١٩٢٦م) حضر مؤذن الجامع الحاج محمود رشاد البرقوني لينصب الهلال ويثبته في أعلى المنارة، صعد إلى المنارة ومعه كفنه من القماش الأبيض وصعد الدرج حتى منصة الأذان، ثم صعد إلى قمة ورأس المئذنة، بدون سلالم ولا أدراج وثبت ٣ كرات نحاسية يعلوها الهلال في أعلى قمة المئذنة وقد حبس الحضور أنفاسهم في صحن الجامع ولما انتهى من عمله بنجاح ووصل إلى منصة الأذان في المنارة عزفت الموسيقى الأناشيد والتراتيل الدينية وهلل الحضور وكبروا ابتهاجًا بهذا النجاح (المئذنة وهلالها باقيان إلى اليوم يصدحان بشموخ كل يوم خمس مرات (الله أكبر.. الله أكبر).

القيسارية

القيسارية اسم يطلق على الجهة الجنوبية للجامع والمطلة على شارع عمر المختار الشارع الرئيسي في غزة، وقام آل رضوان بحماية جدران الجامع من مياه الأمطار التي كانت تنحدر من الجهة الشرقية والشمالية وتتجمع أمام الباب القبلي الجنوبي، كما قاموا ببناء دكاكين وقف للجامع- وفوقها عقود منقوشة فوق الدكاكين وهي ما عرف على اليوم بسوق الذهب، حيث استأجرها الصاغة لبيع مصوغاتهم، وتم تجديد المحال والدكاكين المطلة على شارع عمر المختار التي كان يشغلها بعض الأفغان الذين شاركوا في الحرب العالمية الأولى مع الإنجليز، وبقوا في غزة بعد انتهاء الحرب، لقد احترفوا عدة حرف أهمها صناعة المفاتيح والأقفال وسن السكاكين وتجليخها وبيع المسابح وسجاجيد الصلاة وغيرها.

باب الجنائز

للجامع العمري الكبير «أربعة أبواب» مفتوحة على الجهات الأربع، الباب الشرقي الذي استحدث في العصر المملوكي، ولابد للنزول عدة درجات للوصول إلى الباب، لأن الشارع منسوبه أعلى من صحن الجامع، وكذلك النزول عدة درجات للوصول للصحن حيث المنبر والمحراب في هذه الناحية، يقابل الباب الشرقي مباشرة «مطبعة العلمي»، وهي أول مطبعة حديثة تقام في غزة في الثلاثينيات من القرن الماضي (١٩٣٣م) وبلغت شهرتها في غزة شهرة مطبعة «بولاق» في القاهرة حيث كان يطبع فيها «دفاتر إيصالات مالية» و«دعوات الأفراح» وكتيبات وكانت تعمل بطريقة «صف ورص الحروف المعدنية القديمة»!

الباب الثاني- (الجنوبي القبلي) يقع وسط محلات القيسارية بسوق الذهب وتعلوه قنطرة متصلة بجدران الجامع.

الباب الثالث- الشمالي- يفضي مباشرة إلى الصحن الخارجي الكبير المكشوف وتتصل به إيوانات من الجهات الشرقية والجنوبية والغربية ومنه يدخل إلى الجامع سكان أحياء الدرج- التفاح- بني عامر للصلاة فيه.

أما الباب الرابع- الباب الغربي- وهو الباب الرئيسي والوحيد للمعبد القديم فيواجه أسواق المدينة ويسمى «باب الجنائز» لأن الغزيين يأتون بموتاهم للصلاة عليهم ويخرجون بهم من نفس الباب متجهين إلى المقبرة الكبيرة التي صارت وسط المدينة، وقد

أغلقتها السلطة الفلسطينية بعد عام ١٩٩٦م.

لقد حرص علماء غزة وعائلاتها الثرية والمتنفذة على أن يكونوا قريبين من الجامع، فإلى اليوم ما تزال بيوت الشيخ عثمان الطباع والشيخ محمد سكيك من أئمة الجامع يتوارثها أحفادهم وحتى اليوم- ولا يزال آل الغصن وآل رضوان يدفنون موتاهم في المقابر الخاصة بهم في الجهة الشرقية وكذلك وقف آل الريس في الجهة الغربية حيث يمتلكون «حاكورة» بستان» للفواكه موقوفة على الجامع مع حمام السوق الذي اندثر في ستينيات القرن الماضي.

مكتبة الجامع العمري

أنشأ هذه المكتبة السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري وعين عليها خيرة العلماء للعناية بها، ويذكر أكثر من مصدر أنه كان بها أكثر من عشرين ألف كتاب ومخطوط، إلا أنه للأسف تعرضت هذه المكتبة للسرقة والتدمير والعبث خصوصًا أثناء الغزو الصليبي وأثناء الحملة الفرنسية على مصر وعلى غزة وعكا، وحتى الحرب العالمية الأولى، وانحصرت الآن في غرفة قريبة من الباب الغربي.

لقد كانت مكتبة الجامع العمري بغزة ثالث مكتبة في فلسطين بعد مكتبة المسجد الأقصى ومكتبة مسجد أحمد باشا الجزار في عكا.

لقد تناوب على إمامة المسجد العمري وسدانته كثير من أبناء غزة وأعلامها خصوصًا في القرنين الماضيين سجلت المراجع منهم:

- السيد محمد كمال الدين البكري ت ١١٩٦هـ
- العلامه الشيخ عبدالمجيد البورنو مفتي الأحناف وشيخ علماء عصره ت ١٣١٠هـ
- الشيخ محمد نجيب النحال ت في صفر ١٢٩٦هـ
- الشيخ سليم شعشاعة ت ١٣٢٠هـ
- العلامة الشيخ التقي الفقيه الفاضل محمد سكيك الحنفي ت (١٢٤٦هـ- ١٨٣١م)، تتلمذ على الشيخ مرتضى الزبيدي في الأزهر الشريف.
- الشيخ حسين العلمي
- الشيخ محمود بن الشيخ محمد سكيك السابق ذكره الحنفي الشاذلي درس في الأزهر سبعًا وعشرين سنة ثم عاد لغزة وعرف قدره وظهر فضله، ت ١٣١٠هـ
- الشيخ عبداللطيف الخازندار ت في رجب ١٣٢٠هـ
- الشيخ عثمان مصطفى الطباع الدمشقي الغزي ت ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م الذي قام بجهد كبير في كتابة مخطوطته الشهيرة «إتحاف الأعزة في تاريخ غزة» الذي جمع في المجلد الرابع تراجم لأعيان علماء غزة حتى وصل عددهم ٢١٤ عالمًا.

وقام بتحقيق هذه الموسوعة الشاب الأديب عبداللطيف زكي أبوهاشم، مدير أوقاف غزة حاليًا.

إن الكتابات المنقوشة على أبواب وجدران ورنوك وتيجان الأعمدة تشهد للجامع العمري الكبير بأمجاد هذا الجامع الذي يحمل اسم الخليفة العادل الفاروق «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه والذي وضعه أحد المؤلفين الأجانب غير المسلمين من «أعظم مائة خالدون في التاريخ» وعلى رأسهم الرسول الكريم ﷺ.

لقد قامت السلطة الفلسطينية بتجديد عمارة المسجد وترميمه وفرشه وأعادت إليه بعض رونقه بعد أن هجرت جيرته العائلات الغزية العريقة،وصارت البيوت المجاورة مخازن للبضائع للمحلات الكبيرة في شارع عمر المختار القريب.

ترجمة الشيخ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي

بقلم تلميذه أحمد تيمور باشا

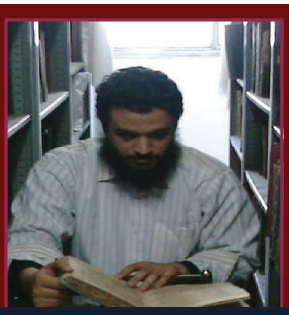

تحقيق: صالح بن محمد بن عبدالفتاح

دار الكتب المصرية العامرة- حرسها الله- من أكبر المكتبات في العالم التي تحوي بين جدرانها عشرات الآلاف من النسخ الخطية لمؤلفات أسلافنا العظام وفي زاوية من زوايا تلك المكتبة تجد كما هائلاً من الأوراق المتناثرة معدومة الهوية تراكمت فوق بعضها البعض قد غطتها أكوام من الأتربة ووراها عن أعين الباحثين طوال الأعوام السابقة جهلُ كثير من القائمين على أمر الدار بقيمتها وأهميتها ثم منَّ الله سبحانه وتعالى علينا- أنا وبعض الزملاء- منذ عامين تقريبًا بأن كلفنا بالنظر في تلك الأوراق وإعادة ترتيبها واستخراج ما بها من كنوز ونوادر فلفت انتباهي وأنا أقلب في تلك الأوراق وريقات كتبت بقلم سعادة الأستاذ أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور باشا الباحث والمؤرخ المصري المعروف وصاحب المكتبة التيمورية الشهيرة (ت ١٣٤٨هـ) تناول فيها ترجمة شيخه العلامة محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي رحمه الله تعالى (ت١٣٢٢هـ) (١) وتظهر أهمية تلك الترجمة في كون كاتبها كان من أخص تلاميذ المترجَم له، وقد أخذ بعض ما فيها من معلومات عن المترجَم مشافهة وقد جلى فيها -على وجازتها- كثيرًا من جوانب حياته الشخصية والعلمية، فأحببت أن أطلع القراء الكرام عليها.

هو الأستاذ، العلامة، الحجة، الثقة، إمام اللغويين في عصره، شيخنا محمد محمود بن أحمد بن محمد التركزي الشنقيطي.

اشتهر والده بالتلاميد- بالدال المهملة-، وسبب ذلك على ما أخبرني به أنه كان يقرئ تلاميذه في خيمة انفرد بها، فكان كل من يسأل عنه يقول: أين خيمة التلاميد؟ ثم أطلق هذا اللقب عليه كما يقال: السادات الواحد من السادات الوفائية بمصر.

وتركز، بضم فسكون فضم: اسم قبيلته (٢) وهو في الأصل أموي النسب ولهذا كان يكتب في توقيعه العبشمي نسبة إلى عبدشمس ثم ترك كتابته لما أقام بمصر.

قرأ على أبيه، وبعض أقاربه كما أشار إلى ذلك في ميميته التي نظمها لمؤتمر العلوم الشرقية باستكهلم فقال(٣):

غذاني بدَرِّ العلم أرأفُ والد
وأرحم أُمٍّ، لم (٤) تُبتْنى على غمِّ
ولم يَفُطماني(٥) عنه حتى رويته
عن الأبِ ثم الأخِ والخالِ والأُمِّ
وعن غيرهم من كل حبر سَمَيْدَعٍ(٦)
تقيٍّ نَقِيٍّ لا عيبٍ ولا فُدم (٧).

أهمية هذه الترجمة تكمن في كون كاتبها من أخص تلاميذ المترجم له

ولازم أيضًا الشيخ عبدالوهاب الملقب بإجدُود (٨)، وعليه تخَرَّج، ثم تلقى الحديث عن ابن بلعمش الجكني، واستظهر من المتون وأشعار العرب شيئًا كثيرًا لم يذهب من حفظه حتى مات، واشتهر باللغة والأنساب وانفرد بهما.

ثم رحل إلى المشرق وحجَّ واجتمع بأمير مكة الشريف عبدالله بن محمد بن عون فأكرمه وطلب منه البقاء عنده فأجاب.

وكانت تقع بينه وبين علماء مكة والواردين عليها مناظرات ومحاورات علمية في مجلس الأمير.

ثم صار يتردد في الإقامة بين مكة والمدينة إلى أن قصد القسطنطينية فأكرمه السلطان عبدالحميد وعرف قدره وأوفده سنة (١٣٠٤هـ) إلى باريس

الباحث بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية

ولندن والأندلس للاطلاع على ما في خزائنها من الكتب العربية النادرة وتقييد أسماء ما لا يوجد بخزائن القسطنطينية لتستنسخ، فسافر على باخرة خاصة وكان ينزل حيثما حل بدور السفارات العثمانية ولكن المشروع أهمل بعد عودته ثم لما شرع الملك اسكار الثاني ملك السويد والنرويج في عقد المؤتمر الثامن للعلوم الشرقية باستكلهم سنة (١٣٠٦هـ) طلب من السلطان عبدالحميد أن ينتدب الشيخ إليه فانتدبه مع مدحت أفندي الكاتب التركي الشهير ونظم الشيخ قصيدته الميمية ليقدمها للمؤتمر وأولها:

ألا طرقت مَيٌّ فتًى مَطْلع النَّجم
غريبًا عن الأوطان في أمم العُجم

ذكر بها سبب هذه الرحلة، وابتداء تحصيله للعلوم بالمغرب، ورحلته إلى المشرق، وضمنها مسائل علمية، ورثى نفسه فيها، وختمها بذكر القبائل المشهورة، ولكنه لم يسافر لاشتراطه شروطًا أغضبت السلطان، فأمر بسفره إلى المدينة، ومنها قدم إلى القاهرة وألقى بها عصى التسيار، واستحضر أهله وكتبه من المدينة، وأقبل على المطالعة والإفادة إلى أن توفي بدار سكنه القريبة من الأزهر قُبيل الغروب في يوم الجمعة (٢٣ شوال سنة ١٣٢٢هـ) عن سنٍّ عالية ولم يمرض إلا أيامًا قليلة.

وكان رحمه الله نحيفًا أسمر اللون شديد التمسك بالسنة قوالًا للحق ولو على نفسه، مع حِدَّة طبع زائدة، ولهذا لم ينتفع به إلا القليلون.

وكان لا يمل المطالعة ليلًا ونهارًا حتى أضنته كثرة الجلوس، وسببت له أمراضًا وآلامًا ولاسيما لما اشتغل بتصحيح «المُخَصَّص»، فإنه كان يقابله مع شخص آخر بمكان رطب في الطبقة

أحمد تيمور باشا

السفلى من داره، فاشتد به مرض الصدر وألم الرئة في أطرافه، وكثيرًا ما كان يقول: «أنا قتيل المخصص، أنا قتيل الكتب» ولم يترك من الآثار إلا «الحماسة السَّنية، الكاملة المَزيَّة، في الرحلة العلميّة الشنقيطية التُّرْكُزِيَّة» ضمَّنَها شيئًا من أخباره وقصائده وردوده على من خالفه في بعض المسائل العلمية وطبعت بالقاهرة في مطبعة الموسوعات سنة (١٣١٩هـ) وله أرجوزة سمَّاها «عذب المنهل والمَعل المسمى صرف ثُعَل» (٩) لم تطبع، و«إحقاق الحق وتبرئة العرب مما أحدث عاكش اليمني في لغتهم ولامية العرب» وهي حاشية على شرح لامية العرب لعاكش اليمني(١٠) وكان وَفد علي الشريف عبدالله بن محمد بن عون بمكة وقدَّم له هذا الشرح فطلب الشريفُ من الشيخ أن يكتب عليه فكتب هذه الحاشية وبين فيها أغلاطه وهي مخطوطة لم تطبع (١١)، وكان شرع في تأليف كتاب سماه «بنيان العلم المرصص، في أوهام المخصص» لم يكتب منه إلا ما طبع على حواشي المخصص، وكان صحح بعض الأوهام الواقعة في الطبعة البولاقية من الأغاني، ولم يستوعب كل ما فيه، فجرَّدها من حواشي نسخته الشيخ الفاضل محمد عبدالجواد الأصمعي وطبعها بالمطبعة الجمالية بالقاهرة سنة (١٣٣٤هـ) بعنوان «تصحيح الأغاني» أ.هـ.

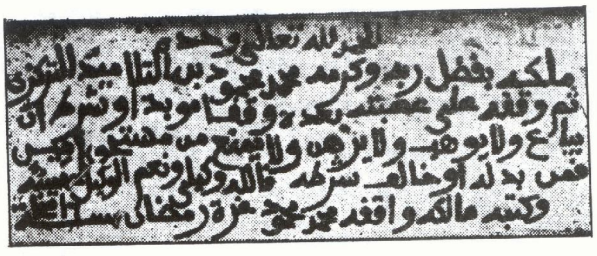
محمد محمود التركزي الشنقيطي
عن مخطوطة الجزء الرابع من «شرح المفصل» في دار الكتب المصرية «١٩ نحو».

الهوامش

١- تبين لي أن لجنة نشر المؤلفات التيمورية قد وقفت عليها وضمنتها كتابه: «أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث».

٢- قبيلة تُركُز قبيلة موريتانية مشهورة تتوزع بين منطقتي البراكنة وتكانت بموريتانيا ومنها ما هو بالمملكة المغربية، انظر مقالة سيدي أحمد بن أحمد سالم عنه، مجلة آفاق الثقافة والتراث السنة الثالثة، العدد العاشر، ص ٧٨ .

٣- الحماسة السنية للمُترَجم (القسم الأول/٢).

٤- في الأصل «لمن» وهو تصحيف من الناسخ.

٥- في الأصل «يعظماني» وهو تصحيف من الناسخ.

٦- السميدع: السيد الكريم السخي، والشجاع، والخفيف السريع.

٧- الفدم من الرجال: كأنه مشدود على فيه ما يمنعه الكلام لفهاهته.

٨- هو عبدالوهاب بن أكتوش بن السيد العلوي (ت ١٢٨٩ هـ) انظر ترجمته في الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط المطبعة الجمالية (ص ٨٠- ٨١).

٩- موضوع هذه الرسالة يتعلق بما ورد في لفظ ثعَل من الصرف وعدمه مع بيان مذهبه في ذلك، وقد أشار الشنقيطي رحمه الله تعالى إلى هذه الرسالة في قصيدته الميمية في أكثر من ستين بيتًا منها.. انظر: قطف العناقيد في ترجمة الشنقيطي بن التلاميد لرائد الشلاحي ص ٦٥، والرسالة موجودة بخطه محفوظة ضمن مكتبته الملحقة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٦٨ / نحو ش).

١٠- هو الحسن بن أحمد بن عبدالله بن عبدالعزيز الضمديّ المعروف بعاكش (ت: ١٢٩٠ هـ) انظر ترجمته في الأعلام (٢/١٨٣).

١١- طبعت بتحقيق الأستاذ رائد الشلاحي وقدم لها بمقدمة نفيسة ترجم فيها للشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى أسماها: «قطف العناقيد في ترجمة الشنقيطي بن التلاميد» وهي أوعب ما صنف في ترجمته فجزاه الله خيرًا.

العلامة المقرئ بكري ابن العلامة عبدالمجيد الطرابيشي.. في ذمة الله

التحرير

هو العلامة المقرئ الكبير، العالم الورع، الفقيه المطلع، الشيخ بكري بن عبدالمجيد بن بكري بن أحمد الطرابيشي (أبوماجد) أحد مشاهير أهل الإقراء بحاضرة الإسلام دمشق الشام، وأعلى قرَّاء القرآن إسنادًا من طريقة الشاطبية في العالم.

مولده ونشأته

ولد الشيخ بكري الطرابيشي في باب سريجة بدمشق في سنة (١٣٣٨)هـ، الموافق سنة (١٩٢١م) في بيت علم ودين، وكان والده الشيخ عبدالمجيد الطرابيشي (ت ١٩٤٣م) من فقهاء دمشق في المذهب الحنفي، وممَّن اختارهم الملك فيصل بن الحسين إلى خاصَّته حينما كان ملكًا على بلاد الشام بعد سقوط حكم السلطنة العثمانية عام (١٩١٨م).

دخل مدرسة الملك الظاهر (الابتدائية) في حي العمارة، وتخرج فيها بتفوق باهر، وتابع دراسته الإعدادية فالثانوية، ونال شهادة الثانوية التجارية.

ونشأ الشيخ بكري- رحمه الله- في أحضان العلماء من أصحاب أبيه، وقد غذَّاه والده بالعلوم الدينية والأدبية والقرآن الكريم.

بدأ الشيخ العمل بالتجارة بعد الثانوية، فكان شريكًا مع أخيه في محل كبير في العصرونية لبيع الأدوات المنزلية، كما عمل على إعمار أراض كثيرة معظمها في مدينة دمشق وريفها، أخذ ذلك قسطًا وافرًا من جهده.

حفظه للقرآن الكريم

حفظ الشيخ بكري القرآن وهو في الثانية عشرة من عمره، وأجاده حفظًا وتلاوة في عمر الخامسة عشرة، وحينما كان في الثانية عشرة أخذه والده إلى الشيخ عبدالوهاب الحافظ (دبس وزيت)، ولما وجد لدى الشيخ عبدالوهاب مشقة وتشديدًا في الإقراء، انتقل إلى التتلمذ على يد الشيخ عزالدين العرقسوسي، وكان من قراء دمشق جامعًا للقراءات من طريق الشاطبية، وعندما بلغ العشرين من عمره قرأ الشيخ بكري على الشيخ عبدالقادر الصبّاغ الذي أخذ القراءة على الشيخ أحمد الحلواني الكبير، وقد شجعه شيخه الصباغ على تلقي علم القراءات، فأكرمه بأخذه إلى الشيخ المقرئ المتقن محمد سليم الحلواني، الذي قرأ على والده الشيخ أحمد الحلواني، وهو على الشيخ أحمد المرزوقي في مكة المكرّمة.

قراءته على الشيخ محمد سليم الحلواني

في نحو عام ١٣٦٠هـ أخذه شيخه عبدالقادر الصبَّاغ- كما تقدم- للشيخ محمد سليم الحلواني لأخذ القراءات عليه من طريق الشاطبية، فاستقبله الشيخ محمد سليم الحلواني استقبالاً حسنًا، وأخذ عنه القراءات السبع ختمة كاملة، وكان الختام في سنة ١٣٦٢ أو ١٣٦٣هـ وكان ذلك بحضور الشيخ محمود فايز الديرعطاني.

وقد أجازه الشيخ محمد سليم الحلواني سنة ١٩٤٢ في القراءات السبع من طريق الشاطبية.

وكان الشيخ بكري يحمل أعلى سند على وجه الأرض من طريق الشاطبية، بينه وبين رسول الله ﷺ ستة وعشرون قارئًا، وتوفي آخر قرين له منذ أكثر من ثلاثين عامًا، وهو فضيلة الشيخ عبدالعزيز عيون السود- رحمه الله تعالى.

ثم بعد أن أجازه الحلواني بالقراءات السبع، تردَّد على الشيخ محمود فايز الديرعطاني، وأفرد عنده بعض الروايات ختمات كاملة، ثم جمع القراءات العشر ختمة كاملة من طريق الشاطبية والدرة، ولما انتهى أجازه بذلك.

تلاميذه

جعل- رحمه الله تعالى- من جامع الخير في «المهاجرين» قرب بيته، مكانًا لإقراء الطلبة والحفظة، إذ كانوا يتوافدون عليه من كل حَدَب وصوب، فقرأ عليه أكثر من مائتي طالب للقرآن الكريم كاملًا، وأما عدد الذين قرأوا العشر عليه فهم بضع وعشرون قارئًا.

وقد نفع الله تعالى بالشيخ بكري في دمشق والآفاق وتوافد عليه الطلبة، وأقرأ العشرات من حفظة كتاب الله، وحصل على الإجازة منه خلق كثير، ومنهم عدد من شيوخ وأئمة القراءات في عصرنا.

أخلاقه وشمائله

بوفاته نزلت الأسانيد المتصلة برواية القرآن الكريم درجة!

عُمّر الشيخ بكري خمسًا وتسعين سنة قضاها في الطاعات والخيرات، وتعليم القرآن الكريم والقراءات، والجهاد بالنفس والمال لرفع راية الإسلام، وعُرف بكرمه ولطفه وعاطفته وتأثره الشديد بأحوال المسلمين، واهتمامه بالشؤون العامة، وخدمته للناس في كل أحواله.

واشتهر الشيخ بعدم قَبوله للهدايا من طلابه مطلقًا، وإنْ ألحَّ عليه الطالب كثيرًا فكان يرد الهدية بأخرى في اليوم نفسه، ولسان حاله: «لا تُفسد عليَّ أجري».

وتميَّز الشيخ بنسج علاقة أبوية مع طلابه، إضافة إلى افتخاره بهم في لقاءاته ومجالسه، بل طلبه الدعاء منهم.

أسرته

قد اشتهر اثنان من أولاد الشيخ على مستوى العالم في مجال الطب، أحدهما سُجلت باسمه براءة اختراع «الركبة الصناعية»، والثاني أحد طبيبين على مستوى العالم يجري عملية في اختصاص الأنف والأذن والحنجرة بالمنظار، وأجاز الشيخ أحد أبنائه بالقرآن الكريم.

وفاته

قدم الشيخ الطرابيشي من دمشق إلى دبي للعلاج وزيارة أبنائه، وتوفي فيها يوم الخميس غرة ربيع الآخر عام ١٤٣٣هـ، الموافق يوم ٢٣ شباط/فبراير ٢٠١٢م، وصُلي عليه في مسجد حسن الشيخ في منطقة الطوار بدبي بعد صلاة الجمعة.

وبموته نزلت الأسانيد المتصلة برواية القرآن الكريم درجة، فقد كان- كما تقدم- أعلى الناس إسنادًا في القراءات السبع للقرآن الكريم من طريق الشاطبية بالأخذ والتلقي عن شيخ القراء في عصره الشيخ محمد سليم الحلواني، وبينه وبين النبي ﷺ ستة وعشرون قارئًا من الأعلام، وهو أعلى إسناد في القراءات يعرف إلى النبي ﷺ.

وبوفاته فقدنا عمدة في قراءات القرآن الكريم، وجبلًا في التاريخ والجهاد والورع، نسأل الله عز وجل أن يتغمد فقيدنا الجليل بواسع الرحمة والرضوان.

• انظر ترجمة الشيخ الطرابيشي للأستاذ مجد مكي.

الشيخ زهير الشاويش يرثي الطرابيشي

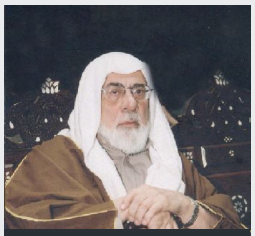
الشيخ زهير الشاويش

رحمك الله يا شيخنا، العزيز في جوارنا. المنتقل إلى رحمة الله- جل شأنه- في منطقة إمارة دبي، في الخليج العربي العامر.

وقد ولد في ربيع الثاني سنة (١٣٣٨هـ) وكانت وفاته في (١) ربيع الآخر سنة (١٤٣٣هـ)، ويكون بذلك قد أتم الخامسة والتسعين من عمره، ولله سبحانه ما أعطى وما أخذ، وكل شيء عنده بأجر وثواب ومغفرة.

والشيخ بكري تلقى القرآن الكريم بالقراءات السبعة من طريق الشاطبية عن شيخ القراء العلامة محمد سليم الحلواني، ثم تلقى العشرة من طريق الشاطبية مع الدرة، عن تلميذه الشيخ محمود فائز الديرعطاني عن العلامة محمد سليم الحلواني، والذي قرأ على والده، تغمدهم الله برحمته، وأنزل عليهم الرضوان.

وكان الشيخ بكري فقيهًا عالمًا متقنًا، وقد انفرد بعلو السند للقرآن الكريم، وسبق له أن كان عضوًا إداريًا في الشبان المسلمين، ثم في جماعة الإخوان المسلمين في دمشق سنوات عدة.

وكان رحمه الله سليم المعتقد، يهتم بالشؤون العامة، وخادمًا للناس في كل أحواله.

وقد بقي شيخَ القراء بعد انتقال مشايخه وإخوانه القراء؛ حيث أصبح حامل السند الأعلى للقراء في العالم، وذلك سجل في كتاب: «السَّنَدان الأعليان».

وأسأل الله أن يتغمده برحمته، وأحر التعازي إلى الأهل، والأولاد، والإخوان، وإلى الأخ الفاضل والأستاذ الجليل عصام العطار، وسماحة شيخ قراء الشام محمد كريم راجح، وإلى إخوانه الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إعداد: محمود محمد الكبش •

من فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

رفض المريض التّداوي (٣/٦٨ع/٩٦)

عُرِضَ على اللّجنة الاستفتاءُ التّالي:

والدي مريض بالسّرطان في البنكرياس والمعدة، وحالتُه تسوءُ يومًا بعد يوم، وقال الأطباء: إنّه لا أمَلَ له، وهو يحتاج إلى عناية ومتابعة، وأخذ للمسكّنات والمغذّيات، إلّا أنّه يرفضُ الذّهاب إلى المستشفى، ويقول إنّه يريد أن يموت بين أهله، والسّؤال هو: إذا استمرّت حالتُه بالتّدهور يومًا بعد يوم، ووصل إلى الغيبوبة؛ فهل لنا أن نأخذَه إلى المستشفى، علمًا بأن ذلك مخالفٌ لرغبته؟

أجابت اللّجنة بما يلي:

إذا كان في ذهابه إلى المستشفى فائدةٌ محقّقةٌ فلا بأس من ذلك، ولو بغير إرادته، وإلّا.. فلا يُؤخَذُ رَغمًا عنه، والله أعلم. (١٢/٤٨٥/٣٩٣٥)

استحالة الكحول وشحوم الخنزير إلى مواد أخرى للتّداوي (٢/٥٨ع/٨٨)

عُرِضَ على اللّجنة الاستفتاءُ التّالي:

هل يجوز تعاطي الأدوية الّتي تحتوي على منتجاتٍ خنزيريّة أو كحوليّة؟

أجابت اللّجنة بما يلي:

إذا تحولت المنتجات الكحوليّة أو الخنزيريّة، وصارت مادّة أخرى في صورة الدواء فإنّها تطهُر، ويحلّ الانتفاع بها، أمّا إذا لم تتحوّل إلى مادّة أخرى؛ فإنّها تبقى نجسةً، إلّا في حال الاضطرار؛ بألا يقوم مقامَها شيءٌ من الأدوية الحلال، والله أعلم.

(٥/٤٢٦/١٧٠٧)

التّداوي بدواءٍ مخلوطٍ بالكحول (٢/١٢ع/٩٩)

عُرِضَ على اللّجنة الاستفتاءُ التّالي:

نرجو إفادتَنا برأيكم حول مشروعية استخدام الكحول (الإيثانول) في التّركيبات الدّوائيّة، علمًا بأن نسبة الكحول (الإيثانول) قد تتراوح ما بين ٢ إلى ٦٪، ونرجو إفادتنا إذا وجد حرج شرعي على مَن يصفُ هذه النّوعيّة من الأدوية من الأطباء، وعلى مَن يصرفُه من الصيادلة.

تنبيه: علمًا بأن نسبة الكحول (الإيثانول) في البيرة المسكرة ما بين ٢,٥ إلى ٤,٥٪.

أجابت اللّجنة بما يلي:

الأدوية الّتي اختلط بها الكحولُ بالنسبة المذكورة: ٢ إلى ٦٪ يحلّ التّداوي بها إذا تعيّنت علاجًا، بأن لم يكن هناك دواء يحلّ محلها مما ليس فيه كحول، فإنْ وُجِدَ لزم العلاج به دون ما اختلط به الكحول، بُعدًا عن الشبهات، وعلى الطبيب والصيدلاني مراعاة ذلك، والله أعلم.

(١٥/٤٣٥/٤٨٥٠)

التّداوي بالرُّقية الشرعيّة وأخذ الأجرة عليها (٢/١٥ه/٩٩)

عُرِضَ على الهيئة الاستفتاءُ التّالي:

تردّدَ في الآونة الأخيرة موضوعُ مزاولة بعض الإخوة للرّقية الشّرعيّة، من حيث تخصيصُ مكانٍ لعلاج النّاس بالرقيّة الشّرعيّة، وأخذ الأجر مقابلها، وكذلك أخذ الأجر مقابل الماء والزّيت والعسل المقروء عليه بالقرآن الكريم، فهل هذا العمل جائزٌ شرعًا؟

أجابت الهيئةُ بما يلي:

ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز الرّقيّة من كل داءٍ يصيب الإنسان بشروط أربعة هي:

١- أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، أوَ بالمأثور عن النّبي ﷺ، وبذكر الله مطلقًا.

٢- أن تكون بكلام مفهوم المعنى؛ ليس فيه طلاسم ورموزٌ لا يُفهم معناها.

٣- أن يعتقد الرّاقي والمرقي أنّ الرُّقية لا تؤثر بذاتها، بل بإذن الله تعالى وقدرته.

٤- ألا تشتملَ الرقية على شركٍ بالله تعالى أو معصيةٍ له.

وذلك لما رواه عوفُ بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله! كيف ترى في ذلك؟ فقال ﷺ: اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرّقى ما لم يكن فيه شرك» (أخرجه مسلم).

وقد روي جوازُ القراءة على الماء عن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم، ومجاهد وأبي قلابة وابن تيمية والقاضي عياض رحمهم الله تعالى.. وعليه، فإنّ الهيئة ترى جواز الرّقية بالشروط السابقة، وجواز

• باحث لبناني في إدارة الإفتاء

القراءة على الماء لشربه أو الاغتسال أو التمسح به، وكذلك الزيت أو غيره من المواد الطاهرة للادّهان بها؛ ما لم يكن في ذلك ضررٌ على المريض.

أمّا أخذُ الأجرة على ذلك، فقد اختلف الفقهاءُ فيه، والهيئةُ ترى ألا يُفتى بجوازه، وألا يجعل مهنة يتفرغ لها بعض الناس؛ وذلك سدًّا لذريعة الشعوذة وابتزاز الأموال، والتّشكيك بتأثير الرقية الشرعية في الشفاء بإذن الله تعالى، وادعاء كثير من المستهترين من النّاس الصلاحَ والتّقوى زورًا وبهتانًا، وفي ذلك من المفاسد ما فيه، وقد اتّفق الفقهاء على أنّ لوليِّ الأمر أن يمنعَ من المباح أو يقيده إذا ترتب عليه مفاسدُ، واللهُ أعلم.

(٤٥٥٨/٤٣٨/١٥)

منع الحمل للعمل (٨٤/ع٢٣/١)

عُرِضَ على اللّجنة الاستفتاءُ التّالي:

هل يجوزُ منعَ الحمل لأسباب مهنيّة؛ حتّى تستطيعَ الزّوجة (الأم) التّفرّغَ لوظيفتها؟

أجابت اللّجنة بما يلي:

يجوزُ اللّجوءُ إلى منع الحمل على النِّطاق الفردي لأيِّ سببٍ من الأسباب، ما لم يكن مؤدِّيًا إلى العقم، ومنع الإنجاب نهائيًّا. ومع ذلك يجوز منعُ الحمل نهائيًّا بالتّعقيم الجراحيّ- على النّطاق الفرديِّ- في حالات الضّرورة الّتي يقدّرُها الطّبيبُ المسلمُ الثقةُ، إذا استنفدت كلُّ الوسائل الأخرى، والله أعلم.

قرار «مجمع الفقه الإسلاميّ» التابع لـ«منظّمة المؤتمر الإسلاميّ» رقم: (١٤٢، ١٥/٨).. بشأنِ ضمانِ الطّبيب:

إنّ مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدّولي المنبثق عن «منظمة المؤتمر الإسلامي» المنعقد في دورته الخامسة عشرة بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع «ضمان الطبيب»، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، قرّر ما يأتي:

أوّلًا: ضمانُ الطّبيب:

(١) الطّب علم وفنٌّ متطوّر لنفع البشرية، وعلى الطبيب أن يستشعر مراقبةَ الله تعالى في أداء عمله، وأن يؤديَ واجبَهُ بإخلاصٍ حسب الأصول الفنيّة والعلميّة.

(٢) يكون الطبيب ضامنًا إذا ترتب ضَرَرٌ بالمريض في الحالات الآتية:

أ - إذا تعمّد إحداثَ الضَّرر.

ب - إذا كان جاهلًا بالطّبِّ، أو بالفرع الذي أقدم على العمل الطبيِّ فيه.

ج - إذا كان غيرَ مأذونٍ له من قبل الجهة الرسميّة المختصّة.

د - إذا أقدم على العَمَل دون إذن المريض، أو مَن يقوم مقامه؛ كما ورد في قرار المجمّع رقم: (٦٧، ٧/٥).

هـ - إذا غرَّرَ بالمريض.

و - إذا ارتكب خطأ لا يقع فيه أمثالُهُ ولا تقره أصولُ المهنة، أو وقع منه إهمالٌ أو تقصيرٌ.

ز - إذا أفشى سرَّ المريض بدون مقتضى معتبرٍ؛ حسب قرار المجمع رقم: (٧٩، ١٠/٨).

ح - إذا امتنع عن أداءِ الواجبِ الطّبيِّ في الحالات الإسعافيَّة (حالات الضّرورة).

(٣) يكون الطّبيب- ومَن في حكمه- مسؤولًا جزائيًّا في الحالات السّابق ذكرها إذا توافرت شروط المسؤوليّة الجزائيّة فيما عدا حالة الخطأ (فقرة و)؛ فلا يُسأل جزائيًّا إلّا إذا كان الخطأ جسيمًا.

(٤) إذا قام بالعمل الطبي الواحد فريقٌ طبيٌّ متكامل، فيُسأل كلُّ واحد منهم عن خطئه تطبيقًا للقاعدة «إذا اجتمعت مباشرة الضرر مع التّسبب فيه، فالمسؤولُ هو المباشر، ما لم يكن المتسبِّب أولى بالمسؤولية منه». ويكون رئيسُ الفريق مسؤولًا مسؤوليّة تضامنية عن فعل معاونيه إذا أخطأ في توجيههم أو قصّر في الرّقابة عليهم.

(٥) تكون المؤسّسة الصّحية (عامّة أو خاصّة) مسؤولةً عن الأضرار إذا قصّرت في التزاماتها، أو صَدَرَت عنها تعليماتٌ ترتّب عليها ضررٌ بالمرضى دون مسوِّغ.

إعداد: هيفاء حسن

هل ينفجر نجم «إتا كارياني»؟

توقع علماء في معهد الفضاء للعلوم، انفجار النجم «إتا كارياني» الذي يبعد مسافة ٧,٥ آلاف سنة ضوئية عن الأرض، وفي حال انفجر النجم الذي يزن أكثر من مائة ضعف وزن شمسنا، سيطلق أشعة ساطعة جدًّا تفوق الضوء الصادر عن مجرة درب التبانة بشكل كامل، محدثا تغييرات كبيرة في دائرة قطرها قرابة المليوني سنة ضوئية.

وقال العلماء إنه لا توجد ساعة زمنية محددة لمثل هذا الانفجار، غير أن كل العلامات تشير إلى أنه جاهز في أي لحظة لإحداث تفاعلات نووية في غاية القوة تؤدي إلى انفجاره، وقد يكون هذا الحادث بعد ألف سنة أو في غضون ساعات.

ويستمر العلماء بمراقبة الفضاء، وإجراء دراسات وتحاليل، لتوقع أي حوادث من الممكن أن تؤثر في كوكب الأرض، واتخاذ أي إجراءات ممكنة مثل حادث اصطدام أحد النيازك الهائلة بالأرض قبل أكثر من ٦٥ مليون سنة، مما أدى إلى إبادة الديناصورات وأنواع أخرى من المخلوقات، كانت تعيش في مناطق قريبة من موقع الاصطدام.

ووفق تلك النظرية، فإن النيزك سقط على الأرض بسرعة ٢٤ ألف ميل في الثانية، ليصطدم بخليج المكسيك، مسببًا حفرة عمقها ٢٤ ميلًا، وعرضها ١٢٥ ميلًا، ويعتقد العلماء أيضًا أن قوة الانفجار تسببت في القضاء على جميع المخلوقات في محيط مقداره ١٥٠٠ كيلومتر تقريبا بسبب الحرارة والزلزال وموجات تسونامي الناتجة عن ارتطام النيزك بالأرض.

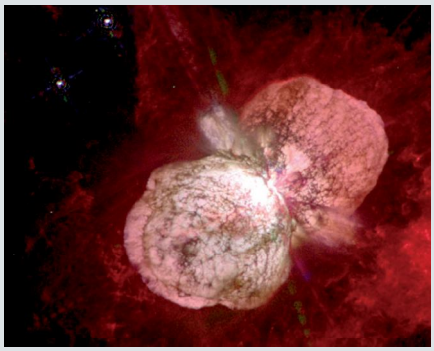

نسبة مسلمي العالم ٢٣,٤٪

يبلغ عدد المسيحيين في العالم ٢,١٨ مليار شخص، أي ثلث سكان العالم ليشكلوا بذلك أكبر جماعة دينية، متقدمين على المسلمين، البالغ عددهم ١,٦ مليار شخص أي ٢٣,٤٪ من سكان العالم، وأظهرت دراسة لمركز الأبحاث الأميري «بيو» أن نسبة السكان المسيحيين بقيت مستقرة منذ قرن من الزمن، إلا أنها تفاوتت كثيرا على مستوى توزعها في العالم. فقبل قرن كان ٩٣٪ من المسيحيين يقيمون في أوروبا والقارة الأميركية في مقابل ٦٣٪ اليوم في هاتين المنطقتين، وتراجعت نسبة الأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم مسيحيين في أوروبا من ٩٥٪ إلى ٧٦٪ وفي القارة الأميركية من ٩٦٪ إلى ٨٦٪، وزاد عدد المسيحيين بشكل كبير في إفريقيا جنوب الصحراء من ٩٪ إلى ٦٣٪، وفي آسيا المحيط الهادئ من ٣٪ إلى ٧٪ وهما منطقتان كان عدد المسيحيين فيهما قليلا نسبيا في مطلع القرن العشرين.

أما على مستوى المذاهب، فإن نصف المسيحيين هم من الكاثوليك و٣٧٪ من البروتستانت و١٢٪ من الأرثوذكس و١٪ هم من المرمون أو شهود يهوه.

البريطانيون يشعرون بالحرج لضعف مهاراتهم الحسابية

حذّرت جمعية خيرية بريطانية جديدة من أن ضعف المهارات الحسابية يتلف الاقتصاد ويدمر الحياة، وقالت: إن هناك الملايين من البريطانيين يكافحون من أجل فهم قسيمة الدفع، أو الجداول الزمنية لمواعيد رحلات القطارات، أو دفع الفواتير المنزلية. وأضافت: إن ضعف المهارات في مادة الرياضيات يرتبط مع مجموعة من النتائج السيئة في الحياة، مثل السجن، والبطالة، والإبعاد عن المدرسة، والفقر، والإصابة بأمراض طويلة الأجل.

وأشارت الجمعية إلى أن ٤ من كل ٥ بريطانيين يشعرون بالحرج عند الاعتراف بضعف مهارات القراءة والكتابة عندهم، فيما يحمل أكثر من نصفهم الشعور نفسه عند الاعتراف بأنهم يعانون من ضعف في مهارات الرياضيات.

وتقول أرقام الحكومة البريطانية: إن ما يقرب من نصف العاملين من سكّان إنجلترا يمتلكون فقط مهارات الرياضيات من مرحلة المدارس الابتدائية.

كل أجناس العالم أصولها عربية!

اكتشف علماء بريطانيون وبرتغاليون في علوم الوراثة بجامعة ليدز البريطانية أن جميع أجناس العالم، سواء كانوا أوروبيين أو أميركيين أو صينيين أو هنودا، وحتى الإسكيمو، يتحدرون من أصول عربية.

واستند العلماء في الدراسة لتأكيد اكتشافهم أن خلايا أجسام كل أجناس العالم لديها «الميتوشندريال» الموجودة في خلايا جسم العربي نفسها، وهي المادة المسؤولة عن تكوين الطاقة في الخلايا.

وأشارت مجلة لوبوان الفرنسية إلى أن هذا الاكتشاف أوضح تطابق مادة الميتوشندريال الموجودة في خلايا أجسام كل أجناس العالم مع الميتوشندريال الموجودة في جسم العربي، مما يعني أن كل هذه الأجناس أمضوا مئات الآلاف من السنين في بلاد العرب قبل أن يهاجروا.

آفاق جديدة أمام مستخدمي لغة الإشارة

طور علماء بريطانيون برنامج كمبيوتر جديدا قادرا على قراءة إشارات الصم والبكم وتحويلها إلى نص مكتوب يمكن الأشخاص العاديين من قراءته بسهولة.

وذكر باحثون في المعلوماتية من جامعة ابردين الاسكتلندية أن هذه التقنية تسمى بالمترجم المحمول للغة الإشارة ويمكن تحميله على أجهزة الكمبيوتر العادية والمحمولة واللوحية إذ يجري تطوير البرنامج ليمكن تشغيله أيضا في الهواتف الذكية.

وقال أحد المشاركين في تطوير هذه التكنولوجيا د.ارنيستو كومبتنجيلو إن التقنية تعمل عبر استخدام لغة الإشارة أمام الكاميرا المثبتة على جهاز الكمبيوتر ليبدأ النص المكتوب بالظهور على الشاشة مباشرة مما يجعل الاتصال لدى الصم والبكم مع الأشخاص العاديين أمرا بسيطا وسريعا.

وأضاف: إنه بإمكان أي مستخدم لهذا البرنامج تطوير وتحديث قاموسه الشخصي بإعطاء دلالات خاصة لإشارات معينة ليتمكن الناس من فهمها بالطريقة التي يريدونها.

وأوضح كومبتجيلو أن التكنولوجيا المتوقع طرحها في الأسواق قبل نهاية العام المقبل تعمل على فتح آفاق جديدة أمام مستخدمي لغة الإشارة لتجاوز عقبات الدراسة والحصول على وظائف.

زراعة فك صنعته ناسخة ثلاثية الأبعاد

استطاع أطباء تثبيت فك صنعته ناسخة ثلاثية الأبعاد في وجه امرأة ثمانينية في هولندا، في عملية قالوا إنها الأولى من نوعها.

وقال باحثون إن نجاح العملية يفتح الطريق أمام استخدام مزيد من الأجزاء الخاصة بالمريض، عبر الناسخات الثلاثية الأبعاد.

وجاءت الجراحة نتيجة بحث نفذه معهد أبحاث الطب الحيوي في جامعة هاسلت البلجيكية، وصنع الفك من قبل شركة لاير وايز في البلد نفسه.

يشمل العضو المزروع أجزاء معقدة، لكنه عند تصميمه يأخذ بضع ساعات فقط لنسخه.

وقال المصممون إنه «لدى تلقينا التصميم الرقمي الثلاثي الأبعاد، يتشعّب أوتوماتيكيًا إلى طبقات ثنائية الأبعاد، وبعدها نرسل الطبقات إلى آلة النسخ، حيث تستخدم إشعاعات ليزر لصهرها معًا، وبناء ما مجموعه لاحقًا ٣٣ طبقة لكل ميليمتر واحد من الفك، وبالتالي فإن الفك بحاجة لآلاف الطبقات». وبعدها يغطى الجزء المصنع بغطاء من السيراميك الحيوي.

وتمكنت المرأة بعد يوم واحد من الجراحة من استخدام الفك والبلع بشكل طبيعي.

من هنا وهناك!

■ أعلنت إدارة علوم الفلك والفضاء في النادي العلمي الكويتي أن كوكب المريخ اقترب من الأرض على مسافة (٠٦٧٣٦٨) وحدة فلكية وذلك يوم ٢٠١٢/٣/٥م.

■ قال باحثون أميركيون إن العقارب تتمتع بقدرة طبيعية نادرة تتمثل في استطاعتها الرؤية بجسدها إلى جانب العيون أيضا حيث تستطيع خلايا ظهر هذا الحيوان امتصاص الضوء فوق البنفسجي.

■ أعلن فريق طبي تركي فشل أول عملية في العالم لزرع أربعة أطراف لشاب كان قد فقد أطرافه الأربعة العام ١٩٩٨م واستغرقت العملية ٢٠ ساعة وعزا الأطباء أسباب الفشل لعدم تطابق الأنسجة.

■ توصل علماء أميركيون إلى اكتشاف مفاجئ يتعلق بمصدر مرض السكري فوجدوا أنه ينطلق من الأمعاء وهذا الاكتشاف قد ينهي جدلًا طويلًا جدًا حول أسباب المرض.

■ تصدرت المملكة العربية السعودية المرتبة الأولى عربيًا بتسجيل ١٤٧ براءة اختراع العام الماضي تلتها الإمارات بـ ٣٩ اختراعًا.

إعداد: تركي النصر

كلمات من ذهب

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

زينة العلماء: التقوى، وحليتهم: حسن الخلق، وجمالهم: كرم النفس.

الشفاعات: زكاة المروءات.

صحبة مَنْ لا يخاف الله عار.

لا تبذل وجهك إلى مَنْ يهون عليه ردّك.

ثُوَيبة

«ثُوَيْبَة» المكِّيَّة إقامةً ووفاةً. هي أوَّل مرضعة أرضعت النبي ﷺ بلبن ابنها «مسروح»، كما أرضعت مع النبي ﷺ عمه حمزة بن عبدالمطلب، وأبا سلمة بن عبدالأسد المخزومي، فهم إخوة رسول الله ﷺ من الرضاعة.

كانت تدخل على النبي ﷺ بعد أن تزوج خديجة بنت خويلد الأسدية، وكانت خديجة تكرمها.

أعتقها أبولهب لمَّا هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، فكان رسول الله ﷺ يبعث إليها من المدينة بكسوة وحلَّة حتى ماتت بعد فتح خيبر.

(البداية والنهاية لابن كثير)

تماوت في إظهار النسك

يُظهِرُ النُّسْك

نظر عمر رضي الله عنه إلى رجل مُظْهِر للنُّسْك مُتَماوت، فَخَفَقَهُ بالدِّرَّة، وقال: «لا تُمِتْ علينا ديننا أماتك الله».

ونظرت عائشة رضي الله عنها إلى رجل يظهر النُّسْك بتماوت، فقالت: «ما هذا؟ فقالوا: أحدُ القرَّاء. فقالت: قد كان عمر بن الخطاب قارئًا، فكان إذا قال أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع».

(الكامل في اللغة والأدب للمبرد).

● سُئل الشافعي: أي الأشياء أوضع للرجال؟ فقال: كثرة الكلام، وإذاعة السر، والثقة بكل أحد.

(الانتقاء لابن عبد البر، توالي التأسيس لابن حجر، مناقب الشافعي للبيهقي)

النَّاس داءٌ

قال الشَّافعي رحمه الله تعالى:

لَمَّا عَفوتُ ولَمْ أَحقد على أَحَد ... أَرحتُ نَفسيَ مِنْ غَمِّ العداوات

إِنِّي أُحَيِّي عَدوِّي، عندَ رُؤْيَتِه ... لأَدفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بالتَّحيَّات

وأُحسنُ البشر للإنسانِ أُبغضُهُ ... كَأَنَّهُ قَدْ حَشَا قَلبي مَحَبَّات

النَّاسُ داءٌ وداءُ النَّاسِ قُربُهُم ... وفي اعتزالِهُمُ قَطْعُ المَوَدَّات

ولستُ أَسْلَمُ مِنْ خِلٍّ يُخَالِطُني ... فكيف أَسلَمُ مِنْ أَهلِ العَدَاوات؟

(ديوان الإمام الشَّافعي)

درجات المحبَّة

«درج المحبة خمسة: أولها الاستحسان، وهو أن يتمثل النَّاظر صورة المنظور إليه حسنة. ثم الإعجاب وهو رغبة النَّاظر في المنظور إليه، وفي قربه. ثم الألفة، وهي الوحشة إليه إذا غاب. ثم الكَلَف، وهو غلبة شغل البال به، وهذا النَّوع يسمَّى في باب الغَزل بالعشق. ثم الشغف، وهو امتناع النَّوم والأكل والشرب (إلا اليسير) وربما أدَّى ذلك إلى المرض، أو إلى الموت، وليس وراء هذا منزلة في تناهي المحبة أصلًا».

(مداواة النفوس)

العاقل مُعذَّب في الدنيا

«صَدَقَ مَنْ قال: العاقل مُعَذّب في الدنيا. وصَدَقَ مَنْ قال إنَّه فيها مستريح. فأمّا تعذيبه، ففيما يرى من انتشار الباطل وغلبة دولته، وبما يُحال بينه وبينه من إظهار الحقّ؛ وأمّا راحته فمن كلّ ما يهتمّ به سائر النَّاس من فضول الدنيا».

(مداواة النفوس)

ثمرات الخوف

من ثمرات الخوف أنه يقمع الشهوات، ويكدر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهًا عند من يشتهيه إذا علم أن فيه سمًا، فقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخوف، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته، وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال.

(كشكول ابن عقيل ص:١٠٣)

طالب حاجة

قال حكيم بن حزام: «مَا أَصبَحتُ صَبَاحًا قَطّ فَرَأَيتُ بِفِنَائِي طَالِبَ حَاجَةٍ قَدْ ضَاقَ بِهَا ذَرْعًا فَقَضَيْتُهَا إلَّا كَانَتْ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي أَحْمَدُ اللهَ عَلَيهَا، ولا أَصبَحتُ صَبَاحًا لَمْ أَرَ بِفِنَائِي طَالِبَ حَاجَةٍ، إلَّا كَانَ ذَلِكَ اليوم مِنَ المَصَائِبِ الَّتِي أَسْأَلُ اللهَ تَعَالى الأَجْرَ عَلَيْهَا»

(موسوعة أقوال الحكماء)

عدالة الحسد

قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: «ليس في خصالِ الشَّرِّ أعدلُ من الحسد، يقتل الحاسدَ قبل أن يصلَ إلى المحسود».

وقال بعضهم: يكفيك من الحاسد أنَّه يغتمُّ في وقتِ سرورك.

وقال الأصمعي: قلت لأعرابي: ما أطول عمرك؟ قال: تركت الحسد فبقيت.

قال بعض الحكماء: مَنْ رضي بقضاء الله تعالى لم يسخطه أحدٌ، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسدٌ.

وقال بعضُ البُلغَاءِ: النَّاس حاسد ومحسود، ولكل نعمة حسودٌ.

وقال بعض الأدباء: ما رأيت ظالمًا أشبهَ بمظلومٍ من الحسودِ: نَفَسٌ دائمٌ، وهمٌّ لازمٌ، وقلبٌ هائمٌ.

(أدب الدنيا والدين للماوردي).

الانتساب إلى الاسم الشرعي أحسن

الانتساب إلى الاسم الشرعي أحسن من غيره، ألا ترى ما رواه أبوداود عن أبي عقبة وكان مولى من أهل فارس، قال: شهدت مع رسول الله ﷺ أحدًا فضربت رجلا من المشركين فقلت خذها مني وأنا الغلام الفارسي، فالتفت إليَّ النبيُّ ﷺ فقال: «هلَّا قلت خذها وأنا الغلام الأنصاري».

(مختارات من اقتضاء الصراط المستقيم لابن عثيمين ص:١٧)

فراسة المؤمن

يروى أن رجلًا ادعى على الحسين بن علي مالًا وقدمه إلى القاضي، فقال الحسين: ليحلف على ما ادعى ويأخذه، فقال الرجل: والله الذي لا إله إلا هو، فقال الحسين للرجل: قل: والله والله والله إن هذا الذي تدعيه قِبلي، ففعل الرجل، وقام فاختلفت رجلاه وسقط ميتًا، فقيل للحسن في ذلك، فقال: كرهت أن يمجِّد الله فيحلم عنه.

(أخبار الأذكياء لابن الجوزي ص:٢٥)

أربعة

- أربعة ينبغي للعاقل أن يمنع نفسه منها: العجلة، واللجاجة، والعجب، والتواني.
- أربعة لا بقاء لها: مودة الأشرار، والبيت الذي ليس فيه تقدير، والمال الحرام، والكسب الذي ليس معه تدبير.
- أحب الأشياء إلى الله أربعة: القصد عند الجدة، والعفو عند المقدرة، والحلم عند الغضب، والرفق بعباد الله في كل حال.

مسك الختام

لعبة الاستعمار في تغيير التركيبة الماليزية

منير عبدالستار

هناك من يحاول تغيير وجه ماليزيا الإسلامي، بدأت هذه المحاولات منذ الاحتلال الإنجليزي والذي قام باستقدام الصينيين لماليزيا حتى لا تبقى ماليزيا إسلامية، فالمحاولات كانت ومازالت حتى يصبح الصينيون أغلبية بعدما كانوا أقلية في الماضي، ووقتها يصبح المسلمون مجرد أقلية في أوطانهم الأصلية بعدما كانوا أغلبية؛ وربما نجح الاستعمار الإنجليزي في ذلك بعدما أصبح الصينيون أخيرًا، يسيطرون بشكل كبير على الاقتصاد في ماليزيا، سيطرة خططوا لها منذ وطئت أقدامهم أرض ماليزيا وخطط لها أعداء ماليزيا من الاستعمار وأذنابه.

ومقابل هذه السيطرة على الاقتصاد فقد بدأوا أخيرًا ومجددًا في التفكير في شكل جديد من السيطرة ليست اقتصادية وإنما سيطرة سياسية حتى تبقى لهم السيطرة الكاملة على ماليزيا، اقتصاديا وسياسيًا، فالمحاولات دءوبة في ذلك منذ سنوات طويلة، وإن كانت نسبة المسلمين حتى هذه اللحظة هي الأكبر في ماليزيا، فضلا عن تأييد غير المسلمين للمسلمين على الأقل في السياسية فمازال يحكم المسلمون، وأعداد المسلمين من أصل ماليزي ليست قليلة بسبب سياساتهم وأدائهم الجيد في الاقتصاد والسياسة، فضلا عن النهضة التي حققوها على مر السنين.

هذا الخطر الصيني الزاحف ليس هدفه مجرد السيطرة السياسية بعدما سيطروا اقتصاديا، فهناك أهداف أخرى في الخفاء ربما لا يتم الإعلان عنها ولكنها تبقى ملموسة، في مقدمة هذه الأهداف طمس هوية الماليزيين من على هذه الأرض بعدما غير المسلمون وجهها إلى الأفضل فاكتسبوا مصداقية وحب أغلب الماليزيين من أصول مختلفة، وكانوا سببا في نهضة ماليزية جبارة فوضعوا اسم ماليزيا في مصاف أكبر الدول الصناعية الكبرى في العالم، فخطورة الصينيين ليست على الماليزيين أنفسهم وإنما على الإسلام، فهم يريدون إزالة الإسلام وبصمته من هذه المنطقة في آسيا، ولذلك يقوم الكثير منهم بعمليات تبشير كثيرة تستهدف الفقراء من أجل أن يغيروا ملتهم فتكون الغلبة إذا للصينيين.

كما يحاول الصينيون والهنود من غير المسلمين السيطرة السياسية على ماليزيا، بعدما تمكنوا منها اقتصاديًا، خاصة وأن المسلمين حققوا تقدمًا كبيرًا وبقيت شعبيتهم الأكبر حتى بين غير المسلمين؛ فهم يحاولون السيطرة على ماليزيا كما فعلوا في سنغافورة فأصبحت أعدادهم أكبر بكثير من المسلمين بعدما كان العكس منذ عشرات السنين من خلال خطة للسيطرة السياسية ومن قبلها كانت السيطرة الاقتصادية.